نهج الشهادة

تأليف

الاستاذ ناجي صبرا

دار الفنون



نهج الشهادة



نهج الشهادة

تــألــيف

الأستاذ ناجي صبـرا

١ - الحسين بن علي بن ابي طالب

دار الفنون

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م



دار الفنون
بيروت - الشياح سوق معوض التجاري ☎ ٨٣٥٣٢٧ - ٨٣٣٥٩٦ - ص. ب. ١٥٤ / ٢٥ الغبيري
تلكس M. C. S. 20777 LE - فاكس 25848 - 46 - 00357 - س. ت. ٢٨٦٣ بعبدا

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقـدمة

يتعـاطىٰ هـذا الكتـاب مـع الحسين بن علي بن أبي طـالب كنتـاج إنساني ماجـاد بمثله التاريـخ البشري على ظهـر هذه الأرض ، ويتعـاطىٰ معـه كثمرة طيبـة من شجرة الـرسالـة الإسلاميّـة الأصيلة ، ويتعاطىٰ معـه كـوارث للنبيين والمرسلين ، ويتعـاطىٰ معه كـإمـام قـدوة يتحمـل كـامـل مسؤوليـاته تجـاه أمتـه ، ويتعـاطىٰ مِعـه كـركن من أركـان البيت النبـوي الطاهر الـذي رحم الله به العـالمين ، ويتعاطىٰ معـه كثائـر رافضٍ للظلم أبيٍّ للضيم ، ويتعـاطىٰ معـه كشهيـد ارتقى أعلىٰ درجـات الشهـادة ، ويتعاطىٰ معه كمظلوم نال منه الظلم في حيـاتـه كمـا نـال من جسـده بعد مقتله ، ويتعاطىٰ معه كصـاحب أدب عظيم أغنىٰ التـراث الأدبي بكلماتـه وخطبه ورسائله وأدعيته وحكمـه ، ويتعاطىٰ معـه كمصدر لـلإلهام الأدبي شعـراً ونثراً حتى يـوم الناس هـذا ، ويتعاطىٰ معـه كمثـال أعلىٰ وكـرمـز راقي تهوى إليه القلوب الطيبة والعقول النيرة .

أتعـاطىٰ في كتـابي هـذا مـع الحسين كـإنسـان يخفق قلبي بحبـه وحب القيم التي رفعهـا وجسّـدهـا ، وتعشق روحي التـراب الـذي سـار عليه إماماً في سبيل الحفاظ على إنسانيتنا وإسلامنـا ، ولكن التعاطي مـع الحسين في كتـابي هـذا ليس تعـاطيـاً وجـدانيـاً بحتـاً بـل فيـه التعـاطي

التاريخي الدقيق المحقق إذ يتعامل هذا الكتاب مع أهم مصادر كتب التاريخ والحديث والمقاتل المختصة عند عموم المسلمين فيدقق بالأحداث وأجوائها ورجالاتها ومواقعها الجغرافية وتواريخها الزمنية ، وكذلك لا يخلو الكتاب من التحقيق في بعض الأحداث ما بين ترجيح ورفض ووقوف وأحياناً إثبات بعض التحريفات التي دخلت على السيرة الحسينية خاصة من المتأخرين مثل الكاشفي في روضة الشهداء والدربندي في أسرار الشهادة والطريحي في منتخبه وغيرهم ومن أخذ عنهم سهواً أو جهلاً .

وقد نظمت كتابي على قصيدة حسينية وإحدى وعشرين مقالة تتوسع كل مقالة حول بيتين من القصيدة ، هذا ولا تخلو أي مقالة من حلقة تاريخية من نهضة الحسين كما لا تخلو من مشهد من مشاهد كربلاء .

والله من وراء القصد ، والله ولي التوفيق .

الحسين (ع)

مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، وحسين للنجاة سفينه
فأبوا إلاّ هلاكاً وغرقاً إذ نادى الحسين هل من ناصرينا
آل محمد كنجوم السماء ، وحسين مصباح المهتدينا
فأبوا إلاّ ظلاماً وظلماً إذ نصر الحسين الإسلام دينا
الحسين عطر الجنة وريحانة الرسول ، حنانه والحنينا
فاجتثوا زهوراً وعطشوا ورودا ، ما هذا جزاء الرياحينا
حسينٌ مني وأنا من حسين ، أحب اللّه من أحب حسينا
فأفسدوا وسفكوا دماً حبيباً ، واللّه لا يحب المفسدينا
لم يسألهم طه على الدين أجراً إلاّ المودّة في الأقربينا
فقطعوا الرؤوس جاحدين ووطؤوا الصدور والظهور حاقدينا
حسين ابن الطاهرة الفاضلة ابن سيّدة نساء العالمينا
فخذلوا ابن فاطمة ونصروا ابن مرجانة شكاً بعد يقينا
حسين ابن علي المرتضىٰ ، ابن الوصي أمير المؤمنينا
فقطعوا إصبع شهيد لسلب خاتم ، ونسوا زكاة الراكعينا
حسين شقيق الحسن المجتبىٰ الساعي في أمان المسلمينا
فغدروا صبية ونحروا رضّعاً وذبحوا أطفالاً ميامينا

حسين خامس أهـل الكسـاء لبـاس التقـوىٰ وثيـاب الـطاهـرينـا
فعـرّوا ودنسـوا وحـرّقـوا بـأيـد شلهـا اللّه شمـالاً ويمينـا
حسين أخـو زينب العقيـلة ، عقـيلة الـطيبـات والـطيبينـا
من حملت سبيةً أمـانـة الشهيـد ، وزلـزلت عـروشِ السـلاطينـا
حسين شقيق العبـاس من قـدّم إخـوتـه الثـلاثـة قـرابينـا
فخسفـوا قمـر بني هـاشم وغـدت أُم البنين ولا من بـنينـا
الحسين والـد علي الأكبـر شبيـه الـرسـول خـاتم النبيينـا
من خـاض غمـار المـوت واثقـاً ، لا نبـالي أن نمـوت محقينـا
سيّد الشهداء مـع حمزة ، وأشـرف الغربـاء مع ذي الجنـا حينا
السـلام على الأرواح العـاشقـة ، سـلام على آل يـاسينـا
سـلام على صحبـه وأهله ، سـلام على الأوفيـاء الخيـرينـا
على رهبـان الليـل سـلام وعلى ليـوث النهـار المجـاهـدينـا
سلام على من يرى الموت سعادة ، رافض العيش مع الظالمينا
سـلام على عـزة الأحـرار ، سـلام على الشهـداء الأكـرمينـا
ويـا حسرة على من رجمـوا وجهـاً أهـاب النصـارى المبـاهلينـا
أمـا رأوا وجـوهـاً تـدك الجبـال وتجعـل اللعنـة على الكـاذبينـا
فيـا من تصلون على محمـد ، هـل قـرأتم ويـلٌ للمصلينـا
ويـلٌ للسـاهي عن معنى صـلاتـه يقتـل حسينـاً مـع السـاهينا
على سيّـد شبـاب أهـل الجنة سـل السمٰـوات لمـاذا بكينـا
وأسـأل الأرض كيف فـارت دمـاً تنعي وتنـوح إمـامـاً مبينـا
عن شفتي الحسين سـل فم الرسـول ولا تسـل عصيِّ المنكثينـا
عن رأس الحسين سـل حجر البتـول ولا تسل رمـاح المجرمينـا
عن جبين الحسين سل المسجد الحرام وأسأل مسجـد المدينـة
وأسـأل كـربـلاء وتـربتهـا كم لامست بعـد الحسين جبينـا
من بـدمـائـه تـوقـدت هـدايـة حمـل نـورهـا زين العـابـدينـا
من بشهـادتـه أورث إمـامـة مَنَّ بهـا اللّه على المستضعفينـا

سفينــة النجــاة

مثل أهـل بيتي كمثـل سفينـة نـوح ، وحسين للنجـاة سفينـةَ
فـأبـوا إلا هـلاكـاً وغـرقـاً إذ نـادى الحسين هـل من نــاصـرينَ

قال رسول الله محمد (ص) : «مثل أهـل بيتي كمثل سفينـة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» .

فمن هم أهل البيت ؟ :

عنـدما نـزلت آية التـطهير على محمـد (ص) : ﴿**إنمـا يـريـد الله ليـذهب عنكم الرّجس أهـل البيت ويطهّـركم تطهيـراً**﴾[1] ، ضمَّ محمد الـحسن والـحسين وأبـويهما علي وفـاطمة بكسـاء يماني ثم ألـوى بيده اليمنىٰ إلى السماء قائلاً وهو الصادق الأمين :

«اللّهمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الـرّجس وطهّرهم تـطهيراً» ، وبقي النبي بعـدها مـا لا يقل عن ستـة أشهر يـطرق باب علي من داخـل مسجد المدينة وينادي على مرأىً من المسلمين ومسمع «الصّـلاة يا أهـل البيت ، إنمـا يـريـد الله ليـذهب عنكم الـرّجس أهـل البيت ويـطهّـركم تطهيراً» . أذاً فأهل البيت مجموعة من البشـر معروفـة محددة على لسـان رسـول الله (ص) أمام العـام والخاص . وقـد أوجب الله تعالىٰ على كـل

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

مسلم أن يردد يومياً ما لا يقل عن خمس مرّات في صلواته اليومية «اللّهمّ صلِّ على محمد وآل محمد» .

كفاكم من عظيم القدر أنكم   من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له .

أما نوح (ع) فقد كان نبيٌّ من أنبياء الله الذين كانوا يدعون إلى الإيمان بالله الواحد الأحد والإيمان باليوم الآخر يوم الحساب ، ويدعون إلى الهداية عن طريق الوحي الذي يكلم الله به أنبياءه . فكذب قوم نوح نبيهم ، وقومه كانوا هم أهل الأرض جميعاً في ذلك الزمان ، كذّبوه واستهزؤا به وآذوه بألسنتهم وأيديهم ، ولم يترك نوح وسيلة هداية إلاّ استخدمها ولم يهدأ ساعة ليل أو نهار إلاّ وهو يحاول أن يهدي قومه إلى صراط معرفة الله وحبه ، فمرت السنون والقرون ولا يزداد الكافرون إلاّ عناداً ، فما كان من نوح إلاّ أن بدأ وبوحي من الله بصنع سفينة عظيمة منذراً بطوفان يغسل الأرض من الكافرين ويبيد كل من يتخلف عن ركوب سفينته ، لكن قوم نوح سخروا من بناء سفينة على البر في منطقة جبلية عالية . وظل نبي الله يبني هذه السفينة التي كانت تعبر عن الأمل في العبور إلى عالم آخر وأفضل يعاد بناؤه وتربيته من جديد . وجعل الله لنوح علامة تنذر بقرب الطوفان كي يستعد في الوقت المناسب لتجهيز السفينة بالمؤمنين من قومه وأيضاً بالكائنات الحية أزواجاً أزواجاً ﴿**حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين إثنين**﴾[1] . ولما فار التنور ﴿**ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قُدر**﴾[2]، ركب نوح السفينة وركب معه المؤمنون وما آمن معه إلاّ قليل وطافت السفينة فوق الطوفان وجرت بهم في موج كالجبال فوق الجبال وغرقت الأرض ومن عليها . وبعدها هدأت السماء والأرض ومن ثم رست سفينة النجاة

---

(١) سورة هود ؛ الآية : ٤ .

(٢) سورة القمر ؛ الآية : ١٢ .

والحياة على اليابسة وبدأت حياة جديدة . فمن ركب في هذه السفينة كان من الناجين وكان غيره من المغرقين .

وكذلك من لا يتولى محمداً من العالمين ومن لا يتولىٰ آل بيته من المسلمين فهو من المغرقين الضالين ، **﴿أُولئك الذين هدىٰ الله فبهداهم اقتده﴾**(1) .

ولئن كان أهل البيت بعمومهم سفينة نجاة هذه الأُمة ، فلقد كان الحسين (ع) بخصوصه سفينة نجاة كما وصفه جدُّه رسول الله «حسين مصباح الهدى وسفينة النجاة» ، ولذلك كان الحسين شديد الحذر ودقيق النظر في مراقبته لأحوال الأُمة ، وكان (ع) قد حذّر معاوية في نهاية سنة ٥٦ هـ من طوفان يهدد أُمة الإسلام في حال إصرار معاوية على تمليك إبنه يزيد على رقاب المسلمين مع أن يزيد نفسه راضٍ بلعبه مع القرود والكلاب والحمام ، فكيف يستسيغ معاوية انتشال يزيد من أجواء لعبه وتسليمه مصير أُمة الإسلام الفتية مع ما تتحمل هذه الأمة من مسؤوليات أمام البشرية جمعاء . فقال الحسين وقتها لمعاوية منذراً : «دع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور وحنقاً في ظلم حتى ملأت الأسقية ، وما بينك وبين الموت إلاَّ غمضة» ، ولكن معاوية أصر ولسان حاله يقول من بعدي الطوفان .

وجاءت الغمضة وهلك معاوية في النصف من رجب سنة ٦٠ هـ وكان موته العلامة على الطوفان إذ فار التنور وطفح الكيل وملئت الأسقية من بدع معاوية التي أضاف إليها قمة بدعه بعد وفاته إذ جعل حكم المسلمين من أملاكه الخاصة التي أورثها لإبنه يزيد من بعده ، فما كان من إمام الهدى الحسين (ع) إلاَّ أن رفض مبايعة يزيد وإعطائه

---

(1) سورة الأنعام ؛ الآية : ٩٠ .

الشرعية ، و رفع الحسين شراع سفينة النجاة لما رأى أمواج الفتن مقبلة كالجبال . وسرى الحسين ليلاً من مسجد رسول الله إلى المسجد الحرام ، ومن ثم انتقل إلى كربلاء من حيث عرج إلى الملكوت الأعلىٰ في العاشر من محرم سنة ٦١ هـ .

فكانت تربة كربلاء تربة العزة والشهادة وكان يوم عاشوراء ذكرى لقاء المشتاق مع حبيبه وقد عبَّر الحسين عن هذا الموعد إذ قال :

تركت الخلق طراً في هواك وأيتمت العيال لكي أراك
فلو قطعتني في الحب إرباً لما مال الفؤاد إلى سواك .

إذاً لقد فار التنور بعد موت معاوية عندما ورث يزيد عن أبيه ملك المسلمين وأرسل إلى حاكم المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : «أما بعد ، فخذ الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً عنيفاً ليس فيه رخصة فمن أبىٰ عليك فاضرب عنقه» . بالعنف وقطع الرؤوس والإستخفاف بالحرمات يريد يزيد أن يفتتح حكمه .

وصل كتاب يزيد إلى المدينة في أواخر شهر رجب ، فأرسل حاكم المدينة الوليد بطلب الحسين وكان عند الوليد مروان بن الحكم الذي كان في السابق وزير سوء لعثمان بن عفان والذي كان نعم الأمين على الخيانة أو فقل نعم الخائن للأمانة ، فلقد كان له اليد الطولى في إفساد الأمور على عثمان . المهم أن الحسين حضر مع جماعة من أهل بيته تركهم عند باب الأمير للتدخل عند الضرورة . وطلب الأمير من الحسين بعد أن أعلمه بوفاة معاوية أن يبايع يزيد ، والبيعة عقد يأخذه الإنسان على نفسه بأن يلتزم بتوجهات وأوامر مَنْ يبايعه ، فالبيعة إلتزام دقيق وخطير يتحدد بموجبها الولاء الديني والسياسي والعسكري ، إذاً البيعة تعني بيع النفس . فأجاب الحسين : «إن مثلي لا يبايع سراً ولا يُجتزى بها مني سراً» ، وطلب من الأمير أن يسأله البيعة حسب

لأُصـول ولمصلحة الجميـع أمام ومـع جمهور المسلمين ، فـإن مسـألـة البيعة قضية عـامة تحتـاج إلى موقف معلن وصريح . فقنـع الأمير بـرأي الحسين لكن مـروان لم يعجبه الأمـر فتدخـل قائـلاً : «إحبسه فـإن بايـع وإلاَّ ضـربت عنقه» ، مـا أبشع الخيـانة ونكـران الجميل ، فمـروان نفسه كـان عرضـة للقتل بعـد معركـة الجمل قبـل حوالي خمس وعشـرين سنة فتشفـع له الحسين وقتهـا وأنجاه من القتـل ، وها هـو مروان اليـوم يبـادر إلى رد التكـريم والإِكـرام بـاللؤم والتمـرد . فـردّ الحسين على مـروان : «أأنت تقتلني يـابن الزرقـاء أم هـو؟ كـذبت ولؤمت» ، ثم وجـه الحسين كـلامه إلى الـوليـد رافعـاً شـراع السفينـة ومعلنـاً شعـار الثـورة الحسينيـة الإسلامية : «أيها الأمير ، إنـا أهل بيت النبـوة ومعدن الـرسـالـة ومختلف المـلائكة ، بنـا فتح الله وبنـا ختم ، ويزيـد رجل فـاسق شـارب الخمـر وقـاتل النفس المحتـرمة معلن بـالفسق ، ومثلي لا يبـايـع مثله» ، وتـرك الحسين المجلس وكلماته تـدوي في مسامـع الظلمـة وتزلـزل نفوسهم ، وبقيت كلمـاتـه (ع) تتـردد في الأثيـر إلى يـومنـا هـذا فتلتقطهـا القلوب والعقول العاشقة للقيم والمثل .

ولمـا خرج الإمـام الحسين من المجلس وبعد أن تفـرق عن رفاقـه الذين جاؤوا معـه في تلك الليلة ، قصد الحسين قبـر جدِّه محمـد (ص) فشكا له واستخار الله تعالىٰ ، ثم اتكـأ (ع) برأسـه على القبر ليغفـوَ غفوةً تنقله إلى الجنة في أعلىٰ درجاتهـا حيث يقابـل جدَّه محمـداً في فوج من الملائكة ، فيقبل النبي حسيناً بين عينيـه ويقول لـه : «حبيبي يا حسين ، إن أباك وأُمك وأخـاك قدِمـوا إليّ وهم مشتاقـون إليك» ، فيبكي الحسين في عـالم الرؤيـا ويطلب من جـدِّه أن يأخـذه معه إلى الجنـة ويدخله في قبـره ، فيجيب الرسـول : «لا بد أن تـرزق الشهادة ليكـون لك مـا كتب الله فيهـا من الثواب العـظيم ، فإنـك وأباك وعمـك وعم أبيك تحشـرون يوم القيامـة في زمرة واحـدة حتى تدخلوا الجنـة» ، فينهض الحسين ملبياً لنـداء الشهادة ، ويقـرر مغادرة المـدينـة مـع أهله خـاصـة وأنـه أدرك أن

الملأ يأتمرون به ليقتلوه فيخرج في الليلة ذاتها وقيل التي تليها ويتوجّه إلى مكة ليلة الأحد ٢٨ رجب تالياً ﴿**فخرج منها خائفاً يترقب قال ربِّ نجني من القوم الظالمين**﴾[١] ، ويصل إلى مكة ليلة الجمعة في الثالث من شعبان تالياً ﴿**ولما توجّه تلقاه مدين قال عسىٰ ربي أن يهديني سواء السبيل**﴾[٢] . ومن مكة تتلقى أقطار العالم الإسلامي أخبار الحسين وموقفه الرافض لبيعة يزيد ، وتصل الأنباء إلى الكوفة التي كانت وعلى الدوام على اتصال وثيق بالحسين ترصد أوامره وتتوق إلى نهضته في وجه الدولة الأموية ، فتسارع الكوفة بأهلها ووجهائها وقبائلها إلى التجاوب مع إباء الحسين لبيعة يزيد ، فترسل الوفود وآلاف الرسائل وكتب التأييد والإلتزام بإمامة الحسين وتتعهد بنصرته وموالاته وخلع حاكم الكوفة الأموي . فيرسل إليهم الحسين بعد النصف من شهر رمضان بسفيره مسلم بن عقيل ليستوضح حقيقة الأوضاع وليمهد السبيل لقدوم الحسين . ويصل جواب مسلم إلى الحسين في ٢٧ ذي القعدة يبشره بأن الكوفة طوع يمينه وأنه قد بايعه ثمانية عشر ألفاً من رجالها ساعة قدومه إليها .

وفي سحر الثامن من ذي الحجة يقرر الحسين التوجّه إلى الكوفة منادياً : «من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله» ، فمن يحب لقاء الله فليكدح مع الحسين ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾[٣] ، ويغادر الحسين مكة مع أهله وصحبه في صباح ذلك اليوم يوم التروية قبل يوم عرفة بيوم وهو القائل : «لأن أقتل خارج مكة بشبر أحب إليّ من أن أقتل فيها ، ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إليّ من أن أقتل

---

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٢١ .

(٢) سورة القصص ؛ الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الإنشقاق ؛ الآية : ٦ .

خارجا منها بشبر» ، فلقد علم الإمام أن ثلاثين من شياطين (كومندوس) بني أُميّة قد أوكل إليهم إغتيال الحسين في مكة في موسم الحج كي تضيع قضيته ويغلق ملفه وتسجل الجريمة على مجهول ، ولذلك تعجل الحسين وغادر مكة قبل وقت الحج بيوم وقد قال (ع) : «لو لم أعجل لأُخِذت أخذاً» .

ثم وبعد أن يُمنع الحسين من دخول الكوفة ، يصل به المطاف إلى أرض كربلاء التي تبعد إثني عشر فرسخاً (أي ٦٦ كم) شمال الكوفة . وبعد أن تتم مفاوضات رسمية من قبل ممثلي النظام الأموي محاولة إقناع الحسين بالتنازل والتراضي مع يزيد ، يقرر الحسين أن يغيّر وجهة سفينته من الأرض إلى السماء ، فتشق سفينة النجاة حجاب وأجواء الدنيا وترسو في الجنة حيث كان ينتظره علي وفاطمة والحسن وهم بغاية الشوق إليه كما أنبأه النبي في الرؤيا . وتنطلق الرحلة السماوية في العاشر من محرم يوم الجمعة من سنة ٦١ للهجرة ﴿**بسم الله مجراها ومرساها**﴾[١] .

لقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلَّا خمسين عاماً يدعوهم إلى الإيمان بالله رب العالمين فواجه قوماً عنيدين وضعوا الأيدي في الآذان رافضين السمع ووضعوا الثياب على الوجوه حاجبين البصر ولكن رغم طول مكث النبي في قومه لم نسمع أن قومه منعوه الماء أو آذوا أهله أو قتلوا أو شردوا صغاره ، وأنت يا حسين وأنت أنت وأنت البقية الباقية من محمد وعلي وفاطمة والحسن ، فما ذنبك حتى ذبحوك ؟ .

ما ذنب أهل البيت حتى ... منهم أخلوا ربوعه

وما ذنبك حتى آذوك حياً وقتيلاً ؟ تكلمهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيجيبك أهل الجحود «لا ندري ما تقول يابن فاطمة» ،

---

(١) سورة هود ؛ الآية : ٤١ .

«إنزل على حكم بني عمك» ، تريد حياتهم على صراط النبوّة والرسالة والوحي ويريدوا أن يذلّوك تحت كأس سكيرهم ولكن هيهات منك الذلة وهيهات أن تعطيهم الدنية من نفسك أبداً . تدعوهم إلى الإيمان بالله وحده واتقائه حق تقاته فيزايدوا على إيمانك ويتهموك بالخروج عن الدين وبأن صلاتك لا تقبل ويصرّوا على نفاقهم . تذكرهم بالآيات والأحاديث فتجيبك يهوديتهم ﴿سمعنا وعصينا﴾[1] ، تدعوهم إلى التفكر والتأني فيستعجلوا لانتهاك حرمتك وحرمة رسول الله . تدعوهم إلى أن يسقوا الرضيع فينحروه بين يديك وأنت أبوه ، وبعد إلقاء الحجج بالكلمات والدماء علا الماء وحال بينه وبينهم الموج إذ قلّ الناصر وكثر الخاذل والحسين ينادي : «أما من مجير يجيرنا ، أما من مغيث يغيثنا ، أما من طالب حق فينصرنا ، أما من خائف من النار فيذب (يدافع) عنا» ، «هل من ذاب عن حرم رسول الله ، هل من موحد يخاف الله فينا ، هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا» ، فلم ينصر الحسين إلاّ من كان قد نصره وما نصره إلاّ قليل رغم أن سفينة النجاة تتسع للكثير ولكن بين نداء الحسين هل من ناصر وبين نداء جهنم هل من مزيد لبى من لا يسمع ولا يعقل نداء جهنم فسحقاً لأصحاب السعير . وارتفعت سفينة الحسين بالأرواح الطاهرة وشقت أمواج الفتن وطافت فوق جبال الضلال ، فزهق من زهق ومرق من مرق ولحق من لحق وما لحق بالحسين إلاّ قليل ولكن مبارك ﴿بركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٩٣ .

(٢) سورة هود ؛ الآية : ٤٨ .

فالسلام عليك يا وارث نوح نبي الله ، السلام عليك إذ صحت بالنيام فأزعجت أحلامهم ، السلام عليك إذ صحت بالسكارى فافسدت أوهامهم ، السلام عليك إذ صحت بالذين يعبدون الله على حرف فانقلبوا على وجوههم خاسري الدنيا والآخرة ، ﴿**فمما خطيئاتهم أُغرقوا فأدخلوا ناراً**﴾ ، السلام عليك إذ قلت وقولك الصدق «ما سمع واعيتنا أحدٌ ثم لم ينصرنا إلاّ هلك» .

مصباح الهدى

آل محمد كنجوم السماء وحسينٌ مصباح المهتدين
فأبوا إلا ظلاماً وظلما إذ نصر الحسين الاسلام دينا

يقول الإمام علي (ع) : «ألا إن مثل آل محمد (ص) كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم» فلِما كان آل محمد كالنجوم ؟ وما وجه الشبه ؟ .

يقول تعالىٰ : ﴿**وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر**﴾[1] فالنجوم مجعولة للهداية بأنوارها وبمواقعها ﴿**فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم**﴾[2] .

وهكذا هم آل محمد صلّىٰ الله عليهم كانوا نجوماً هادية بأنوارهم وبمواقعهم ، أشهد أنهم كانوا أنواراً في الأصلاب الشامخة والأرحام الطاهرة ، وأشهد أن أنوارهم تسعىٰ بين أيديهم في الدنيا والآخرة . جعلهم الله نجوماً لنهتدي بهم ونرجع إليهم في ظلمات البر والبحر ، جعلهم لنهتدي بهم في صراع الظلمات والنور في الصراع بين من يريد أن تهجم الفتن كقطع الليل المظلم وبين من يريد أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً لتشرق بنور ربها نور العدل .

---

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٩٧ .

(٢) سورة الواقعة ؛ الآية : ٧٦ .

جعلهم لنهتدي بهم للخروج من الظلمات إلى النور بولايتهم .

فأهل البيت نجوم الهداية ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾[1] قال النبي محمد (ص) : «أنا المنذر وعلي الهادي» وما لعلي فللأئمّة من بنيه ، يقول الإمام الصادق (ع) «كلنا مهديون نهدي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم» كلنا أي أئمة أهل البيت (ع) . فإن كان أهل البيت بعمومهم أنوار هداية فقد كان الحسين بخصوصيته مصباحاً للهدىٰ كما قال جدُّه الصادق الأمين : «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة» .

«يا جبال المجد عزاً وعُلىٰ   وبدور الأرض نوراً وسنا»

حسينٌ مصباح الهدى بدأ يتلألأ نورُه الكربلائي في ليلة ٢٨ رجب سنة ٦٠ للهجرة عندما خرج من المدينة المنورة بنور جدِّه تاركاً وصيته لأخيه وعينه على المدينة محمد ابن الحنفية :

«بسم الله الرّحمن الرحيم ،

هذا ما أوصىٰ به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية ، إن الحسين يشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده ، وأن الجنة حق وأن النار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدي .

أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب . فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين .

---

(١) سورة الرعد ؛ الآية : ٧ .

هذه وصيتي إليك يا أخي وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب» .

وصيّة تتلألأ هُدىً ونوراً وحقاً . وصيّة من نور مصباح الحسين مصباح الهدى مصباح التوحيد مصباح الإيمان مصباح الحق مصباح المسؤولية مصباح العدل مصباح الإصلاح مصباح الدعوى إلى الخير مصباح محمد وعلي . إنه مصباح الإسلام الحق الذي لا يرضى أن ينطفىء مغطياً جريمة ترتكب بإسم الإسلام ، لقد شعَّ مصباح الهدى ليقول أن الظلم والظلمات ليسا من الإسلام بشيء ، لقد شع ليشهد شهادة حق في عصر الزور عصر الأحاديث الجاهزة والفتاوى المأجورة عصر المتاجرة بصحب محمد وبدين محمد .

لم أدر أين رجال المسلمين مضوا وكيف صار يزيد بينهم ملكا

ماذا حلَّ بالمسلمين ؟ فمنذ خمسين عاماً كان قائدهُم محمداً ، واليوم يرتضون يزيداً قائداً ؟ ! وهذا ينادي بالسكوت وذاك ينادي بالهدوء وآخر ينادي بالهروب وغيره ينادي بالرضا بالأمر الواقع .

وهذا يفتي بجواز إمامة الفاسق . والله يقول في صريح كتابه **﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾**[1] .

وذاك يفتي بجواز أمامة الجاهل ، والله يقول : **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذي لا يعلمون﴾**[2] .

أين المقاييس والموازين ؟ ويأتي آخر فيفتي بجواز إمامة الظالم . والله ينذر بالنار **﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾** في هذه الأجواء المخالفة للإسلام والمخالفة لأبسط مفاهيم العدل وموازينه

---

(١) سورة السجدة ؛ الآية : ١٨ .

(٢) سورة الرمز ؛ الآية : ٩ .

(٣) سورة هود ؛ الآية : ١١٣ .

ومقاييسه الفطرية ، في هذه الأجواء المخالفة لسيرة الرسول الواضحة والتي ليست عنهم ببعيد ، في هذه الأجواء المخالفة لأبسط طموحات إنسانية البشر . في هذه الأجواء المظلمة يحمل الحسين مصباحه لا ليضيء لنفسه بل لأمة زمانه وماوراء زمانه، ينهض الإمام الحسين شاهداً وشهيداً فيحمد الله ويثني عليه ويقول : «أيها الناس ، إن رسول الله صلّى عليه وآله قال : «من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» .

أطفىء سراجك فقد طلع الصباح . هذا هو حديث محمد الصحيح . كفى تزويراً . لم يكن محمدٌ لاعباً بل كان صاحب رسالة ولم يكن محمدٌ لاهياً بل كان شاهداً ولم يكن محمد يرى الدنيا فقط بل كان يرى ما ورائها أيضاً ، فيبشر وينذر بالآخرة ولم يكن محمدٌ يهاب ملوكاً أوجبابرةبل كان داعياً إلى الله ولم يكن محمد ليقود الناس إلى ظلمات المعصية والجهل والظلم بل كان سراجاً منيراً بطاعة الله وبالعلم والعدل ، أو لم يشهد الله وكفىٰ به شهيداً ﴿**إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً**﴾[1] ، نعم هذا هو محمد رسول الله فكفىٰ تجارة بإسم محمد وبإسم خلافة محمد .

أيعقل أن يسمى حكام الدولة الأموية بأمراء المؤمنين وخلفاء رسول رب العالمين مع ما كانوا يتصفون به من رذائل وقبائح لم يسبقهم إليها أحد .

فهذا معاوية أولهم كان يسب علي بن أبي طالب على منبر الإسلام الذي لم يرفع أعواده سوى علي ، ومعاوية هذا الذي قتل

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٤٦ .

حجر بن عدي وأصحابه في مرج عذراء تلك البلدة التي اهتدت إلى الإسلام على يدي حجر نفسه ، فلقد كان معاوية يجيد العبث بالمتناقضات فيضفي الشرعية مثلاً على أبناء الزنا وينكل بأصحاب الفضائل لشيء في نفسه .

وهذا يزيد أول ثمرة من ثمار معاوية ، يزيد هذا بلغ الذروة في انتهاك الحرمات فقد قتل الحسين أولاً ثم استباح المدينة وأعمل بها الكبائر مما لا يذكر في الكتب ثم حرق الكعبة ، ولا أدري لو أن حكمه طال عن السنين الثلاث أي حرمة كان سينتهك أيضاً .

وهذا مروان بن الحكم يحكم باسم رسول الله وقد لعنه محمدٌ وهو في صلب أبيه .

وهذا عبد الملك بن مروان الذي حكم المسلمين أكثر من عشرين سنة ، إنظروا ماذا يخبرنا عن تجربته في الحكم ، يقول ناصحاً ومرشداً : «من أراد أن يتخذ جارية للتلذذ فليتخذها بربرية ، ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية» ، نعم ويا للمهزلة حاكم المسلمين خبير جواري .

وعن الوليد بن عبد الملك يخبرنا ابن أبي حاتم في تفسيره عن إبراهيم بن أبي زرعة أن الوليد هذا قال له : «أيُحاسب الخليفة ؟» ، فهو يظنّ نفسه فوق الحساب وفي الآخرة كما في الدنيا فوق العباد .

وهذا سليمان بن عبد الملك يوصي واليه على مصر فيقول له : «احلب الدر حتىٰ ينقطع واحلب الدم حتى ينصرم» ، انظروا إلى هذه النصيحة الإقتصادية الإنمائية . وسليمان هذا له رؤى سياسية إلى جانب رؤاه الإقتصادية ، فلقد كتب عهده في كتاب وأمر الناس أن تبايع على ما في الكتاب مختوماً ومن أبى ضرب عنقه وفيه ولاية العهد لعمر بن عبد العزيز ومن بعده ليزيد بن عبد الملك ، فبايع الناس وحكم ابن عبد العزيز سنتين ثم جاء دور يزيد المبايع له في الكتاب المختوم ،

ويزيد هذا كان مغرماً بالشراب والجواري وأشهرهم حبابة المغنية التي شاعت حكاياتها في أرجاء العالم الإسلامي ، ولقد أكثر يزيد من الشراب مرّة حتى سكر وأراد أن يطير من شباك القصر فتداركته حبابة سائلة من للمسلمين إذا هو طار : «وعلى من تخلف الأمة والملك ؟» قال عليك والله وقبل يدها . ومن يدري لولا أن حبابة ماتت قبل يزيد بحبة العنب المشهورة لكان انتقل الحكم من أمية إلى حبابة .

ثم حكم هشام بن عبد الملك الذي قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وصلبه عارياً مقطوع الرأس لمدة أربع سنوات لحين وفاة هشام .

ثم حكم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي أراد الحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة استخفافاً ببيت الله وهو الذي استخف أيضاً بكتاب الله إذ مزقه ورماه قائلا :

إذا ما جئت ربك يوم حشر   فقل يا رب مزقني الوليد

فقتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأصبح هو الخليفة ، وبعدها بأشهر مات يزيد هذا وجاء آخر حكام بني أميّة وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم المعروف بالحمار فنبش قبر يزيد سلفه ثم صلبه .

فهل يجوز أن يحسب هؤلاء الحكام على رسول الهدى ودين الحق ؟ .

لقد عاصر الحسين معاوية ولقد خَبُر يزيد ورأى بعمق ما يؤول إليه النظام الأموي ولما لم يكن بمقدوره أن يقضي على هذا الزحف في زمانه ما كان منه إلّا أن نهض بإسم الإسلام لكي لا تحسب مهازل الحكم الأموي على رصيد الإسلام ، وقام الحسين ليوجّه إلى النظام الأموي ضربة تهلكه ولو بعد حين ، وثار الحسين بإسم الإسلام قبل أن يسبقه غيره إلى القيام ضد الإسلام .

إذاً قـام الحسين لينصر دين الهـداية فضحى في سبيـل الله بالنفس وبالصحب وبالأهل .

ووجــوهــاً كالمصابيح فمن قمـر غاب ومن نجم هـوى

لقـد هوى خيـرة أهل الأرض في زمـانهم يـوم العـاشـرمن محـرم على ثـرى كربـلاء ، هـووا من جفـاف المـاء من خـلايـاهم ومن جفـاف الدماء في عروقهم. هوت نجوم السمٰوات على أرض كربلاء .

ولئن استحب قوم النبي صالـح العمى على الهدى فلقـد تفوق قتلة الحسين على ثمـود إذ اشتـروا الضـلالـة بـالهـدىٰ فهم أتعس وأشقـىٰ إذ استبـدلوا الـذي هو خيـر بالـذي هو شـر فما ربحت تجـارتهم وما كـانـوا مهتدين .

ولئن عـانىٰ صالـح (ع) في سبيل إيصـال الهدايـة إلى قومـه فلقـد عانىٰ الحسين (ع) من رؤية قـومه يضيعـون ما بـأيديهم من هـدىٰ ، فلقد كان همُّ الإمام صيانة الهداية وتـرسيخها في نفـوس الناس وعكسهـا على أفعالهم .

لقد عانىٰ الحسين في سبيـل نقل الـدين من اللسان إلى اليـد ومن اللسان إلى القلب .

لقـد عانىٰ الحسين من قضيـة أن «الناس عبيـد الدنيـا والـدين لعق على ألسنتهم يحوطونـه ما درّت بـه معايشهم فـإذا محّصـوا بـالبـلاء قـل الـديانـون» ، فأراد الإمـام الحسين أن يعلم الناس أن الـدين قبل الحيـاة وأن الحيـاة للدين وأن لا حيـاة بـلا دين ، أراد أن يعلم النـاس أن تسيـر وراء القلوب لا وراء البـطون . أراد أن يعلم النـاس أنـه كمـا أن الصّـلاة والنسـك لله فـإن الحيـاة والممـات أيضـاً لله ربّ العـالمين . واستــطاع الحسين أن يـوصل أفكـاره عن طريق شهـادتـه التي تـوقـدت كـالكـوكب الـدري وازهـرت وأشـرقت وشعشعت ولكن ليس بـالـزيت بـل بـالـدم

المبارك . فبشهادة الحسين رسم الحد الفاصل بين الهدى والضلال وهل بعد الهدى إلاّ الضلال ، فَعمِيَ قوم وأبصر آخرون وامتد الشعاع من أرض كربلاء يضرب في أفق الزمان ويطرق ضمائر المسلمين **﴿والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق، النجم الثاقب ، إن كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الإنسان مما خلق﴾**[1] ، استشهد الإمام الحسين كي ينظر الإنسان ، فلينظر الإنسان .

(١) سورة الطارق ؛ الآية : ٥ .

ريحانة الرسول

الحسين عطر الجنة وريحانة الرسول حنانه والحنينا
فاجتثوا زهوراً وعطّشوا وروداً ما هذا جزاء الرياحين

كان رسول الله (ص) يعامل الحسن والحسين معاملة الورود والرياحين وقد وصفهما رسول الله بأنهما ريحانتاه من الدنيا يشم فيهما عطر الجنة ﴿**روح وريحان وجنة نعيم**﴾[1] .

ولقد أهتم النبي محمد (ص) بسبطيه حفيديه الحسنين إهتماماً بالغاً ملفتاً للعقول والأنظار . فإننا نجد في كتب الحديث بصورة دقيقة كيف كان الرسول يلاعبهما وكيف كان يطيل سجوده إذا ما امتطى أحدهما ظهره وهو ساجد وكيف كان يرقيهما عند المرض وكيف كان يمتطي معهما بغلته الشهباء وكيف قطع مرّة خطبته ونزل عن المنبر وحملهما لأنهما كان يتعثران بأثوابهما وكيف كان يتألم لبكاء أحدهما وهو في سن الرضاعة وكيف كان يقبلهما ، كيف قبل الحسن في فمه والحسين في رقبته وكيف كان يضمهما ويشمهما ويحنو عليهما وكيف كان يتكلم عنهما «إبناي هذان» . لقد كانت شدّة إعتناء الرسول بهما ظاهرة للعام والخاص ﴿**حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾[2]

---

(١) سورة الواقعة ؛ الآية : ٨٩ .

(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ١٢٨ .

وكـان بعض الأصحاب يستفسـر أحيـانـاً ويستنكـر أحيـانـاً هـذه العنـايـة العـاطفية الفـائقة فيُعلم الـرسول أصحـابه بـأن العطف على الصغـار من الإسـلام وأن «ليس منـا من لـم يعـطف على صغيـرنـا» ويُعَلّم أن حب الأطفال نوع من الـرحمة في القلوب وأنـه «من لا يَرحَمْ لا يُـرحم» ويعلّم أصحـابه بـأن للحسن والحسين مقامـاً خاصـاً فوق غيـره من الإعتبـارات فحبهما مرتبط بحب الله تعالىٰ «أحبَّ اللَّهُ من أحبَّ حسيناً» .

وقـال في الحسن : «اللّهمَّ إني أُحِبُّـه فـأحبَّـه وأحب من يحبـه» فحب أهل البيت من الإيمان .

لقـد عَلَّم الرسـول أُمتـه الـرّحمـة والتـراحم وخـاصّـة في الصغـار وعلّمهم الحب والمودّة وخاصّة لأهل بيتـه واعتبر الله هـذه المودّة مجـازاة لما بذله الرسول تجاه هـذه الأُمة ﴿قـل لا أسألكم عليـه أجراً إلاَّ المـودّة في القربىٰ﴾[1] وقد شدد الرسول على هذه القضية وكررهـا وخاصـة قبل وفاته بحـوالي شهرين إذ خـطب الرسـول في أُمته في حجـة الوداع ، ثم عنـد غديـر خم فقال : «إني تـارك فيكم مـا إن تمسكتم بهمـا لن تضلوا أبـداً ، كتاب الله وعتـرتي أهل بيتي ، . . . أذكـركم الله في عترتي أهـل بيتي» .

أما القرآن فقد مزقه الوليـد وأما الحسين فقـد مزقـه يزيـد وكلاهمـا أي الوليد ويزيد فقد كانـا يسميان بـأمراء المؤمنين وحكام المسلمين، لقد ثار الحسين ليتصدى لهذه المهزلة ويزيل عنها صفـة الإسلام دين جـدِّه . فكيف واجهت أُمة محمد حفيـد محمدٍ روحـاً ودماً ، كيف خلفـوا رسول الله بعتـرته أمـانته وأمـان أُمتـه ، كيف خلفـوه بـالـورود وثمـرات الفؤاد ، سلهم يا رسول الله ولست عنهم ببعيد :

«مـاذا تقولـون إذا قـال النبي لكم ... مـاذا فـعلتـم وأنتـم آخـر الأُمـم
بعتـرتي وبـأهلي بعـد مفتقـدي ... منهم أسارى وقتلى ضُرِّجوا بدمِ» .

---

(١) سورة الشورىٰ ؛ الآية : ٢٣ .

سلهم يـا رسول الله كيف خلفـوك بالحسين وأهله وصحبـه ؟ كيف خَلفوك بالرضيع والصبي والشاب والشيخ والمرأة ؟ .

وقبـــل أن نسـألهم دعــونـا نــرى كيف سيق الإمـــام الحسين إلى المذبحة .

عنـدما وصـل الحسين (ع) في الثالث من شعبـان إلى مكـة معلنـاً رفضـه لبيعة يـزيد وانتشـار الخبر في الآفـاق ، أرسلت الكوفـة بوجهـائها وعشـائرهـا الكتب والوفـود «أنه ليس لنـا إمام ، فـأقبل لعـل الله يجمعنـا على الخيـر» «الناس ينتـظرونك ولا رأي لهم غيـرك فالعجـل العجـل» ، «فقـد أخضـر الجنـاب وأينعت الثمـار فـإذا شئت فـأقـدم على جنـد لـك مجندة» وقد بلغت كتب الكوفة إثني عشر ألف كتاب .

فأرسل الحسين سفيره ابن عمه وثقتـه من أهل بيتـه مسلم بن عقيل ليستطلع له حقيقة خبر الكوفة ، فـوصل مسلم الكـوفة ودرس الأجـواء ثم أرسل للحسين «الرائـد لا يكذب أهله ، وقـد بايعني ثمـانية عشـر ألفاً ، فعجـل بالإقبـال حين يأتيـك كتابي هـذا» وقد أتى كتـاب مسلم هذا إلى الحسين في ٢٧ ذي القعدة سنة ٦٠ هـ .

فخــرج الحسين (ع) في الثـامن من ذي الحجــة سنـة ٦٠ هـ أي بعـد وصول كتـاب مسلم بحـوالي عشرة أيـام ، وبعـد أن لبث في مكـة حـوالي مائـة وعشرين يوماً، وفي اليوم الثاني لخروجه كـانت الكوفـة قـد وصلت إلى قمـة خذلانهـا بقتل مسلم بن عقيـل وهانيء بن عـروة أحـد قـادة العشائر الشيعية وذلـك بعد أن وصلت الأمـور إلى درجة أن مسلمـاً الذي بايعه في الأمس ثمانية عشر ألفاً كان يمشي في أزقـة الكوفـة وليس معـه دليل وليس معـه رجل واحـداً يهديـه الطريق. وقطعت طريق الكـوفة على الحسين وميـل به شمـالاً إلى كربـلاء التي وصلها عشيـة الثـاني من محـرم سنة ٦١ للهجـرة أي بعد حـوالي ثلاثـة وعشرين يوماً من خروجـه من مكة . فأنزلوا الحسين على أرضٍ بعيـداً عن الماء كمـا أتتهم الأوامر

من أميـرهم ونسـوا وصيّـة نبيهم ونسـوا عهـودهم ومـواثيقهم للحسين وانكـروا كتبهم ﴿نســوا الله فــأنســاهم أنفسهم﴾[1] . يكلمهم صحب الرسـول في جمـاعـة الحسين فيضعـون أصـابعهم في آذانهم ، يكلمهم الفقهـاء والقـراء من صحب الحسين فـلا يردون، يتـوجّـه إليهم الحسين (ع) بـالكـلام فيديـرون وجـوههم ﴿صُمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون﴾[2] تضـج خيام النسـاء والأطفال بـأنين العطش فـلا يتـأثـرون بـل يقـطعـون الأيـدي الممتدة إلى المـاء ويحجبـون بجيـوشهم مـاء الفـرات حتى عن الأنظار تاركين ميـاهه مـرتعاً للكـلاب والخنازيـر ومحرمـة على آل رسول الله . ثم ماذا ؟ ثم ترتكب أفظع جريمـة في التاريـخ الإنساني ، جـريمة تستنكرهـا مـلائكـة الـرّحمٰن ﴿أتجعـل فيهـا من يفسـد فيهـا ويسفـك الـدمـاء﴾[3] وأي دمـاء سفكت ؟ دمـاء المسبحين بحمـد ربهم دمـاء المقدسين لله تباركت اسماؤه، دماء الطيبين الطاهرين الفاضلين .

إن جريمة العـار هذه التي ارتكبت في هـذا المنعطف الخـطير من تـاريـخ البشـر تـطرح أسئلة مهمـة وتقلب رأسـاً على عقب الكثيـر من المفاهيم .

فهـل يمكن أن نجمـع صفـة الإسـلام على الحسين وقـاتله ؟ هـل يمكن القول أن حادثـة كربـلاء فتنة بين المسلمين ؟ هـل يمكن أن يكون الحسين مسلماً وفي نفس الوقت يكون قاتلوه مسلمين ؟ .

ومـا هـو مفهـوم الإسـلام ؟ وكــذلـك تــطرح نفس الأسئلة حـول الفواصل الإنسانية بين الحسين وقتلته .

فإذا قلنا أن قتلة الحسين ليسوا مسلمين وليسوا بشـراً يكون كـلامنا مجازيـاً وليس واقعياً، والأسئلة المطروحـة تبحث عن الواقـع وليس عن

---

(١) سورة الحشر ؛ الآية : ١٩ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٧١ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٣٠

المجاز ، أي واقعاً هل كان قتلة الحسين بشراً وهل كانوا مسلمين ؟ وهل إقرارهم بالشهادتين وباليوم الآخر وإقامتهم الفرائض كافية لإثبات إسلامهم ؟ وهل شكلهم وسلوكهم المعيشي المشابه لشكل وسلوك البشر كافٍ لإثبات بشريتهم وإنسانيتهم ؟ في الحقيقة ، ليس هناك مفر من القول بأن قتلة الحسين في الظاهر بشرٌ مسلمون ، وهنا تتعقد المسألة ويطرح سؤال أكثر دقة وهو كيف يجمع الإسلام والإنسانية مفاهيم متناقضة ؟ كيف يجمع الإسلام وهو الدين القيم الكامل والتام بين الحسين بكماله وبين قتلته بدونيتهم ، وهل هذا هو الدين الحق الذي يقول الله عنه ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[1] وكيف تجمع الإنسانية وهي المقام التي سجدت له الملائكة ، كيف تجمع بين جمال الحسين وقبح ذابحيه ؟ وكيف تجتمع قيم الفضيلة والرذيلة تحت أي مفهوم ؟ ﴿**أم هل تستوي الظلمات والنور**﴾[2] .

وهل يمكن الإجابة عن كل هذه الأسئلة وتسهيل العقدة بالقول بأن الحسين كان إنساناً مسلماً من النوع الجيد وأن قتلته بشر ملسمون من النوع الرديء ! خاصّة وأن الحسين نفسه كان يناديهم أيها الناس ويسألهم ألست ابن بنت نبيكم ؟

نجيب أن ليس الظاهر ولا الشكل ولا اللسان هم حقيقة أي كائن أو أي ظاهرة ، بل الحقيقة تكمن في العمق وفي الداخل في القلب ويصدقها الأفعال الصادرة عن هذا الكائن أو هذه الظاهرة . وما قلوب قتلة الحسين إلاَّ قلوب الشياطين وما أفعالهم إلاَّ أفعال الوحوش .

وقد أنبأ الحسين بحقيقتهم الوحشية وبأنهم ذئاب إذ قال : «كأن بأوصالي تقطعها عُسلان (أي ذئاب) الفلوات بين النواويس وكربلا ، فيملأن مني أكراشاً جوفا وأجربة سغبا» ، وقد أنبأ الحسين بأن قتلته كلابٌ

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣ .

(٢) سورة الرعد ؛ الآية : ١٦ .

إذ رأى ليلة العاشر في منامه كأن كلاباً تنهشه ، وإني أشهد يا سيدي يا حسين بأن الذئاب والكلاب الظاهرية أبت أن تمس طهارتك ولكن تلك الذئاب والكلاب الحقيقية راحت تنهشك وتلغ في دمائك فقطعت أوصالك ونهشت لحم محمد وفاطمة بنهشها لحمك وليس قديماً لاكت جدتهم هند كبد عم أبيك الحمزة .

وكما لم يكن في قتلة الحسين أي نسبة من الحقيقة الإنسانية فكذلك لم يكن لهم أي علاقة بحقيقة الإسلام والتوحيد ، فلطالما نادى الحسين في كربلاء «هل من موحِّد يخاف الله فينا ؟» فلم يجبه أحد ، وكذلك صرخت زينب بالقتلة عندما اجتمعوا على ذبح أخيها «ويلكم أما فيكم مسلم ؟» «سلام على الإسلام إذ قد بليت الأُمة براع مثل يزيد» . فالحقيقة أن قتلة الحسين كانوا أصحاب نفوس شيطانية لا تمت إلى الإسلام بصلة ، فهذا الحسين يناديهم «ياشيعة آل أبي سفيان ويا حزب الشيطان» ، إذاً فقتلة الحسين كما أفاد هو نفسه بشر مسلمون بالظاهر ولكن وحوش شياطين في الحقيقة **﴿إن هم إلَّا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾**[1] .

ونعود بالكلام إلى واقعة قتل الحسين عطشاناً عند شط الفرات مع أن قتلته يعلمون جيداً من هو الحسين ومن هم آباء الحسين ويعرفون جيداً فضائل الحسين وآبائه ، أليس يفتخر قاتله :

«إني قتلت السيّد المحجبا قتلت خير الناس أُماً وأبا»

أو ليس يعلم هؤلاء الذين يمنعون ماء الفرات عن الحسين في غربته بأن الحسين هو من بني هاشم الذي كان يهشم الثريد للحجاج القادمون من كل فج عميق فيطعمهم من جوع ، وأن الحسين هو من بني عبد المطلب الذي حفر ماء زمزم للحجيج ولأهل مكة ، وأن

---

(١) سورة الفرقان ؛ الآية : ٤٤ .

الحسين هو حفيد عبد الله الذي أُطعم الفقراء مائة ناقة فداءاً لذبحه ، وأن الحسين حفيد محمد (ص) الذي كان يفيض الماء من أصابعه وتستجيب الغمام لراحتيه ، وأن الحسين هو ابن علي (ع) الساقي على الحوض يوم القيامة يوم العطش الأكبر والفزع الأكبر ، وأن الحسين هو ابن فاطمة (ع) ولفاطمة نهر الكوثر في الجنة ، وأن الحسين هو الحسين نفسه الذي سقى ألف فارس من جند الكوفة مع خيلهم قبل أيام قليلة من وصوله إلى كربلاء مع شدة حاجته للماء وقتئذٍ .

نعم يعلمون بأن الحسين ثمرة الجود والكرم من شجرة الفيض والإيثار ، ويعلمون بأن الحسين ريحانة الرسول ، فكيف خلفوا رسول الله في وديعته ؟ لقد زحفوا بجفافهم وجفوتهم وجحودهم وقسوتهم وغلظتهم على وردة الرسول العطرة الطيبة ، زحفوا بالحقارة والعفونة على أطيب الأطيبين فمنعوا الماء وقطّعوا الأعضاء وعبثوا ونهشوا واستأصلوا وداسوا بالحوافر ، فهل هذا جزاء الرياحين **﴿هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان﴾**[1] ، هل هذا جزاء رسول الله ؟ .

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم   أن تخلقوني بسوء في ذوي رحمي

قتلوا الحسين عطشاناً عند شاطىء الفرات فمن يسقيهم يوم العطش الأكبر ؟ جدُّه أم أُمه أم أبوه ؟ .

﴿ونادىٰ أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾[2] .

---

(١) سورة الرّحمٰن ؛ الآية : ٦٠ .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية : ٥٠ .

حُبّ الحسين

حسينٌ مني وأنـا من حسين ، أحب الله من أحب حسينـا
فـأفسـدوا وسفكـوا دماً حبيبـاً ، والله لا يحب المفسـدين

قـال رسـول الله (ص) : «حسينٌ مني وأنـا من حسين أحب الله من أحب حسيناً» .

فهـل حسين من محمـد الشخص ؟ أم أن الحسين من محمـد النبوة والرسالة من محمد الإسلام والقرآن ، من محمد حبيب الله ؟ .

يقـول الحسين : «إنا أهـل بيت النبـوّة ومعـدن الرسـالـة ومختلف المـلائكـة» فحسينٌ مني تعني كمـا فسّـر الحسين : حسين من النبـوة والرسالة والوحي . فـأئمّة أهـل البيت أُناسٌ يجـري في عروقهم حب الله وليس الدماء ، ويحيـون ويعيشون بكلمـات الله وليس بالـطعام ويهتـدون بنـور الله وليس بـالشمس والقمـر إنهم أُنـاس «صحبـوا الـدنيـا بـأبـدان أرواحهـا معلقة بـالمحل الأعلىٰ ، أُولئـك خلفاء الله في أرضـه والـدعـاة إلى دينه» كما قال أمير المؤمنين (ع) .

إذاً حسين ينتمي إلى محمـد الإسلام . فكما أن محمداً جـزءٌ من الإسـلام والإيمـان إقتـرن اسمـه بـاسم الله عـزّ إسمـه إذ قـال تعـالىٰ : ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾[1] .

---

(١) سورة الإنشراح ؛ الآية : ٣٠ .

فلا يُقال لا إله إلاَّ الله إلاَّ وقيل محمد رسول الله ، فكذلك اقترن ذكر آل محمد بإسم محمد فلا يُذكر محمدُ إلاَّ وقيل صلّىٰ الله عليه وآله ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً﴾[1] فرحمة الله ومغفرته وبركاته وسلامه على النبي وآله تترنم بها السمٰوات والأرض ، فترى المصلّون يقولون «اللّهمّ صلّ على محمد وآل محمد» وتتجاوب معهم الملائكة ويستجيب الرّحمٰن فيصلّي على محمد وآل محمد . فمقام آل محمد مرتبط وملازم لمقام محمد ومنزلته من الإسلام والإيمان ، فأهل بيت محمد هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة .

فحسينٌ مني أي حسينٌ من الإسلام وأحد دعائمه وأركانه العظمىٰ . فلقد جسّد الحسين الدعوة الإسلامية كما جسدها النبي محمد الذي كان يوصف بأنه قرآن يمشي على الأرض وكذلك الحسين وأئمّة أهل البيت كان كل واحد منهم قرآناً يمشي على الأرض كان كل واحد منهم قرآناً ناطقاً . ألم يتواتر عن الرسول قوله : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» أي أنهما أي القرآن وآل محمد لن يفترقا إلى يوم القيامة عندما يسقي محمد من نهر الجنة . وبالتالي إلى جانب إرتباط إسم آل محمد بإسم محمد فقد إرتبط إسمهم بالقرآن «لن يفترقا» فحيث ترى القرآن تري أهل البيت وحيث ترى أهل البيت ترى القرآن كما يلازم الشيء ظله . فانظر إلى أهل البيت بين الآيات وانظر إلى الآيات في أهل البيت واعلم أنه لا فرق بين أن يكون الإمام قرآنك أو أن قرآنك الإمام «فإنهما لن يفترقا» فإنهم أي آل محمد مع القرآن والقرآن معهم . إذاً فحسينٌ مني أي حسينٌ من القرآن وآيته الكبرى .

والمعنى النهائي لحسينٌ مني أي حسين من الإسلام والقرآن من

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الاية : ٥٦ .

دين الله وكتاب الله ورسول الله «السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله» .

«وأنا من حسين» فلو كان محمدٌ مكان الحسين لسار بسيرة الحسين كما سار الحسين بسيرة محمد. فالنبي محمد (ص) من الإمام الحسين (ع) من حسين الثورة ومن حسين كربلاء وعاشوراء ومن حسين الشهيد الذي قاتل لإعلاء كلمة الله تماماً كما قاتل جدُّه ، ودعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة تماماً كما دعا محمد (ص) . وكما جاهد النبي حتى يقول الناس «لا إلٰه إلاَّ الله» فقد جاهد الحسين حتى يعمل الناس بـ «لا إلٰـه إلاَّ الله» لقد جاهد الحسين ليعطي لكلمة التوحيد معناها العملي ، جاهد لكي يقدر الله حق قدره ، جاهد لكي لا يكون الدين لعق على ألسنة الناس يحوطونه مادرت به معائشهم ويهجرونه ساعة البلاء ، جاهد لكي لا تصبح كلمة التوحيد سلعة تجارية نقبل عليها عند احتمال الربح وندير لها ظهورنا عند احتمال الخسارة ، جاهد لكي لا تكون كلمة التوحيد شعاراً يتغطى به الظلمة من حكام وفقهاء وقضاة ورواة ، جاهد ليقول أن الله تعالىٰ هو ربنا الأعلىٰ وليس فرعون وإن تسمى هذا الفرعون بأمير المؤمنين أو خليفة الله أو خليفة رسول الله **﴿إن هي إلاَّ أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾**[1] ، بل هي أسماء سرقوها من أصحابها فعبثوا بها جاهلين قيمتها .

إذاً لقد كان جهاد الحسين مكملاً ومتكاملاً مع جهاد النبي محمد (ص) فقد كان جهادهما في سبيل إعلاء كلمة الله وتعظيم شعائر الله . وما الطريق التي مشىٰ عليها الحسين إلاَّ الطريق التي شقها محمد (ص) ، وأن الحسين (ع) كان يتحرك ببدنه وروح جده وفكر جده ودين جدِّه وسيرة جده وأبيه كما عبر الحسين نفسه في وصيته لأخيه محمد

---

(١) سورة النجم ؛ الآية : ٢٣ .

في المدينة ، وهذا ما أوضحه الحسين نفسه في رسالته إلى أهل الكوفة في الخامس عشر من رمضان سنة ٦٠ هـ عندما كتب إليهم مع ابن عمه مسلم بن عقيل : «بسم الله الرّحمٰن الرّحيم ، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد ، فإن هانئاً وسعيداً قدما علي بكتبكم وكانا آخر من قدم علي من رسلكم ، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة جلكم : أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدىٰ والحق .

وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي ، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إليّ أنه قد أجمع رأي ملأكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدِمَتْ به رسلكم وقرأت في كتبكم ، فإني أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله تعالىٰ ، فلعمري ، ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الله ، الحابس نفسه على ذات الله . والسلام» ، نعم هذه هي مواصفات الإمام في دين محمد ولا يليق أن يتولى أمور أُمة محمد إلاّ من حكم بالقرآن وليس بالهوى ، وإلاّ من قام بالعدل وليس بالجور والظلم والعدوان ، وإلاّ الملتزم إعتقاداً وعملاً بالإسلام وليس الملتزم بالإسلام أداة ووسيلة إلى الملك وليس المخالف للإسلام في أبسط أحكامه . وأما سلاطين بني أُمية وملوكهم إبتداءاً بمعاويتهم وانتهاءاً بناهقهم فكانوا كما وصفهم الإمام الحسين في كلمته الشهيرة بعد أن حيل بينه وبين الدخول إلى الكوفة : «ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرّحمٰن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله ، وأنا أحق من غيَّر» ، نعم معصية وفساد ومحاباة ومحسوبيات ونهم ولمم واستخفاف بالحرمات ، هذه سيرة الجهاز الحاكم ، فمن غير الحسين المجسد لقيم الإسلام ، من غير الحسين المحمدي الذي هو من محمد ومحمد منه ، من غير الإمام الحق أحق من أن يغير ويبرىء الإسلام من تبعات

أعمـال ومواقف سلسلة الحكم الأمـوي المتمثلة في زمانـه بيـزيـد . ومن غير الإمام الحسين في عصر الضلال يهـدي سبيل الـرشاد ، وكـان الإمام الحسين بعد رسالته إلى الكوفة بأكثـر من شهر بعث بـرسالـة خاصّـة إلى ستة أشخاص من أشراف البصرة وقاداتها .

بعث الحسين رسـالته هـذه مع أحـد رجـالات البصـرة المخلصين واسمه سليمان المكنى بـأبي رزين ، ونص الرسـالة كـالآتي : «بسم الله الـرّحمٰن الرّحيم ، من الحسين بن علي بن أبي طـالب . أما بعـد ، فإن الله اصطفىٰ محمداً من جميع خلقه وأكرمه بنبـوته واختـاره لرسـالته ، ثم قبضـه إليه مكـرماً ، وقـد نصـح لعبـاده وبلغ مـا أرسـل بـه ، وكنـا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته ، وأحق الناس بمقامه في الناس، فأستـأثر علينـا قومنا بذلك فرضينا وكـرهنا الفـرقة وأحببنـا العافيـة ، ونحن نعلم أنّا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه .

وقـد بعثت رسولي إليكم بهـذا الكتاب ، وأنـا أدعـوكم إلى كتـاب الله وسنـة نبيه ، فـإن السنـة قـد أميتت ، وإن البـدعـة قـد أحييت ، وإن تسمعـوا قولي وتـطيعوا أمـري أهـدكم سبيـل الـرشـاد ، والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته» .

نعم لقد كان الحسين الصوت المحمدي الهادر الذي يعلم النـاس متى يهدؤون ومتى يتحركون، فسلامـة الإسلام المتمثـل بكتاب الله وسنـة رسـوله هـو الأسـاس ومـا دام هـذا الأسـاس سليم فـلا ضيـر أن يتغاضى المؤمن عن بعض الأمور في سبيل مصـالح عليـا كحفظ وحدة المسلمين وحفظ دمائهم ، أما أن يزوِّر الإسلام ويسـاء إليه فهـذا ما لا يـرضاه مؤمن وهـذا ما لم يـرضـه الإمـام الحسين إذ رفض أن يكـون شـاهـد زور على إنحـراف وضـلال حكـام السـوء ، فمـا كـان للحسين أن يـرتضي إلّا مـا ارتضاه الله ولذلك «أحب الله من أحب حسيناً» .

«أحب الله من أحب حسينـاً» ومـا أدرك مـا حب الله ومن يـحب

الله ؟ الله يحب من يتبع رسله ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[1] فحب الله للحسين من حبه لله ولرسوله تماماً كما كان أبيه «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» ، وفاض حب الله على الحسين ليشمل من يحب الحسين . فالله يحبُّ لحبِّ الحسين وما أعظمه من حب أن تحب من يحبون حبيبك . وكيف لا يحب الله محبين الحسين وحب الحسين من الدين ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ﴾[2] .

«من معشر حبهم دين وبُغضهم كفرٌ وقربهم منجى ومعتصم»

أو لم يقل الرسول : «يا علي لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق» ، فحب علي والأئمة من بنيه إيمان وأمان .

لقد آمنت نفسي بكم في حياتها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي .

أحب الله من أحب حسيناً أحب الله من أحب الدين والإيمان في الحسين أحب الله من أحب محمداً في الحسين ، وأحب الله من أحب حسيناً في محمد صلوات الله عليهم . ولقد استشعر الحسين حب الله في جميع حركاته وسكناته ، لقد استشعر حب الله وهو في قمة اضطراب أحاسيسه ومشاعره التي قد تذهله أو تميل فؤاده .

ففي وحشة غربته ووحدته نادى الله سبحانه «تركت الخلق طراً في هواك» فقد أستأنس الحسين بحب الله وعشقه وذهل عن الخلق كلهم ، ثم ماذا؟ في غاية قلقه على تيتم عياله وسبي نسائه بعده يشتاق الإمام إلى رؤية الله «ويتمت العيال لكي أراك» ، ثم ماذا ؟ مع شدّة آلام الجراح النازفة وحدة السيوف والرماح على نعومة بدنه ، أوصاله تتقطع ويبقى قلبه يخفق بحب الله وحده :

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٣١ .
(٢) الشورىٰ ؛ الآية : ٢٣ .

«فلو قطعتني بالحب إرباً لما مال الفؤاد إلى سواك»

وما أحلى الرجوع إليه تحت ظلال السيوف وتلا الحسين كلمة السر «بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله» .

والتقىٰ الحبيب بالحبيب . فمن كان يرجو هذا اللقاء فليبع نفسه ابتغاء مرضاة الله ، فليبع نفسه لخالقها وما أربحها من تجارة مع الله إذ يشتري منك ما هو أصلاً له وما أعظمه من أجر **﴿رضوان من الله أكبر﴾**[1] فعجباً لقتلة الحسين يبيعون أنفسهم للشيطان وما أبخس الثمن ! وهماً في الدنيا وعذاباً في الآخرة **﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم﴾**[2] ومن صنف هؤلاء الظلمة الجهلة أولئك الذين تسابقوا إلى الفساد بسفك دماء الحسين وأهله وصحبه طمعاً وغباءاً فانقلبوا على وجوههم خاسري الدنيا والآخرة فلا في الدنيا حصلوا على ما توهموا بل لوحقوا وقتلوا ولعنوا ، وما لهم في الآخرة من خلاق ، فلقد أفسدوا **﴿والله لا يحب المفسدين﴾**[3] ولقد قتلوا من يحب الله لِحُبّه فخسروا حُبَّ الله وما أعظمها من خسارة **﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾**[4] .

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٧٢ .
(٢) سورة إبراهيم ؛ الآية : ٢٢ .
(٣) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٤ .
(٤) سورة البقرة ؛ الآية : ١٦ .

المـودّة في القربى

لم يســألهم طـه على الـدين أجـراً ، إلاّ المـودّة في الأقـربين
فقطعوا الرؤوس جاحدين ووطؤوا الصدور والظهور حاقدين

في عالم تعلو فيه الإعتبارات العائلية والعشائرية والقبلية والقومية صرخ الرسول محمد بالحقيقة الإنسانة المنسية : «كلكم من آدم وآدم من تراب» :

«فإن يكن لهم من أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء»

وفي عالم تطغىٰ فيه القيم المادية وتستقطب أفئدة الناس أدرك النبي محمد (ص) عمق النفس الإنسانية وكشف الحجب عن جوهرة مكنونه وهي أن «الغنى غنى النفس» ، وصقل النبي هذه الجوهرة وأزال عنها شوائب الهوى ورين القلوب فشعت القيمة الإنسانية العليا وهي أن حب الله هو الكرامة والعزة والشرف والكمال الإنساني **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾**(١) ، ولا سبيل إلى تحقق حب الله وتبادل هذا الحب مع الله إلاّ باتباع الرسول والإلتزام بمبادىء الرسالة ، وعليه فلقد كان الإسلام دعوة إلى صياغة جديدة للإنسان بأفكاره ومشاعره ومبادئه وانتمائه وحركته .

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧١ .

ولقد طرح الإسلام فلسفة مشاعر جديدة ومميزة على مستوى مجتمعات التاريخ البشري كما طرّح هوية إنسانية جديدة ، هوية تتعدى العائلة والوطن والأرض ، إنها هوية الإنتماء إلى الله مبدئنا ومعادنا **﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾**[1] . فلقد طرح القرآن أخوة الإيمان **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾**[2] كما طرح كرامة التقوى لا النسب **﴿إن أكركم عند الله أتقاكم﴾**[3] . وقد سئل أحد صحب الرسول عن أبيه فرَدَّ «أنا ابن الإسلام» إبن أُمة الإسلام والإيمان **﴿كنتم خير أُمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**[4] أُمة العقيدة والمسؤولية والأمانة **﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾**[5] .

وكما أسّس النبي محمد أُمة الإسلام فقد أسّس أيضاً بيت الإسلام ودعى إلى أهلية هذا البيت دعى إلى أن نكون من أهل هذا البيت الطاهر ، من أهل بيت رسول الله «سلمان منا أهل البيت» ، نعم سلمان الفارسي أصبح سلمان المحمدي بإيمانه ، سلمان القادم من بلاد المشرق البعيدة أصبح شديد القربة والقرابة بانجذابه إلى حب محمد وآله ، سلمان الغريب الشريد أصبح من عداد آل محمد الطيبين الذين يتقرب إلى الله بحبهم .

إذاً فللإسلام دعوة واضحة للإنتماء إلى الله على المستوى العقائدي الإيماني ، وكذلك فإن للإسلام دعوة إلى تأطير المشاعر بالله ، أن نحب في الله ولله ، ألم يقل حبيبُ الله صلوات الله عليه وآله «حب الأنصار من الإيمان» حبهم من الإيمان لأنهم نصروا الإيمان ، أو

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٦ .
(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ١٠ .
(٣) سورة الحجرات ؛ الآية : ١٣١ .
(٤) سورة آل عمران ؛ الآية : ١١٠ .
(٥) سورة البقرة ؛ الآية : ١٤٣ .

لم يشترط الرسول في الإيمان حبّ علي «يا علي لا يحبك إلاّ مؤمن» حبه إيمان لأنه «رجلٌ يحب الله ورسوله ويُحِبُّه الله ورسولُه» أو لم يكشف الرسول عن سر النظر إلى وجه علي مصرحاً «النظر إلى وجه علي عباده» لأن وجهه من الوجوه التي كرمها الله عن أن تخر إلاّ لعظمة الله ساجدة . أو لم يدعو الرسول إلى حب الحسنين ويدعو الله أن يحب من يحبهما ، أو لم يقل (ص) «إن الله ليرضى لرضا فاطمة» لأن فاطمة لا ترضى إلاّ لله .

إذاً فمن أحب الله أصبح جزءاً من هذا الكون المسبح لله في جميع جزئياته وأصبح آية لا تزيد المتأمل والمتفكر إلاّ هداية وقرباً وحباً لله . وهكذا كان آل البيت كانوا آية كبرىٰ ، بموالاتهم وبمودّتهم كمل الدين وتمّت النعمة ورضي الله لنا الإسلام ديناً ، فعليه كان الحد الأدنىٰ من التكاليف على أمة الإسلام أن تعرف قيمة هذا البيت وتحاول الإنتساب إليه بحب أهله وولايتهم ومودتهم وبهذا نزل الأمر الإلٰهي على محمد (ص) ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ**﴾[1] .

ومنعاً للخلاف والتنازع في تفسير آية المودّة هذه نترك الأمر للإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع) عندما وصل موكب سبايا كربلاء إلى الشام فشمت بهم أحد الشيوخ حامداً الله على أسرهم وتمكين الحاكم يزيد منهم . فسأله الإمام الأسير : يا شيخ ، هل قرأت القرآن ؟ قال : نعم . فسأله الإمام العالم : هل قرأت ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ**﴾ أجاب الشيخ : نعم قرأتها . قال الإمام العارف : فنحن القربىٰ . . . فارتعش الشيخ باكياً آسفاً نادماً .

---

(١) سورة الشورىٰ ؛ الآية : ٢٣٠ .

فكيف كانت المودّة في القربىٰ في الإمام الحسين وأهله (ع) ؟ كيف كانت المودّة في المدينة مدينة الرسول جدِّه ؟ كيف كانت المودّة في مكة عند بيت الله ربه وربّ آبائه ؟ كيف كانت المودة في الكوفة كوفة علي أبيه ؟ كيف كانت المودّة في كربلاء ؟ كيف آجروا محمداً (ص) بالحسين ؟ .

لقد كانت الأوامر واضحة إلى حكام جميع أقطار العالم الإسلامي حينها ! إما أن يبايع حسين يزيداً وإما أن تضرب عنقه . إما أن يقطع الحسين بسيوف الذل وإما بسيوف الحديد ؟ وهيهات أن يختار الحسين حدة وثقل الذل على طراوة الحديد وخفته ، هيهات أن يحار الحسين بهذا الخيار ، «هيهات منا الذلة» .

هذا خيار الحسين ، فماذا كان خيار أُمة جدِّه ؟ .

في المدينة كانت أوامر يزيد لحاكمها واضحة «خذ الحسين بالبيعة أخذاً عنيفاً ، . . . فإن أبىٰ فاضرب عنقه» .

وهكذا كان رأي مروان بن الحكم وزير الحاكم الحاضر النصيحة أبداً «أحبسه فإن بايع وإلاّ ضربت عنقه» فكان رد الحاكم وليد بن عتبة «والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً أن قال لا أبايع» . فعُزل حاكم المدينة لأنه من لا يبادر إلى ذبح الحسين مجاناً لا مكان له في ذلك العالم الودود ! وقبل أن تستقر الآراء في المدينة خرج الحسين بأهله فاراً بدينه وأهله إلى مكة عسىٰ أن تكون له حرمةً هناك عسىٰ أن تدرك له حرمة من حرم الدين أو القربىٰ أو البلد . ولكن بإنتقال الحسين من المدينة إلى مكة انتقلت مهمة قتل الحسين من حاكم المدينة إلى حاكم مكة عمرو بن سعيد بن العاص وكُلِّف بعملية الإغتيال ثلاثون من قوة التدخل السريع ، من محترفي قتل الأولياء ليغتالوا ولي الله في بيت الله في شهر الله شهر الحج لينتهكوا أكبر عدد من الحرمات ويسجلوا سابقة

تـاريخية في انتهـاك حـرمـة الله والـرسـول والـولي وحـرمـة البلد والبيت والشهر واليوم .

فقرر الإمام الحسين أن يفوّت هذه الفـرصة على بني أُميّـة ويخفف من غضب الله متـوقـع عـلى أمـة الإسـلام ففـوجـيء النـاس بـنيـة الحسين مغادرة مكة يوم التروية قبل يوم الوقوف على عرفات بيوم فعدل عن نيّة الحج وأتىٰ بعمرة منفردة وتهيأ لمغادرة الأرض التي طالما صلّىٰ عليها وطالما دعا ربه عندها وخاصة في تلك الأيام المباركـة . فلحق به أخـوه من أبيه محمـد بن الحنفية محـاولاً رده عن الخروج فـأجابـه الإمام «يـا أخي لقد خفت أن يغتـالني يزيـد بن معاويـة في الحرم فـأكـون الـذي تستبـاح بـه حرمة هذا البيت» فخرج مسرعاً ولو لم يعجل لأُخِذَ أخذاً. خرج الحسين أمـانة الله ورسـولـه وحبيبهمـا من مكـة بعـد المـدينـة ، خـرج من تحت السيوف فهل تتركه السيوف هل يـرضىٰ القتلة الذي يتـرصدونـه ؟ لا والله حتى ينتقمـوا من رسـول الله في القـربىٰ . عنـدمـا أراد الحسين (ع) مغـادرة أرض الحجـاز إلى العـراق جـاءه ابن عم أبيـه عبـد الله بن العبـاس بن عبد المـطلب فقال لـه : «إني أتخوف عليـك في هذا الـوجه الهـلاك والإستئصال» ونصحـه بـالبقـاء في مكـة أو التـوجـه إلى اليمن . فقال له الحسين (ع) : «يـا ابن عم ، ما تقـول في قوم أخـرجوا ابن بنت رسول الله عن وطنه وداره وقراره ، وتركوه خائفـاً مرعـوباً ، لا يستقـر في قـرار ولا يأوي إلى جـوار ، يريـدون بذلـك قتله وسفـك دمـه ، وهـو لم يشـرك بالله شيئـاً ولا اتخذ دونـه وليـاً ولـم يـرتكب منكـراً ولا إثمـاً» ، ثم قـال (ع) بعد أخـذ ورد : «يـا ابن عبـاس ، إنهم يـطلبـونني أينمـا كنت حتى أبـايعهم كرهـاً أو يقتلونني ، وأيم الله لـو كنت في حجـر هـامـة من هـذه الهوام لاستخـرجوني حتى يقضـوا بي حاجتهم ، والله ليعتـدن عليّ كمـا اعتدت اليهـود في السبت ، وإني مـاضٍ في أمـر رسـول الله حيث أمـرني ، وإنـا لله وإنـا إليـه راجعـون» . فخـرج ابن عبـاس وهـو يقـول واحسيناه . نعم ترك رسول الله أُمته على المحجـة البيضاء على الصـراط المستقيم صـراط الذين أنعم عليهم فـأبوا إلّا أن يكـونـوا من المغضـوب

عليهم إذ شُرِّد الحسين بينهم ولوحق من حكام بني أُمية «إنهم لن يتركوني حتى لو اختبأت في حجر حيوان ، إنهم يريدون مني ما لم أرضخ له أبداً ، وأُريد منهم ما لم يرضوا به أبداً» ، يريد لهم حياة العزة ولا يرضون إلاَّ بالذل . وضاقت الأرض على الحسين أينما يولي فثم سيف فوق عنقه «القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم» ، يهرب من شر قتلة إلى قتلة أشر ، يهرب من لئيم إلى ألأم ، يهرب من مكة إلى الكوفة فتنتقل مهمة قتله إلى حاكم الكوفة الجديد بدل حاكمها القديم النعمان بن بشير الذي أظهر تساهلاً في قضية الحسين فاستبدل بعبيد الله ابن زياد ابن أبيه الذي أصبح حاكماً للكوفة إلى جانب ولايته على البصرة بموجب كتاب يزيد الذي جاء فيه : «وقد ابتلى بالحسين زمانك من بين الأزمان ، وابتلى به بلدك من بين البلدان ، وابتليت به من بين العمال وفي هذه تعتق أو تكون عبداً تُعبّد كما تعبد العبيد .

وقد أخبرني شيعتي من أهل الكوفة أن مسلم بن عقيل يجمع الجموع ويشق عصا المسلمين وقد اجتمع إليه خلق كثير من شيعة أبي تراب . فإذا أتاك كتابي هذا فسر حين تقرأه حتى تقدم الكوفة فتكفيني أمرها فقد ضممتها إليك وجعلتها زيادة في عملك . وانظر أن تطلب مسلم بن عقيل كطلب الحرد ، فإذا ظفرت به فخذ بيعته أو أقتله إن لم يبايع واعلم أن لا عذر لك عندي . وما أمرتك به فالعجل العجل والوحى والسلام» .

ففهم ابن زياد كيف ينفذ مهمته جيداً فإنه ابن أبيه في إجرامه وعقده ، فانبعث هذا الأشقىٰ الجديد وأرسل وصيته إلى قائد جيشه في كربلاء عمر بن سعد بن أبي وقاص : «وإن قتلت حسيناً فأوطيء الخيل صدره وظهره لنذر نذرته وقول قلته» ، ترى لمن نذر هذا النذر ؟ لله أم لرسول الله ؟ يا رسول الله وديعتك الذي لم يكن ليفارق عطف يديك وحنانهما يؤمر بأن تتلقفه حدة حوافر الخيل بعد حدة قواطع السيوف

بحجة النذر والوفاء بالنذر ، بحجة الكلمة وشرفها وأنت يا رسول الله وحفيدك الحسين أشرف من جعل للكلمة شرفاً .

أيها القاتلون جهلاً حسيناً — أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم — من نبي وملائك وقبيل
قد لعنتم على لسان داوود — وموسى وصاحب الإنجيل

وكيف لا يلعن أهل السماء هذا الجحود للآيات والنُذر ؟ .

فعند العصر من يوم العاشر من محرم سنة ٦١ هـ وبعد قتل الحسين بعد مفارقة روحه لبدنه وبعد فصل رأسه عن جسده ، بعد إسقاطه آخر شهيد على تراب كربلاء وليس له ناصر إلاَّ الله الذي يسمع ويرى ، بعد المذبحة المروعة إستعد عشرة من فرسان العرب لوفاء نذر الأمير ناسين الرسول ، ولإشباع البطون جاحدين بالقلوب والعقول ، وأُكْرِهَتْ الخيل على أن تدوس على صدر الحسين ومن ثم ظهره ، كل هذا وفاءاً للغدر وحباً بالحقد وإيماناً بالجحود . وتمزق الجسد الذي حمل روح الحسين سبعة وخمسين سنة وعاد الخيالة يترنمون :

نحن وطأنا الظهر بعد الصدر — بكل يعبوب شديد الأثر .

هكذا يا رسول الله كان المودّة في القربىٰ في قرباك وهم يقرؤن : ﴿طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾[1] .

---

(١) سورة طه ؛ الآية : ٢ .

ابن فاطمة

حسين ابن الطاهرة الفاضلة ، ابن سيدة نساء العالمين
فخذلوا ابن فاطمة ونصروا ابن مرجانة شكاً بعد يقينا

حسين ابن فاطمة بنت محمد وخديجة ﴿إن الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[1] .

حسين ابن فاطمة وما أدراك من فاطمة ؟ فاطمة الزهراء لنورها ، فاطمة الحوارء لمكانها من الجنة ، فاطمة الكوثر عطاء الله للرسول ، فاطمة السيدة لمقامها بين النساء ، فاطمة أُم أبيها «فداها أبوها» . فاطمة هي فاطمة .

فاطمة التي أطلع الله على خير أهل الأرض فاختار أبيها ، ثم أطلع الله على خير أهل الأرض فاختار زوجها ، فاطمة أم الحسن والحسين فاطمة أُم الأئمة الطاهرين إلى المهدي عجلّ الله تعالىٰ فرجه .

فاطمة التي يرضىٰ الله لرضاها ، فاطمة هي فاطمة .

دخل بيت فاطمة جارية اسمها فضّة أو فقل دخل إلى مدرستها

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٣٤ .

تلميذة إسمها فضّة فكانت ممن ﴿يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾[1] وكانت ممن ﴿سقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾[2] .

ثم غابت فضّة وبعد عشرات السنين عثر التاريخ على إمرأة لا تتلفظ إلّا بآيت الله ، فسُئِل أبناؤها الأربعة عنها فقالوا : «هذه أمنا فضّة جارية الزهراء ما تكلمت منذ عشرين سنة إلّا بالقرآن» .

فإن كان هذا مستوى من تربى على يدي فاطمة ،فترى كيف كانت فاطمة ؟ .

هذه مولاتك فكيف أنت يا مولاتي
يا زهراء سلام اللّه عليك والصلواتِ
يا من آنرتِ في السماء ومحوت الظلماتِ
يا حوارء في جنة خاتم النبواتِ
يا آبنة خديجة يا طاهرة من الطاهرتِ
يا حليلة الأمير بقضا رب السمٰواتِ
يا كوثر بالحسنين فاض وبالحسناتِ
يا أم البيت وأهله يا أم الهداتِ
يا فاطمة يا قلب الرسالة والآيات
فداكِ أبوك يا أمّهُ يا روحه في الجنباتِ
يا رضى اللّه يا ثائرة يا عبرة الوجناتِ
يا غريبة الليل يا شوقاً إلى الجناتِ
يا شعاع الحياء في الحياتين وفي الممات
يا صديقة يا طيبة يا سيدتي ومولاتي

نعم هذه هي فاطمة وما الحسين إلّا نورٌ من زهراء السمٰوات

---

(١) سورة الإنسان ؛ الآية : ٨ .

(٢) سورة الإنسان ؛ الآية : ٢١ .

وحوراء الجنات ، ومـا الحسين إلاَّ عبقٌ من سيّدة الـطهارة والـطيب، وما الحسين إلاَّ فيــضٌ مـن بـركة كـوثر الإيمـان والإسـلام و مـا الحسين إلاَّ عــلـمٌ فـوق سبيل الهدى ودرب الحق مع الغـريبة الثـائرة ، ومـا الحسين إلاَّ وارثٌ لأعـمــق مشـاعر الحنـان ولأرقىٰ قيم الصدق والعـدل في روح الصديقـة ، ومـا الحسين إلاَّ صفيّ من الصفوة. «السـلام عليك يـا وارث آدم صفوة الله» .

لقد كانت فـاطمة حنـاناً صـافياً ، لقـد كانت (ع) مـرهفة المشـاعر الصـادقة بـدمعتها السـابقة وبسمتهـا الهادئـة وكلمتها المحكمـة ، كـانت لشـدّة حبها لأبيهـا سريعـة اللحاق بـه إذ لم تلبث بعده إلاَّ قليـل ، وقـد تأججت مشاعرها منـذ اللحظات الأولىٰ لـوفاة والـدها فلقـد أقبلت باكيـة بعـد دفنه قـائلة : «كيف طـابت أنفسكم أن تحثـوا على وجـه رسـول الله التـراب» . فهل كـانت فاطمـة (ع) تستطيـع العيش لتـرى إبنهـا الحسين عاري البدن بلا كفن وفوق التـراب بلا دفن ومقـطوع الرأس فـلا وجه لـه يحثى عليه التراب ، ولئن ندبت (ع) أبيها قائلة :

«يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه مِن ربه مـا أدناه ، يـا أبتاه مَن ربـه ناداه ، يا أبتاه إلى جبرائيل ننعاه ، يا أبتاه جنـة الفردوس مـأواه ، يا أبتـاه لست بعـد اليوم أراه»، فلقد حق للشاعـر الخزاعي أن يـدعوهـا للنهـوض من قبرها لندبة إبنها :

«أفاطم قومي يا ابنة الخيـر واندبي نجـوم سمٰـوات بـأرض فـلات» .

وفـاطمـة التي رضعت الـطهـارة وتـربت في ظـل الـوحي وعـاشت تحت راية عدل أبيها ، فاطمـة (ع) تحطمت عنـدما غـاب أبوهـا وانكسر قلبهـا قبل ضلعهـا وآلمها الـظلم أكثر ممـا آلمها سقـوط جنينهـا وضـاقت عليها الأرض بعدما رحب فصرخت :

«صبت علي مصـائب لـو أنهـا صبت على الأيام صرن ليـالياً»

فهل كانت فاطمة تستطيع أن يزاد عليها مصيبة ذبح الحسين عطشاناً عند شاطىء الفرات وتغسيل بدنه بدمه :

«أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط الفرات»

وما نقموا من الحسين إلاّ لكونه حاملاً لمشاعر أُمه وقيمها ، وما نقموا منه إلاّ لحمله للحنان والعدل في زمن القسوة والظلم عندما خرج يريد الإصلاح في أُمة جده .

فسلَّطوا على ابنِ فاطمة ابنَ مرجانة ، لقد سلطوا على الحسينِ عبيدَ الله ، وَوَكلوا أمر الحسين أخيراً إلى ابن سِفاح وربيب سفّاح فكان أهلاً لأبشع وأقذر جريمة ومجزة جماعية .

وعبيد الله كان ينسب رسمياً إلى زياد ابن أبيه وزياد الآخر كان له أيضاً نسب رسمي لأبي سفيان ونسب عرفي لعبيد ولاختلاف الإدعاءات عرف بابن أبيه وبابن سُمية .

إذاً ما دام بين الطهارة والرجاسة عداوة قديمة ، فخير من يتصدى للحسين الطاهر ابن الطاهرين هو الأمير الجديد عبيد الله ابن زياد الذي أعطي ولاية الكوفة إضافة إلى ولايته السابقة على البصرة ، وبدأ الأمير بمهمة قطع الرؤوس فقتل أولاً رسول الحسين إلى البصرة سليمان ثم صلبه ليلاً ، ثم توجه صباحاً إلى الكوفة فدخلها بعمامة سوداء فظنه البعض بأنه الحسين الذي قد أرسل مع ابن عمه مسلم بأنه قادمٌ إلى الكوفة وشيكاً إن شاء الله . ثم فاجأ الناس من قصر الإمارة بأنه ابن زياد الذي يقطر سيف أبيه من دمهم ، ثم بث الدعايات والجواسيس فاضطربت الكوفة إضطراباً يغمره إضطراب . ثم في التاسع من ذي الحجة عام ٦٠ للهجرة قتل مسلم ابن عقيل ابن عم الإمام الحسين وثقته من أهل بيته ووكيله على الكوفة ، وقتل هانىء بن عروة أبرز وجهاء الكوفة الموالين لأهل بيت النبوة ، ثم اعتقل المختار الثقفي أبرز رجالات الدعوة للحسين (وصاحب الإنقلاب المشهور في تاريخ الكوفة

والـذي على يده يُقتـل معظم الـذين شاركـوا بمجـزرة كـربـلاء) واعتقـل سليمـان بن صرد الخـزاعي (الصحابي الشهير والمناصر القوي لـلإمـام الحسين وقـائـد ثـورة التـوابين بعـد مقتـل الحسين) واعتقـل المسيب بن نجبـة الفزاري (وهـو أيضاً من قـادة التوابين) واعتقـل غيرهم وهـرب من هـرب من الكوفـة . هذه الأحـداث كلهـا تمّت والحسين في طـريقـه من مكة إلى الكوفة .

ولقـد قتل عبيـد الله أيضـاً عبـدَ الله بن بقـطر الـذي أرسله الحسين قـدامـه من مكـة ثم قتـل بعـده قيس بن مسهـر الصيـداوي وهـو رســول الحسين إلى الكوفة أرسله الإمـام بعد أيـام من مغادرتـه لمكة ، وكـذلك قتـل ابن زياد ميثم التمـار وقد كـان من الأتقياء المقـربين لآل البيت وهو من خاصة أصحـاب الإمام علي . إذاً ابن مـرجانـة حاضـر السيف سيف العقـد الـظالم الغشيم سيف الأطمـاع الأعمى . وجيَّش ابن مـرجــانـة الجيـوش واستعد بكـوفة الجنـد لـلإجهـاز على الحسين عسـاه ينتقم من طهارة علي وفاطمة ومن قبلهما طهارة محمد (ص) .

ومنع الحسين من دخول الكوفة ونـزلوا بـه شمالاً إلى أرض تسمى كـربلاء وصلهـا في الثاني من محـرم بحراسـة ألف مقاتـل كـوفي بقيـادة الحر بن يزيد الريـاحي ، ثم تبعهم أربعة آلاف بقيـادة عمرو بن سعـد بن أبي وقـاص القرشي أي من قـريش أي عارفـاً للحسين سيّـد قـريش وابن أسيادها . وعمرو بن سعد أيضـاً عارفـاً لشهر محـرم وحرمتـه عند العـرب عامة وعند قريش خاصة وعند المسلمين أخصّ .

فكيف روعيت حرمة أهل البيت وحرمـة الشهر ؟ يقـول الإمام علي الرضا ابن موسىٰ ابن جعفر ابن محمد ابن علي ابن الحسين :

إن المحـرم شهر كـان أهل الجـاهلية يحـرمون فيـه الظلم والقتـال فاستحلت به دماؤنا وهتكت فيـه حرمتنـا ، وسبيت فيه ذرارينـا ونساؤنـا ،

وأضرمت النار في مضاربنا ، وانتهب ما فيه من ثقلنا ولم ترع لرسول الله (ص) حرمة في أمرنا» .

نعم حتى قيم الجاهلية انتهكت في الإمام الحسين وأهله وحتى حُرُمات الجاهلية استبيحت في ذرية فاطمة (ع) . فكانت جاهلية ما بعد الإسلام أجهل من جاهلية ما قبله .

وقد وقف الإمام الحسين (ع) صبيحة اليوم العاشر من محرم فنادى الجموع المحتشدة لقتله : «أنظروا ، هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي» .

فيأتي الرد : «لا ندري ما تقول يابن فاطمة ، إنزل على حكم الأمير» أو «أنزل على حكم ابن عمك» أي يزيد ، يريدهم أن ينزلوا على حكم الله ورسوله ويريدون حكم الأمير ، يريدون من إمام الطهارة والكرم والعدل أن ينزل على حكم إمام الرجاسة واللؤم والظلم . فإذا سألتهم هل تستوي الظلمات والنور ؟ يقولون لا فالظلمات أفضل . نعم انقلبت المقاييس ، فإذا كان ابن زياد يتحرك من خلال عقد النقص عنده فهذا يفسر دوافع مبادرة الرجل إلى أذية الحسين ، أما جيشه الذي يعرف الحسين ويعرف عبيد الله والذي يعرف فاطمة ويعرف مرجانة والذي يعرف خديجة ويعرف سمية ، هذا الجيش برجاله وقادته يعرف ما يعرف كيف يبيع يقينه بالشك ؟ نعم لقد انقلبت مقاييسه بعد أن أظلم قلبه فصار يرى الحق باطلاً والباطل حقاً ويرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، ولكن هيهات على الإمام الحسين أن يجعل علمه جهلاً أو يقينه شكاً هيهات على إمام الهدى أن ينزل على حكم إمام الضلال ، هيهات أن يؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام. فما كان من جند الكوفة إلَّا أن أعلنوا الجهاد على الحسين ، وتفوق بنو يعرب على بني إسرائيل ، فلئن قال بنو إسرائيل لموسىٰ : ﴿**فاذهب أنت**

وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون﴾[1] فلقد قال بنو يعرب تعـال يا محمـد أنت وربـك فقاتـلا فإنـا إياكمـا مقاتلون . فلقـد أعلنوهـا حربـاً على الله ورسـوله فقتلوا حبيبَ الله ورسـوله بعـد أن آذوه في أهله وصحبه ، وبعـد قتله أيضـاً آذوا جسده وآذوا مـا تبقى من أهله . ويا لـلأسف هؤلاء الذين ارتكبوا هذه المجزرة هم نفسهم ما يسموا بجند الكـوفة أو كـوفة الجنـد ، أي الثكنة العسكرية للدولة الإسـلامية التي تـرسل منهـا الجيوش والفـرق للجهـاد في «سبيل الله» فجـاءت كربـلاء لتفضـح الـمـرتـزقـة المتـلبسين بثيـاب المجاهـدين وجاءت لتفسـر سبب إنكفاء المسلمين والإسـلام من الكثير من البلاد المفتوحة ، وجاءت كربلاء لتؤكد من جـديد بـأن الجهاد الأكبر أي جهاد النفس وتـربيتها هـو أكبر من الجهـاد الأصغر أي القتـال وأن الجهاد في الإسلام هو طرح حضـاري لإخراج النـاس من الظلمـات إلى النـور وليس للسلب والإحتلال والغنيمـة لذلـك قـال الـرسـول (ص) مـرّة لعلي (ع) : «لإن يهدي الله بـك امرءاً واحـداً خير لـك ممـا طلعت عليه الشمس» أي خير من الدنيا وما فيها .

ومـا انتفض الإمام الحسين ومـا قام إلاَّ ليعـطي الجهـاد ويعيـد لـه رايـة الهدى قبـل أن يتحول إلى وسيلة للسلب والنهب والإرتـزاق ، وثـار الإمام لكي لا يتحرك الجهاد تحت رايات الضلال وهذا مضمـون صرخـة الحسين الكـربلائيـة الشهيرة : «إن كـان دين محمـد لا يستقيم إلاَّ بقتلي فياسيوف خذيني» .

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٢٤ .

ابن علي

حسينُ ابن علي المرتضى ابن الوصي أميرِ المؤمنين
فقطعوا أصبع شهيدٍ لسلب خاتم، ونسوا زكاة الراكعين

قال الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) في خطبة في الشام بعد أيام من مقتل الحسين :

«أنا ابن علي المرتضىٰ ، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إلٰه إلّا الله ، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله (ص) بسيفين وطعن برمحين وهاجر الهجرتين وبايع البيعتين وقاتل ببدر وحُنين ولم يكفر بالله طرفة عين ، أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين وقامع الملحدين ويعسوب المسلمين ونور المجاهدين وزين العابدين وتاج البكائين وأصبر الصابرين وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين ، أنا ابن المؤيد بجبرائيل المنصور بميكائيل ، أنا ابن المحامي عن حُرَم المسلمين ، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين ، والمجاهد أعداءه الناصبين . . . ، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين ، وأول السابقين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد المشركين ، وسهم من مرامي الله على المنافقين ، ولسان حكمة العابدين ، وناصر دين الله وولي أمر الله ولسان حكمة الله وعيبة علمه . . أبو السبطين الحسن والحسين ذاك جدي علي بن أبي طالب (ع)» .

ذاك هو علي بن أبي طالب الذي وصفه حفيده باختصار والذي أراد ابنه الحسين أن يسير بسيرته في نصر دين الله ونصر رسول الله أن يسير بسيرة علي كرم الله وجهه ورضي عنه وصلّىٰ عليه وسلم ، علي المرتضى علي الوصي وصي رسول الله الذي ارتضاه الله وصياً على دينه وعباده . علي أمير المؤمنين بالإستحقاق قبل النص . علي ولي الله حقاً حقاً وصدقاً صدقاً .

علي الذي شرّف المؤمنين بإمارته عليهم ، علي أمير المؤمنين الذي جسد هذا الاسم وهذه الصفة حتى أنه لا يليق أن يتسمىٰ أو يوصف أحد به غيره . عندما سُئل الإمام الصادق (ع) عن الإمام المهدي هل يُنادى بأمير المؤمنين ، استنكر الإمام وأوضح بأن المهدي يُنادى باسم «بقية الله» أما اسم «أمير المؤمنين» «فذاك اسم سمّاه الله أمير المؤمنين» أي من خصائص الإمام علي (ع) أي أن الإسم لحامل الصفة فقط فعلي بن أبي طالب يعني أمير المؤمنين وأمير المؤمنين يعني علياً فقط . وكما كان عليٌ وصياً على الدين وأهله فقد كان الحسين (ع) يحمل الوصية والوصاية والمسؤولية .

وكما كان عليٌ بدرَ بدرٍ وأحدَ أُحُد وحيدرة خيبر فكهذا كان دور الإمام الحسين (ع) في نصر الدين والمحافظة على سلامته .

ولا يتسع المقام هنا للخوض في كمالات علي وإلّا لاحتجنا إلى كتب بينها كتب ، ولِكُتب فوقها كتب وإذا لعدنا من حيث أتينا حيث قال الرسول «عليٌ رجل لا يعرفه إلّا الله ورسوله» ولذلك أحب اللَّهُ ورسولُه علياً . وكان الحسينُ ثمرة من ثمرات الدين والطهارة والشجاعة والمعرفة أو بكلمة لقد كان الحسين ثمرة علي أو فقل ثمرة محمد من علي وفاطمة .

«يا حبذا دوحة في الخلد نابتة ما مثلها نبت في الخلد من شجر
المصطفىٰ أصلها والفرع فاطمة ثم اللقاح علي سيّد البشر

والهاشميان سبطاه لها ثمر   والشيعة الورق الملتف بالثمر»

فلقد كان الحسين ابن أبيه روحاً ودماً وعلماً وأدباً وديناً ومسؤولية كان ابن الوصاية وابن إمرة المؤمنين وإبن نصرة الدين . ولقد قال الحسين صبيحة عاشوراء : «ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه» .

فالحسين ليس ابن محمد فقط بل ابن نبوة محمد ورسالته كما أنه ابن وصاية علي وولايته بل هو عين الوصاية والولاية في زمانه بعد أبيه وأخيه فثورة الإمام الحسين هي ثورة النبوة والإمامة وثورة الرسالة والولاية ، ثورة شرف الإنسانية في محمد وعلي ، ثورة حرية الإنسان في دنياه وعدم السجود للأصنام حجرية كانت أم بشرية ، ثورة «كونوا أحراراً في دنياكم» كحد أدنىٰ من إنسانيتكم . إنها ثورة معرفة الله والتصديق به وتوحيده والإخلاص له ، «إلٰهي . . . ماذا وجد من فقدك ؟ وما الذي فقد من وجدك ؟ لقد خاب من رضي دونك بدلاً» . إنها ثورة المعرفة على الجهل ، ثورة الإخلاص على النفاق ، ثورة التقوىٰ «إلٰهي ، . . . عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً» ، إنها ثورة الإصلاح في أمة محمد «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي» ، إنها ثورة التغيير تغيير الواقع الفاسد «وأنا أحق من غيَّر» . إنها ثورة العودة إلى الله وحب الله «إلٰهي ، . . . خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً» ، إنها ثورة الرجوع إلى الله «لَكَ العتبى حتى ترضىٰ» ، إنها الثورة التي يهون ويرخص لها العزيز والغالي ، إنها الثورة التي تستحق روح الحسين «شاء الله أن يراني شهيداً» **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ، إرجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾**[1] .

هذا وعندما أراد الحسين مغادرة مكة إلى الكوفة يوم الثلاثاء الواقع في الثامن من ذي الحجة مصراً على موقفه من رفض البيعة

---

(١) سورة الفجر ؛ الآية : ٣٠ .

ليزيد ومستجيباً لدعوة الكوفة في إدارة الثورة منها ، جاء عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وقد كان له مركزه الديني في ذلك الزمان وكان عمره يقارب عمر الحسين أو أكثر ، فحاول ابن عمر أن يثني الحسين عن عزمه على الخروج فمما قال له : «يا أبا عبد الله ، . . . قد ولى الناس هذا الرجل ، يزيد بن معاوية ، ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء ، فيقتلوك ويهلك فيك بشر كثير ، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول : «حسين مقتول فلإن خذلوه ولم ينصرونه ليخذلنهم الله إلى يوم القيامة» ، وأنا أشير عليك أن تدخل في صالح ما دخل فيه الناس وتصبر كما صبرت من قبل» . ثم قال : «ليس مثلك في طهارته وصفوته من الرسول ، . . . ولكن أخشى أن يضرب وجهك بالسيف وترى من هذه الأمة ما لا تحب ، وإن لم تحب أن تبايع أقعد في منزلك» .

فأجابه الإمام الحسين (ع) :

«إن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحي ابن زكريا يُهدى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل ، أما تعلم أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر والشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يصنعوا شيئاً ، فلم يعجل الله عليهم ثم أخذهم أخذ عزيز ذي انتقام .

اتقِ الله يا أبا عبد الرّحمٰن ولا تدعن نصرتي» .

فإن كان الناس قد قبلوا بيزيد حاكماً حفاظاً على دنياهم ومعائشهم وأن لا مانع لدى الناس أن يقدموا ليزيد رأس الحسين مقابل الذهب والفضة فإن للحسين بيحي ابن زكريا أسوة . وأن الحسين خارج ليرفع الناس عن هذا المستوى في قياس المبادىء بالذهب والفضة والمنفعة .

وإن كـان القتل وخسـارة الدنيـا مشكلة عند ابن عمـر فإنهـا ليست مشكلة عند الحسين الذي يدرك مدى حقارة الدنيا وهوانها عند الله .

وإن كـان خوف ابن عمـر على الأمـة من أن يحـل بهـا غضب الله بقتل الحسين فإن خوف الحسين أن يحل بالأمة غضب أكبر وهو سـاكت عن تحـريف دين الله . فأراد الحسين أن يتـدارك مستقبـل الأمـة حتى لا تصبح كلها على شاكلة يزيد .

وإن كـان ابن عمـر يـرى أنـه من الأفضـل على الحسين أن يصبـر ويكـون مثله مثل النـاس يبايـع كما يبـايعوا ويـطأطيء رأسه معهم ، فـإن الحسين لا يـرضىٰ أن تصبح الأمـة وبـوجـوده كبني إسـرائيـل القـاسيـة قلوبهم الـذين يقتلون الأنبياء كمـا يشـربـون المـاء وتمضي الحيـاة وكـأن شيئـاً لـم يكن . فإنـه عنـدمـا انحـرف بنـو إسـرائيـل بعث الله عيسىٰ ابن مريم لإصلاحهم ولما انحرف النصـارى بعث الله محمداً مهيمنـا على ما قبله ، وأمـا إذا انحرفت أمـة محمد خـاتم الأنبياء والمـرسلين فـلا سبيـل لإرسـال نبي أو رسول بـل تكـون المسؤوليـة والأمـانـة على أولى النـاس بهـذه الأمة وأكثـرها غيـرة على دينها وأبنـائهـا ، والحسين أحق من غيَّـر. فـاتقِ الله يا ابن عمـر ولا تـدعن نصـرة أبي عبـد الله الإمـام الحسين ابن علي .

ومضى الحسين إلى كـربلاء وقليـل نـاصـره فقتلوه وسلبـوا منـه مـا يسلب ومـا لا يسلب ، سلبـوا ابن من قـال «والله لـو أعـطيت الأقـانيم السبعة بما فوق أفلاكهـا على أنأعصي الله في نملة أسلبهـا جلب شعيرة ما فعلت» سلبوا من لا يسلب وما لا يسلب . سلبوا ثيـاب كاسي الفقـراء والمساكين ، سلبوا ثياب الحسين وتركـوه بالعـراء فأين الحيـاء والرسـول يقول أن «الحياء من الإيمـان» والله يقول : ﴿**يـا بني آدم قد أنـزلنا عليكم لباساً يواري سـوءاتكم**﴾[1] ولكن أين الإيمان ؟ وأين بني آدم ؟ .

---

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ,ط .

وفي معمعة السلب ولتبلغ الحقارة مداها ينبعث حقير من أشقياء كربلاء وما أكثرهم فيقصد يد الحسين لا لتقبيلها بل لينتزع خاتم الحسين من إصبعه ، فيمتنع الخاتم أن يغادر أصبع سيده فيجتهد الشقي ويقطع إصبع الحسين بالحديد ، ليته شلت يداه . سبحان الله وآيات الله تتلىٰ بين أظهرهم ورسول الله ليس عنهم ببعيد .

كيف قتلوا الحسين عطشاناً وقطعوا إصبعه وقد كان جدهم يسقيهم من أصابعه التي تفيض خيراً وماءاً عند الحاجة أو الطلب .

بل كيف يقطعون إصبع ولي الله ويسلبوا خاتمه وهم يقرأون قوله تعالىٰ : **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾**[1] .

ألم يأتهم خبر علي أبي الحسين كيف زكى خاتماً وهو راكع فشهدت الآية على الحادثة ، لم يقطع عليٌّ صلاته ولم يمنع علي زكاته فجمع بين الصّلاة والزكاة بين زكاة الصلاة وصلاة الزكاة فكانت الولاية . هذه الأصابع التي اعتادت السجود والجود انظروا كيف كرمها الله ورفع ذكرها وانظر كيف خذلها الإنسان ، كيف أضاع خاتم الأمانة وظلم خاتم الولاية وجهل خاتم الشهادة **﴿إنا عرضنا الأمانة على السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾**[2] .

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٥٥ .

(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٧٢ .

شقيق الحسن

حسين شقيق الحسن المُجتبى الساعي في أمان المسلمين
فغدروا صبيةً ونحروا رضّعاً وذبحوا أطفالاً ميامين

الحسين سقيق الحسن .

في اللغة ، الحسين شقيق الحسن ومشتق منه .

في الأسماء ، إختار الرسول للشقيقين إسمان شقيقان .

في النسب ، دماء محمد وفاطمة وعلي تجري في عروق الشقيقين .

في العمل ، «الحسن والحسين إماما الهدى وسبطا الرحمة»

في الآخرة ، «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» .

عند النبي محمد ، الحسن والحسين ريحانتان أي وردتان عطرتان .

عند الإمام علي ، الحسن والحسين عيناه اليمنى واليسرى .

في سورة الرّحمٰن ، الحسن والحسين لؤلؤ ومرجان .

في سورة الإنسان ،! بالحسن والحسين أصبح الإنسان شيئاً مذكوراً يذكره الله في كتابه .

الحسن والحسين ظاهرة إنسانية إسلامية مميزة ، فوجودهما كان الحد الفاصل بين الحجر وبين البشر وكان الحد الفاصل بين الجاهلية والإسلام بدءاً بأسمائهما وليس انتهاءاً بالقيم والمنازل الخلقية العليا التي تشرفت بهما . فأسماؤهم النبوية الجديدة ﴿**لم نجعل له من قبل سمياً**﴾(١) أسماؤهم هذه كانت أول تطبيق رسولي لحق الأبناء على الأهل بأن يحسنوا تسميتهم لذا لم يجد الرسول أحسن من الحسن والحسين أسماءاً فكان الحُسْنُ في أسمائهما رفضاً للقسوة في صخر وحرب ورفضاً للمرارة في مرّة وحنظلة ورفضاً للحيوانية في جحش وكلب ومعاوية .

فلقد هذّب الإسلام حتى الأسماء ﴿**بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان**﴾(٢) . فأراد الإسلام أن يكون الإسم عاكساً لصفات الخير والحسن لفظاً ومعنى كما كان الحسن والحسين مظهراً لكل ما في الإسلام من حسن ورحمة وهدىً وخير .

وقد يستوقفنا البعض متسائلاً أو معترضاً فيقول :

١ ـ إذا كان الحسن والحسين يحملان نفس الصفات والمواصفات والخلفيات العليا، فلماذا تناقضا في مواقفهما السياسية ؟ لماذا كان الحسن مهادناً وكان الحسين ثائراً ؟ هل كان الحسن جباناً والعياذ بالله وكان الحسين شجاعاً ؟ .

٢ ـ لماذا وثق الحسين بالكوفة وأهلها حتى خدعوه وغدروه بينما قبله تعامل الحسن مع الكوفة بحذر شديد ولم يجعلهم أهلاً لثقته ؟ .

هل كان الحسين متهوراً والعياذ بالله وكان الحسن حكيماً ؟ .

٣ ـ وهل حقن الحسن دماء المسلمين وسفكها الحسين ؟ .

---

(١) سورة مريم ؛ الآية : ٧ .

(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ١١

ولسنا هنا ندعي بأننا سنشفي غليل هذه الأسئلة لأن ذلك يتطلب بحوث تاريخية واجتماعية مطولة لا يتسع لها وريقات معدودة .

بل نحاول أن نستعرض بصورة موجزة خلفيات مواقف الحسن والحسين ونحاول إثبات التزام كل منهما بكامل مسؤولياته في إمامة المسلمين لما فيه مرضاة الله والخير لعباده .

ولنفهم خلفيات المواقف نعطي لمحة تاريخية سريعة لأبرز الأحداث السياسية التي جرت بعد شهادة أمير المؤمنين عام ٤٠ هـ في الحادي والعشرين من شهر رمضان عندما بدأت مهام الحسن في الإمامة ومن ثم بايعه أهل الكوفة خليفة على المسلمين فأصبح العالم الإسلامي تتقاسمه سلطات ثلاث أولها سلطة الحسن الرسمية على العراق وثانيها سلطة معاوية الفعلية على الشام وثالثها سلطة الإضطراب وفراغ السلطة في معظم ما تبقى من العالم الإسلامي كالحجاز ومصر واليمن وغيرها . وكان التنظيم العسكري واجهزة الحكم والأمن الإقتصادي لمصلحة الشام وأميرها معاوية الذي كان حتى ذلك التاريخ قد أمضى أكثر من عشرين سنة في إمارة الشام والإستفادة من نظام الولاء العسكري الموروث من سلطان الروم قبل الفتح الإسلامي .

أما الحسن فقد ابتلي بجيش وزعماء أغلب ولائهم للقبيلة والعشيرة والمصلحة الشخصية المتقلبة مع تقلب فرص الربح السريع فكانوا كما وصفهم الإمام علي (ع) «والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء (أهل الشام) على باطلهم وتفرقكم (أهل الكوفة) عن حقكم» .

وكان أبرز هؤلاء الزعماء الأشعث بن قيس وعمرو بن حريث والمنذر بن الزبير وشبث بن ربعي وعمر بن سعد . هذا عدى أن الحسن ابتلي بقادة عسكريين استطاع معاوية شراءهم بثمن بخس كعبيد الله بن العباس الذي باع نفسه بدراهم معدودة لمعاوية بعد أن كان معاوية قد قتل

ولداه في اليمن منذ حوالي سنة من تاريخ الصفقة هذه ، فإن كان الحسن لا يستطيع أن يؤمن لإبن عمه عبيد الله مع ما لعبيد الله من مقومات تجعله أعدى الأعداء لقاتل بنيه معاوية ، فكيف يحارب الحسن معاوية بجيش مذبذب ولاء قادته وأفراده حتى أن أحد جند الحسن حاول اغتيال الإمام فطعنه بفخذه . فرأى الإمام الحسن أمام هذه الردة وهذا الخذلان وأمام أنياب الليث البارزة في ابتسامات من حوله رأى الإمام أن لا طاقة له لا سياسياً ولا عسكرياً ولا إقتصادياً بمعاوية فحرص على البقية الباقية من المؤمنين المخلصين واستجاب لدعوة أمير الشام إلى الصلح بعد حوالي ثمانية أشهر من استلامه للخلافة وتنازل عن الحكم رسمياً عسىٰ أن تعي الأُمة في حالات السلم والأمن ما لم تعيه في حالات الحرب والقلق . هذا وعندما توفي الإمام الحسن عام ٥٠ هـ احترم الحسين صلح أخيه الحسن ولم يعلن الثورة على معاوية إلتزاماً بموقف أخيه وإمامه وقناعة بأن عهد الحسن هو عهد الحسين وهذا ما يؤكده جواب الحسين لرسالة الكوفة السريعة بعد وفاة أخيه «إن الله قد جعل فيك أعظم الخلق ممن مضىٰ ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك والمحزونة بحزنك المسرورة بسرورك المنتظرة لأمرك» .

فكان جواب الإمام الحسين (ع) «إني لأرجو أن يكون رأي أخي بالموادعة ورأيي في جهاد الظلمة رشداً وسداداً . فالصقوا بالأرض وأخفوا الشخص والتمسوا الهدى ما دام ابن هند حياً فإن يحدث به حدث وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله» . إذاً فالرشد والسداد قد يظهرا بالثورة والقيام وقد يكمنا بالموادعة والقعود وأن طاعة الإمام هي فوق القيام والقعود لأن الإمام يعمل لإعلاء كلمة الله سالكاً سبيل الله وصراطه المستقيم الذي يحتاج إلى الجهاد والصبر معاً والعاقل هو من يضع الجهاد في موضع الجهاد والصبر في موضع الصبر وأن الحسن كان صابراً مجاهداً وأن الحسين كان مجاهداً صابراً «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» صدق رسول الله فإمامتهما الحكيمة فوق القيام

وفوق القعود إنها إمامة الحق الذي يدور معهما حيث دارا إنها الإمامة التي تقيس وتزن الحق .

أما مسألة خذلان الكوفة وكيف تنبه له الحسن وهل غفل عنه الحسين مع أن رجالات الكوفة هم هم ، ومع أن الكوفة هي هي ، خليط من الموالين لأهل البيت ومن المعادين لهم كالخوارج كحزب سياسي ، وكالأمويين كنظام سياسي حاكم ، وكالقبائليين كنزعة متعددة الولاءات أو فقل المنعدمة الولاءات . ولقد أثار محمد ابن الحنفية أخو الحسين وعبد الله بن العباس ابن عم أبيه ، لقد أثار ابن الحنفية وابن عباس قضية خذلان الكوفة بصدق مع الإمام الحسين عند استعداده لمغادرة مكة ونصحاه مشفقين بأنه إن لم يكن هناك بدُّ من مغادرة مكة خوفاً من الغيلة فاليمن أفضل من الكوفة جغرافياً لمنعة جبالها وأفضل إجتماعياً لنوعية أهلها . فأصر الحسين على الكوفة وخرج الحسين فالتقى ببشر بن غالب في بداية الطريق في الصفاح فسأله عن أهل الكوفة فأعلمه وهو خبير بأن القلوب مع الحسين ولكن السيوف مع بني أمية ، وأصر الحسين على الكوفة وأكمل طريقه وفي منطقة زبالة بعد أيام جاء الحسين نبأ مقتل مسلم بن عقيل ، رسول الحسين إلى الكوفة ومقتل هانيء بن عروة زعيم قبيلة مذحج وأنهما خذلا شرّ خذلة ثم جاءه خبر مقتل عبد الله بن بقطر سفير الحسين إلى مسلم وأكمل الحسين سيره سالكاً طريق الشهادة «شاء الله أن يراني شهيداً» قاصداً وطالباً الإصلاح في أمة جده وصارخاً عبر الزمان «إن كان دين محمد لا يستقيم إلاّ بقتلي فياسيوف خذيني» فمحال أن يسكت الحسين على وصية معاوية بجعل حكم المسلمين ميراثاً وحكراً على المشبوهين المجاهرين بالفسق فهذا ما لا يرتضيه الحسين وإن ارتضته الأمة فلئن قنع الحسين بالصبر الهادي على فتنة معاوية الطارئة فإنه لم يكن ليقنعْ إلاّ بالسيف الهادر في مواجهة تكريس فتنة بني أميَّة على المسلمين وإن خذلته الكوفة ، وإلى متى ستظل الكوفة تعاني من مرض الخذلان

هـذا المـرض البشـري المستشـري بين المسلمين مـرض التعـاطف مـع الحق ومحـاربته في نفس الوقت، وفعلاً استـطاع الحسين أن يهز الكـوفـة وهي مركز العـالم الإسلامي وهي أبـرز مهد حضـاري . استطاع الحسين أن يهز الكوفةويهـز العالم من ورائها فما زالت الكـوفة منـذ يوم عـاشوراء تضطرب بالثورات وبصحوات الضمائر الرافضة للظلم والمـاقتة للخـذلان إلى أن تدرك فرج الإمـام المهدي حيث يكـون مسجدهـا مسجـد لسهلة مركز العمليات الدولية للإمام المنتظر .

وننعطف قليلاً إلى يوم عاشوراء لنرى كيف وصل الخذلان والغـدر والخيـانة إلى أقصى درجـاته . فبعـد مقتـل صحب الحسين وبعض أهله استـأذنه صبي ، وجهـه كفلقـة القمـر ، بـالقتـال فـرفض الإمـام ثم بعـد الإلحاح أذن الإمام فبـرز الغلام وهـو القاسم ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فنادى الغلام :

«إن تنكـروني فأنـا ابن الحسن   سبط النبي المصطفىٰ المؤتمن»

فقـاتـل قتـالاً شـديـداً ثم انقـطع شسـع نعله اليسـرىٰ فشـدَّ عليـه عمـرو بن سعد الأزدي فضـرب رأسه بـالسيف فوقـع على وجهـه منـاديـاً واعمـاه ، فتجلىٰ الحسين كالصقـر المنقض فتخلل الصفوف وشـدَّ شـدّة الليث إذا غضب فضـرب عمراً بـالسيف فقطع يـده من عنـد المـرفق ثم تنحىٰ عنـه فـانجلت الغبـرة فـإذا بـالحسين قـائم على رأس الغـلام وهـو يفحص برجله .

فقـال الحسين : «يعز والله على عمـك أن تـدعـوه فـلا يجيبـك أو يجيبـك فلا يعينـك ، أو يعينك فـلا يغني عنـك ، بعـداً لقـوم قتلوك» ثم حمله الإمام ووضع صدره على صدره ثم وضعه بين القتلىٰ من أهل بيته .

ثم قُتـل من قتـل من أهـل الحسين حتى بقي فـرداً فـطلب إبنـه الـرضيع عبـد الله ليودعـه فرمـاه حـرملة بن كـاهـل الأسـدي بسهم فخـر الرضيع بين يدي وعيني والده .

ولم تنته مجزرة الصبية والرضع حتى بعد مقتل الحسين (ع) إذ أضرمت النيران في عصر العاشر من محرم في خيام أهل الحسين المقتول فاضطربت نساء وأطفال آل محمد وراحت الأيدي الملوثة تمتد إلى أعناق ومعاصم الطاهرات للسلب ، وشرد الأطفال لا يعرفون بمن يلوذون وقد فقدوا آباءهم ورجالهم ، ولا يعرفون أين يقصدون في غربتهم ، وكل ما يعرفونه أن ناراً قد اشتعلت في خيامهم وأن سيوفاً تلاحقهم . فضاع من ضاع وعثر أحد أبطال الكوفة بعد أيام على طفلين لهما من العمر سبع وثمان سنوات وهما إبراهيم ومحمد إبنا مسلم بن عقيل ، فكانت فرحة الرجل كبيرة عندما عرف أن الطفلين من أهل الحسين وكيف لا يفرح وقد رأى بأم عينيه كيف كان ابن زياد يكافيء بالذهب والفضة أهل الكوفة على رؤوس أهل الحسين المقطعة ، فسوّلت له نفسه اللعينة ذبح الطفلين ففعل وحمل رأسيهما إلى ابن زياد طلباً للجائزة والمكافأة ، فاشمأز ابن زياد وهو المجرم من أن يرى رعيته تفوقه إجراماً فما كان منه إلَّا أن أمر بقطع رأس هذا المخلوق الذي فاق بإجرامه تصور أمير الجريمة .

فإن كان دين محمدٍ يقول : **﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم﴾**[1] فماذا يقول دين محمد بالذي يذبح اليتامىٰ ويطلب الجائزة على رؤوسهم ؟ وأوتدرون أي يتامىٰ ذبحوا ؟ إنهم يتامىٰ آل محمد الذي وجده الله يتيماً فآوىٰ ، أما المجرمون فماذا فعلوا عند وجدوا اليتامىٰ ؟ **﴿لقد جئتم شيئاً إدّا ، تكاد السمٰوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً﴾**[2] .

(١) سورة الماعون ؛ الآية : ٢ .
(٢) سورة مريم ؛ الآية : ٩٠ .

أهـل الكسـاء

حسينُ خامس أهل الكساء ، لباس التقوى وثياب الطاهرين
فعـرّوا ودنّسوا وحـرّقوا بـأيدِ شلهـا الله شمـالاً ويمينـا

جمـع رسـولُ الله محمـد إبنتـه فـاطمـة وابن عمـه علي وحفيـديه الحسن والحسين تحت كسـاء فقال وهـو معهم ﴿إنما يـريـد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تـطهيراً﴾[1] ثم أخـرج يده من تحت الكسـاء فألـوى بها إلى السمـاء فقـال : «اللّهمَّ هؤلاء أهـل بيتي فـأذهب عنهم الـرّجس وطهّرهم تـطهيراً» . وكـانت أُم سلمة زوجـة الـرسـول في البيت حينهـا ، فقـالت : وأنـا معكم يـا رسـول الله ، ورفعت الكسـاء لتدخله فجذبه رسولُ الله من يـدها قـائلاً : «إنك على خير»، فأكد رسـول الله أن هذه الآية إنما تشير فقط إلى هؤلاء الخمسة الذين عرفوا فيمـا بعد بأهل الكساء. وقد أورد ابن جرير الطبري في تفسيره خمس عشرة روايـة بـأسانيـد مختلفة في انحصـار هذه الآيـة بالخمسـة الـطاهـرين كمـا أورد جـلال الدين السيـوطي في تفسيـره (الـدر الـمنثـور) عشـرين روايـة من طـرق مختلفة في أن المـراد من أهـل البيت هم محمـد وعلي وفـاطمـة والحسن والحسين أي آل محمد عليهم السّلام. وقد حاول البعض، ممن تغاضى عن الثابت في حديث رسول الله، أن يزايد على رسول الله ويعلم

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

النبي ما المقصود بأهل البيت فيقول أهل بيت محمد هن نساؤه ، واستدلوا بأن سياق الآيات في سورة الأحزاب التي تضمنت هذه الآية يدل على أن الكلام في نساء النبي . والرد على هذه الدعوة يمكن أن يلخص بالآتي :

١ ـ ثبت بالنصوص عن رسول الله أن أهل البيت في زمانه هم الخمسة فقط وأي كلام آخر هو نطق عن الهوى فشتان بين وحي الله وهوى النفس .

٢ ـ صحيح أن آيات سورة الأحزاب المحيطة بآية التطهير تتحدث عن نساء النبي ولذلك كانت الضمائر المتصلة تخاطب المؤنث قبل وبعد هذه الآية . أما هذه الآية الكريمة فكانت ضمائرها مذكرة ، مما يؤكد الإلتفاتة في هذه الآية عما حواليها من الآيات ومما يثبت أن آية التطهير تتعاطى مطلقاً مع أُناس آخرين غير نساء النبي وإلاَّ لجاءت آية التطهير كرفيقاتها من الآيات على النحو التالي إنما يريد الله ليذهب عنكن (بدل عنكم) الرّجس أهل البيت ويطهّركن (بدل يطهّركم) تطهيراً .

٣ ـ إن الآيات المحيطة بآية التطهير تتعاطى بالترهيب مع من يردن الحياة الدنيا وزينتها وتتعاطىٰ بالترغيب مع من يردن الله ورسوله والدار الآخرة ، أما آية التطهير فإنها تتعاطى مع أُناس فوق الترغيب وفوق الترهيب تتعاطى مع أُناس ذوي نفوس مخلصة طاهرة محبة لله فوق التجار وفوق العبيد ، تتعاطى مع أُناس عبدوا الله لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته ولكن وجدوه أهلاً للعبادة فعبدوه .

٤ ـ إن من عادة بعض الآيات القرآنية الإستطراد ثم متابعة السياق وذلك لأسباب منها بلاغية ومنها ترتيبية ذلك أن القرآن نزلت بعض آياته متفرقة فكان رسول الله يقول : ضعوا هذه الآية بعد الآية كذا أو قبل الآية كذا أو بين آيتين معينتين .

٥ ـ لقد ثبت في سيرة الطاهرين الخمسة بأنهم كانوا تجسيداً

لهذه الآية بطهارتهم المطلقة وباتفاقهم وبامتداد شخصياتهم في بعضهم البعض حتى قال رسول الله «فاطمة روحي التي بين جنبي» ، وقال لعلي «أنت مني وأنا منك» ، وقال (ص) في الحسن : «إن ابني هذا سيّد» ، وقال: «حسينٌ مني وأنا من حسين» . أما نساء النبي فإنه لا يخفى على أحد خلافاتهن في حياة الرسول وبعدها ولا يخفى على أحد التفاوت في مواقفهن وفي تحركهن . قال أمير المؤمنين : «لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً هم أساس الدين عماد اليقين ، بهم يلحق التالي وإليهم يفيء الغالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم النبوة والوراثة» .

ولقد قبل البعض ولكن على مضض إختصاص وانحصار آية التطهير بالخمسة ولكنهم لم يستسلموا فقالوا أن الآية لا تفيد الطهار المطلقة أي العصمة من الذنوب والآثام بل قالوا : إنها تفيد الطهارة النسبية كأن يريد الله أن يطهرهم من الريبة والشكّ أو من كلام الناس أو من العذاب . ونجيب هؤلاء البعض بأن التعقد من مصطلح العصمة لا يجب أن يؤدي إلى هذا التعصب الأعمىٰ في اللغة والحديث والتاريخ ، ولكي لا نطيل الكلام نحيل هذا البعض إلى أي كتاب من كتب قواعد اللغة العربية التكميلية إن لم نقل الإبتدائية ليتعرف على المفعول المطلق في «يطهركم تطهيراً» ونحيله إلى قاموس لغوي ليتعرف على الفرق بين المطلق والنسبي .

ولو نقبنا قليلاً في كتب الحديث لوجدنا أن محمداً وفاطمة وعلياً والحسن والحسين سادات الدنيا والآخرة وسادات الأراضين والجنان .

ولو استنطقنا التاريخ البشري لشهد بطهارة أهل الكساء وطهارة صفحاتهم وعلو كتابهم ﴿**إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون**﴾[1] إذاً لقد شهد الله في القرآن ﴿**وكفى بالله شهيداً**﴾[2] وشهد

---

(١) سورة المطففين ؛ الآية : ١٩ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٤٥ .

الرسول ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾[1] ، وشهد المُؤمنون ﴿لتكونوا شهداء﴾[2] أن الحسين طاهر من الطاهرين بريء من النجاسة والرجاسة .

حسين خامس أهل الكساء والبقية الباقية منهم عندما أراد أن يغادر مكة بعد أن مكث فيها أربعة أشهر وبضعة أيام خطب بأصحابه ساعة السحر سحر يوم الثلاثاء في الثامن من ذي الحجة عام ٦٠ للهجرة فقال (ع) : «خُطَّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، ما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كأن بأوصالي تقطعها عسلان (ذئاب) الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشاً جوفا وأجربة سغباً ، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تَقَرُّ به عينه وينجز به وعده . من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله» .

نورٌ يفيض من نور ونورٌ يتألق في سماء الإنسانية المظلمة .

عندما سمع محمد بن الحنفية أخو الحسين من أبيه كلام الحسين هذا وشعر أن الحسين خارج إلى القتل لا محالة وكان ابن الحنفية قد حذر الحسين من غدر الكوفة ونصحه بالبقاء في مكة أو الخروج إلى اليمن فقال له الحسين وقتها أي قبل ساعات من هذه الخطبة «انظر فيما قلت» . فلما أعلن الحسين (ع) ساعة خروجه وتحديد مكان استشهاده ، قال له أخوه محمد : «ألم تعدني النظر فيما سألتك» قال الحسين (ع) : «أتاني رسول الله (ص) بعدما فارقتك فقال : «يا حسين أخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلاً»» ، فقال محمد : «إنا لله وإنا إليه

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٤٥ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٤٣ .

راجعون» ، ثم سأل عن أهل الحسين عن نسائه وبناته فقال الإمام (ع) «شاء أن يراهن سبايا» .

وخرج الحسين (ع) يوم الثلاثاء ٨ ذي الحجة ٦٠ هـ ، ووصل إلى كربلاء أرض الشهادة بعد أربعة وعشرين يوماً يوم الخميس ٢ محرم ٦١ هـ . وبعد سبعة أيام من المفاوضاة مع عمر ابن سعد قائد جيش الثلاثين ألف ، لم يخضع الحسين ولم يساوم ولم يضارع ولم يصانع ولم يتبع المطامع ، ولم يبق إلاّ التحاكم إلى السيف فأستمهلهم الإمام الحسين (ع) إلى صبيحة اليوم التالي يوم العاشر من محرم الحرام لأن الحسين وأهله وصحبه يريدون أو يودعوا الدنيا والأرض بالتعبد لرب السمٰوات والأرض . ودخل الحسين إلى خيمته وراح يسوي سيفه منشداً :

«يا دهر أف لك من خليل　　كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل　　والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل　　وكل حي سالك سبيل»

فسمعت أخته السيدة زينب قول الحسين فلم تتمالك نفسها ولم تستطع أن تتصور حياتها بعد أخيها الحسين بعد خامس أهل الكساء خيرة أهل الأرض ، فلقد توفى الله محمداً وفاطمة وعلياً والحسن ولم يبق إلاّ الحسين ، فإذا توفى الله الإمام الحسين فمن يبقى من أهل آية الطهارة ؟ فصرخت زينب : «واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أُمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن . يا خليفة الماضين وثمال الباقين» ، فَقَتْلُ الحسين هو قتل لأهل البيت الذين يمثلهم ويمثل امتدادهم . ولكن ما ببال القوم هو فوق القتل وليس القتل إلاّ أول جرائمهم الإنتقامية البشعة . ولقد أدرك الحسين (ع) بأن ما يخبأ له بعد القتل هو أبشع من القتل فلقد رأى وبكى لما رأى من مستويات خلقية وإنسانية دنيا في الوحوش المجتمعة حواليه ولقد رآهم في رؤية

سريعة ليلة العاشر رآهم كلاباً تنهشُ لحمه . لقد خاف (ع) أن يطمع القوم في ثيابه الطاهرة ﴿وثيابك فطهر﴾[1] ، ولقد كان الحسين قمة في الحياء الذي هو شعبة من شعب الإيمان ، فعمد الحسين قبل أن يقتل إلى ثياب له فمزقها ثم لبسها على هيئة لا يطمع أحدٌ بسلبها بعد شهادته ولكن دناءة ولؤم أحد أشقياء القوم لم يمنعانه من تجريد الحسين من لباسه ﴿ولباس التقوىٰ ذلك خير﴾[2] ، وتركه بالعراء فوق حرارة رمال كربلاء وهذا ما لم يرتكبه المجرم البشري الأول قابيل عندما تعلم من الغراب دفن أخيه . فكانت يدا ذلك اللئيم الذي عرى الحسين تيبسان في الصيف حتى كأنهما عودان وترطبان في الشتاء فتنضحان دماً وقيحاً إلى أن هلك ﴿اليوم نختم على أفواهم وتكلمنا أيديهم﴾[3] .

ولم تكتف الأيدي المدنسة بجريمة القتل فقصدت خيام النساء والأطفال بعد مقتل الحسين فاشعلت فيها النيران وامتدت الأيدي النجسة إلى أعناق النساء سلباً بعد أن انتهت من أعناق الرجال قطعاً .

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[4] .

ورأى الله عملهم واستجاب لدعوة الحسين (ع) «اللّهمَّ احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تذر على الأرض منهم أحداً» .

فسلط على قتلة الحسين ثواراً مؤمنين توابين فغلت الكوفة ولم تهدأ حتى قتل خلال سنوات قليلة كل من أشترك بالعدوان على الحسين فلم ينجو من القتلة أحد ، فعذب الله المجرمين في الدنيا ﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ﴾[5]

---

(١) سورة المدثر ؛ الآية : ٤ .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية : ٢٦

(٣) سورة يس ؛ الآية : ٦٥ .

(٤) سورة التوبة ؛ الآية : ١٠٥ .

(٥) سورة طه ؛ الآية : ١٢٧ .

زينب

حسين أخو زينب العقيلة ، عقيلة الطيبات والطيبين من حملت سبية أمانة الشهيد ، وزلزلت عروش السلاطين

زينب عقيلة فاطمة وعلي ﴿الطيبات للطيبين﴾[1] فكانت ثمرة طيبة من شجرة طيبة . كانت زينب حناناً على الإسلام كما كانت أمها فاطمة أماً لرسول الإسلام وكما كان أبوها علي أباً لأمة الإسلام . كانت زينب صابرة كأبويها صبر صمود وشجاعة وثقة لا صبر إستسلام وخنوع ويأس .

ولقد برز الطيب والحنان والصبر عند زينب من خلال كربلاء وآثارها فلولا كربلاء لما عرفنا زينباً إلاَّ من خلال كونها إمرأة شريفة النسب ، فلولا كربلاء لما عرفنا زينباً الشريفة عملاً وموقفاً والشريفة لساناً وقلباً وعقلاً والشريفة شرفاً وشرفاً . فلولا كربلاء لما عرفنا زينباً ولا نبالغ إذا قلنا أيضاً أن لولا زينب لما عرفنا كربلاء ولولا حمل زينب لأمانة أخيها لما سقط الأمراء والسلاطين الذين قام الحسين في وجههم ، ولما استقام الإسلام على الصراط الذي تركه عليه محمد (ص) .

فها هي (ع) بعد شهادة أخيها الحسين تقارع الضلال في نفوس

(١) سورة النور ؛ الآية : ٢٦ .

الظلمة الصغار وتقول : «ويحكم أما فيكم مسلم» وها هي روحي فداها في بلاطات السلاطين تقارع الملاعين تقارع الظلمة الكبار حتى غلت وتأججت الشوارع والبلاطات بفظاعة ما جرى في كربلاء . فلقد استطاعت (ع) وهي سبية أن تنجز ما لا ينجزه الأحرار كما استطاع الحسين وهو شهيد أن ينجز ما لا ينجزه المتمسكين بالحياة الدنيا . استطاعت الشهادة والسبي أن تحافظا على إستقامة الإسلام ونظافته وعدم تجييره لمصلحة بني أمية وأمثالهم .

ولقد كان الحسين (ع) يدرك أبعاد الشهادة والسبي وتكاملهما في حركته لذلك كان جوابه لأخيه محمد ابن الحنفية في سحر اليوم الثامن من ذي الحجة عندما أراد الحسين التوجّه من مكة إلى الكوفة وأراد أخيه أن يستمهله مشفقاً في ساعة الفصل فقال الحسين : «شاء الله أن يراني قتيلاً» فسأل محمد عن النساء ، لماذا يخرجن معه ؟ فأجاب الحسين : «شاء أن يراهن سبايا» ، فصبر الحسين واتجه نحو الشهادة وصبرت زينب واتجهت نحو السبي التي أُعدت له منذ صغرها بل منذ مولدها على بعض الروايات ، «رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين» ، وما أدرك ما أجر الصابرين ؟ **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**(١) .

وغادر الحسين مكة ، فحاول ابن عمه ، وزوج أخته زينب ، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن يتدارك الحسين ، فأرسل ولداه محمداً وعوناً بكتاب إلى الحسين : «أما بعد ، فإني أسألك بالله ألاَّ انصرفت حتى تنظر في كتابي ، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلكت اليوم طفيء نور الأرض ، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ١٠ .

بـالسيـر فـإني في أثـر الكتـاب والسـلام» . ثم قصـد ابن جعفـر حـاكم المـدينة ومكـة عمر بن سعيـد بن العاص محـاولاً إقناعـه أن يكتب كتابـاً للحسين يتعهـد فيـه بصيـانـة أمن الحسين في حـال بقـائـه في مكـة ، فـاستجاب الحـاكم وقال لعبـد الله أكتب ما شئت وهـاتـه لأختمـه لـك ، وحمل ابن جعفر الكتاب الرسمي يـرافقه يحي بن سعيـد بن العاص أخـو الحاكم وأدركا الحسين في «الصفاح» وناولاه كتـاب الأمان من الأميـر فرد الحسين بكتاب إلى الوالي : «أمـا بعد ، فـإنه لم يشـاقق الله ورسوله من دعـا إلى الله عزّ وجـلّ وعمـل صـالحـاً وقـال إنني من المسلمين ، وقـد دعـوتَ إلى الأمان والبـر والصلة فخيـر الأمـان أمـان الله ، ولن يؤمِنِ اللَّهُ يـوم القيامـة من لـم يخفه في الـدنيـا . فنسـأل الله مخـافـة في الـدنيـا تـوجب لنا أمـانه يـوم القيامـة ، فإن كنت نـويت بـالكتـاب صلتي وبـري فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة والسلام» .

فلمـا رأى عبد الله بن جعفـر الطيـار أن الحسين لا محـالـة خـارج طلب من ولديه محمد وعون أن يرافقا إمـامهما الحسين ، وعـون هو ابن عبـد الله بن جعفر من السيـدة زينب ، والمـلاحظ أن زينبـاً خـرجت مـع الحسين وتحـركت بعـد مقتله بعيـداً عن زوجهـا عبـد الله ، فهـل كـانت زينب حينها مطلقة من ابن جعفر كمـا روى أحدهم ، وبـالتالي فـلا ولاية له عليها ؟ أم هـل أن عبد الله التـزم بشرط كـان اشترطه الإمام علي عليـه عنـدما عقـد له على ابنتـه زينب بـأن لا يمنعهـا من الخـروج مـع أخيهـا الحسين إلى كـربلاء ، وهـذا الإحتمـال بعيـد لمـا فيـه من منقصـة لابن جعفـر وكأنـه ليس أهلاً لنصـر الحسين ، وكأنـه نـاقص الـرجـولـة بعـدم مبالاته باحتمال هتك حرمة زوجته . والواقع ليس هنـاك ما يكفي تـاريخياً لإثبـات مـدى ولايـة جعفـر على ابنـة عمـه زينب حين خـروجهـا مـع الحسين . والمهم أن زينباً خرجت مـع أخيها وإمـامها وولي أمـرها وأمـر كـل مسلم ومسلمة ، وأن زينبـاً خرجت لتقـوم بـدورهـا في نصـر أخيهـا مجاهداً وشهيداً .

لقد خرجت زينب لتكون النصف الآخر والوجه الآخر لكربلاء كما كان الحسين نصفها ووجهها الأول . فقد كانت كربلاء شهادة وسبي كما شاءها الله . فكانت الشهادة ثورة وكان السبي انقلاباً وانتجت كربلاء سيد الشهداء وسيدة السبايا وقضت كربلاء بأشرف الصور الإنسانية على أبشع محاولة للنيل من قدسية وشرف الإسلام .

ولقد بدأت مهمة زينب (ع) في ليلة العاشر من محرم قبل أن يشرق الصباح على معركة الإثنين والسبعين من أنصار الحق ضد الثلاثين ألفاً من أعدائه . سمعت زينب في تلك الليلة أخاها الحسين يعبر بأبيات من الشعر عن شكواه من الدهر وعدم أمانه لأخلائه .

فكلماتشرق شمس وتغيب أي كل يوم يكرر الدهر عادته في قتل كل إنسان بعد صحبته، وها قد جاء دور الحسين (ع) ليقتله الدهر بعد أن صحبه سبعة وخمسين سنة ، وها هو الحسين يعلن رضاه بحكم الله الذي حكم على كل نفس أن تذوق الموت ، وها هو الحسين يستعد للقتال حتى الشهادة التي شاءها الله له ، وعندها نادت زينب: «واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت أُمي فاطمة وعلي أبي وحسن أخي . يا خليفة الماضين وثمال الباقين» .

فلم تحتمل زينب أن تسمع أخيها ينعي نفسه ، ولكن أراد الحسين أن يخفف عنها ويعدها للمصيبة الأكبر فالمهمة الأعظم فقال لها : «يا أختاه ، لا يذهبن بحلمك الشيطان ، تعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون ، وكل شيء هالك إلّا وجهه ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة ، لا تشقي عليّ جيباً ولا تخمشي عليّ وجهاً ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت» .

وأطمأنت زينب لكلمات أخيها واستعدت للمهمة التي تنتظرها بأعلى درجات الصبر والتسليم والإيمان ، فعند عصر يوم الجمعة من العاشر من محرم وقفت زينب أمام جثة أخيها الطاهرة متوجهة إلى ربها

متعزية بعزاء الله قائلة : «اللّهمّ تقبل منا هذا القربان» فلقد قرب الحسين روحه وجسده ورأسه لله ، هذا ما وعته زينب ، فالحسين على خطا الأنبياء والرسل ، ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة ، والذين قتلوا الحسين على خطا أعداء الأنبياء من شياطين الإنس والجن ، ولئن انتقم الله من قوم صالح لقتلهم الناقة وفصيلها اللذين كانا أماناً لثمود قوم النبي صالح فكيف سيكون انتقام الجبار لقتل نور الأرض وأمان أهلها ؟ فنادت زينب وجسد الحسين على التراب «اللّهمّ لا يكون عندك أهون من فصيل» ، وبدأت علامات الغضب الإلهي تظهر في السماء التي أمطرت دماً ورماداً :

«ألم تر أن الشمس أضحت مريضة   لقتل الحسين والبلاد اقشعرت
وقد أعولت تبكي السماء لحزنه   وانجمها ناحت عليه وصلت»

ولم تعجب زينب من آية السماء فإن ما حصل للحسين أعجب وأفظع ، ولقد قالتها (ع) لأهل الكوفة الذين تجمهروا لاستقبال موكب رؤوس الشهداء المرفوعة على الرماح يلحق بهم موكب السبايا سبايا آل محمد «أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون . فلا يستخفنكم المهل ، فإنه لا يحفزه البدار ولا يخاف فوت الثأر ، وإن ربكم لبالمرصاد» . فأنذرت السيدة زينب أهل الكوفة بخسارة الصفقة «وبؤتم بغضب من الله ورسوله وضربت عليكم الذلة والمسكنة» .

ثم وصل موكب السبايا إلى قصر ابن زياد وهو في قمة نشوته فلما تعرف إلى زينب ، قال لها بوقاحة : «الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم» فتجيب (ع) : «الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً ، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا» . فيقول لها شامتاً : «كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك ؟» فتجيب المؤمنة : «ما رأيت إلّا جميلاً ، هؤلاء قوم كُتب عليهم القتل فبرزوا

إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجّ وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ . . ثكلتك أمك يابن مرجانة» . ولم تمض سنوات ست حتى ثكلت مرجانة ابنها وجاء برأسه إبراهيم بن مالك الأشتر رضوان الله تعالىٰ عليه وعلى أبيه ، فلقد كان كأبيه من أخلص وأشجع الموالين لآل محمد . ووُضِع رأس ابن زياد في نفس الموضع الذي وضع فيه رأس الحسين ولكن مع فارق كبير .

تقول النوّار زوجة خولي بن يزيد الذي كان موكلاً بإيصال رأس الحسين إلى قصر ابن زياد والتي مكث رأس الحسين في بيتها تحت إجانة (إناء) عشية العاشر من محرم إلى صباح الحادي عشر منه . تقول النوّار : «فما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة ورأيت طيراً أبيض يرفرف حولها» أما رأس عبيد الله ابن زياد عندما وضع مع رؤوس قُوّاده في قصر الكوفة ، يروي الترمذي في جامعه أنه جاءت حية دقيقة فتخللت الرؤوس حتى دخلت فم ابن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت من منخره وخرجت من فيه ، فعلت هذا مراراً . وجمع الله بين ابن مرجانة وبين ابن فاطمة ونظر ابن زياد يومها لمن الفلج ، فرأى الحسين سيداً لشباب أهل الجنة وصدقت زينب .

أما يزيد خليفة المسلمين ؟ ! فلما وصل موكب السبايا والرؤوس إلى الشام ووضع بين يديه رأس الحسين سيد الشهداء ، أخذ قضيباً وراح ينكث به ثغر الحسين وأنشد جزلاناً فرحاً :

«ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرون من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل»

فلقد سرت دماء الجاهلية في عروق يزيد وظهرت الآثار الأموية السفيانية في عدائها للفضيلة في هاشم ، وللإسلام في محمد (ص) ،

وتمنىٰ يـزيد لـو أن أمية وأبـا سفيان شهـدوا كيف ثأر يـزيـد من بـدر أول وأهم نصر للمسلمين وكيف ثأر يزيد من الخـزرج أنصار رسـول الله على مشـركي مكة ، وكيف ثـأر من هاشم ومحمـد وما يمثلون من قيم ، لقـد ثأر يزيد لبدرٍ بكربلاء وثأر يزيد من محمد بـالحسين وثأر يـزيد من النبـوة واعتبرها حركةً سياسية وصلت إلى الملك والحكم ، وها هو يـزيد يـأخذ الحكم والملك ويـطمئن نفسه بعـد قتـل إمـام المسلمين نصـاً وإمـام الإنسانية إنسانياً بعد قتل الإمـام الحسين . وهنا تقف زينب لتـوقظ يزيـداً من حلمـه ومن سكرتـه ، فتعنّفه مستنكـرة ومستعظمـة مقـولتـه فتقـول : «وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم ، فلتردن وشيكـاً موردهم ولتـودن أنك شللت وبكمت» .

ومـا هي إلاّ سنتان حتى انقلب سحـر يزيـد عليه وقتـل يزيـد وهـو يسـابق قرداً فسقط عن فـرسه سقـطة كان فيهـا هـلاكـه ، واستجـاب الله لدعوى السيّدة المظلـومة فإنـه ليس بينها وبين الله حجـاب «وهل رأيـك إلاّ فند وأيامـك إلاّ عدد وجمعـك إلاّ بدد ، يـوم ينادي المنـادي ألا لعنة الله على الظالمين» وهيهات المقـارنة والقيـاس بين قتيل القـرود وبين من أستشهـد مـع صحبـه البـررة وأهله الخيرة ، «والحمـد لله رب العـالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة» .

فـإذاً عبـر الحسين (ع) بـالشهـادة إلى الـرحمـة ورجعت نفسـه المطمئنة إلى ربهـا راضيـة مـرضية ، وأمـا يزيـد فقد عبـر وراء قرده من اللعنة إلى البؤس **﴿واتبعوا في هذه الدنيـا لعنة ويـوم القيامة﴾**[1] وصدقت زينب .

وعاد موكب السبايا إلى المدينة المنورة فوصلوها بعد أن كـانوا قـد غابوا عنها حوالي سبعـة أشهر تقـريباً . وصلوا إلى المـدينة التي خـرجوا

---

(١) سورة هود ؛ الآية : ٦٠ .

منها بالرجال والبنين إلى مكة ومن ثم إلى كربلاء ومن ثم إلى الكوفة فإلى الشام ، ومن الشام عادوا إلى المدينة المنورة ونلفت النظر هنا أن عروج موكب السبايا إلى كربلاء خلال عودتهم إلى المدينة وإدراكهم لجابر بن عبد الله الأنصاري في ذكر أربعين الحسين إنما هو خبر غير دقيق إطلاقاً وليس له أي سند تاريخي معتبر وهذا عدى التفاوت الجغرافي بين وجهة المدينة جنوباً ووجههة كربلاء شرقاً ، ووصل موكب السبايا إلى مدينة محمد ، فمذا قالت بنات محمد ؟ :

«مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين طراً رجعنا لا رجال ولا بنينا
ألا يا جدنا قتلوا حسيناً ولم يرعوا جناب اللّه فينا»

وتوجهت زينب إلى مقام جدها شاكية : «يا جداه يا رسول الله ، صلّىٰ عليك مليك السماء ، هذا حسينك بالعراء مرمل بالدماء مسلوب العمامة والردا» ، ثم تكمل (ع) نادبة أخيها الحسين :«بأبي من لا غائب فيرتجىٰ ولا جريح فيداوى ، بأبي من نفسي له الفدا ، بأبي المهموم حتى قضى ، بأبي العطشان حتى مضى ، بأبي من شيبه يقطر بالدما ، بأبي من جده رسول إله السما» .

وعظمت الجريمة بأعين الجميع وخصوصاً تحت وطأة كلمات السيدة الشريفة فراح المجرمون أنفسهم يتبرؤون من بعضهم البعض ويلقون باللوم على بعضهم البعض ، فهذا يزيد يلعن ابن مرجانة **﴿كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾**[1] وحتى مرجانة تبرأت من إبنها وكذلك استنكر عثمان فعلة أخيه عبيد الله بن زياد ، وأيضاً ابن سعد حاول التنصل من مسؤولية قتل الحسين بتسريب كتاب ابن زياد الذي يأمره فيه

(١) سورة الحشر ؛ الآية : ١٦ .

بقتل الحسين فلقد وصل ذلك الكتاب إلى أيدي الناس في المدينة المنورة . وعظمت الجريمة عند أهل المدينة فقاموا وثاروا وخلعوا حاكم يزيد عليهم وأعلنوا التمرد بقيادة عبد الله بن حنظلة (حنظلة هو أحد الأنصار وقد سمّاه رسول الله غسيل الملائكة لشهادته صبيحة ليلة زفافه) . يقول ابن حنظلة : «ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن يمطرنا الله بحجارة من السماء» .

إذاً فقد زلزلت زينب عروش الطواغيت والسلاطين وخلّدت (ع) دماء سيّد الشهداء بكلماتها من يوم زينب إلى يوم الناس هذا وتركت كما تنبأ النبي محمد لمقتل الحسين حرقة في قلوب المؤمنين لا تنطفيءأبداً .

أبو الفضل العباس

حسين شقيق العباس من قدم إخوته الثلاثة قرابين
فخسفوا قمر بني هاشم وغدت أم البنين ولا من بنين

عندما ضرب السيف الخارجي المسموم رأس أمير المؤمنين وهو ساجد ، جاؤوا بالإمام إلى بيته في الكوفة واجتمع أبناؤه المؤمنون حول أبيهم وأميرهم ، فتكلم علي بكلماته الأخيرة موصياً الحسن والحسين على مسمع من إخوتهم : «أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما . . . كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً . . . والله الله في الأيتام . . . والله الله في جيرانكم . . . والله الله في القرآن . . . والله الله في الصلاة . . . والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما حييتم . . . والله الله في الجهاد . . . لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم . . .» .

وفاضت روح أمير المؤمنين في ٢١ رمضان سنة ٤٠ للهجرة تاركاً خير وصية في خير أوصياء . وبعد عشرين عاماً من استشهاد أمير المؤمنين خرج الحسين مجاهداً تقياً متمسكاً بكتاب الله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر رافضاً ولاية يزيد الشرير ، رافضاً دنيا الظلم والذل .

فترك الحسين مدينة جده حيث الأوامر صريحة بقتله إن لم يبايع يزيداً ،واتجه تلقاء مكة عسى أن يهديه ربه سواء السبيل ثم أراد الحسين

أن يترك مكة مدينة الكعبة وبيت الله ، أراد أن يخرج من مكة قبل ميقات الحج بيوم واحد لأن يزيد لاحقهُ بثلاثين من المرتزقة مأمورين بقتل الحسين ولو معلقاً على أستار الكعبة ، فأراد الحسين أن يخرج من بيت الله وهو ابن هذا البيت ابن مكة ومنى وابن زمزم والصفا ، أراد الحسين أن يغادر البيت الذي حج إليه ماشياً خمس وعشرين مرّة قبل عامه هذا . أراد أن يغادر عرفات قبل يوم عرفة بيوم واحد مع ما للحسين من ذكريات فيه مع الله ومناجيات لله ، وأو ليس الحسين يقول في دعاء عرفة : «إلٰهي . . . منك أطلب الوصول إليك وبك استدل عليك فأهدني بنورك إليك . . . ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك . لقد خاب من رضي دونك بدلاً . . . إلٰهي كيف أخيب وأنت أملي أم كيف أهان وعليك متكلي . . . يا من تجلى بكمال بهائه كيف تخفى وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر» .

خرج الحسين محروماً من عرفة ولكن ليس محروماً من رب عرفة الذي أينما تولوا فثمَّ وجهه . وخرج الحسين لا خوفاً ولا هرباً من القتل فإنه مقتول لا محالة ، ! ولكن خرج احتراماً لحرمة مكة واحتراماً لأمن مكة ﴿**هذا البلد الأمين**﴾[1] خرج من مكة حباً بمكة ومقامها عند الله لذلك عندما حاول عبد الله بن الزبير أن يجامل الحسين وأن ينصحه كارهاً أن يبقى في مكة أجابه الإمام (ع) : «إن أبي حدّثني أن لها كبشاً به تستحل حرمتها ، فما أحب أن أكون ذلك الكبش» وبعد إثنتا عشر سنة كان عبد الله بن الزبير هذا هو ذلك الكبش الذي استحل به حرمة البلد الحرام ولم يلتفت ابن الزبير إلى كلام الحسين ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾[2] .

وغادر الحسين مكة يوم الثلاثاء ٨ ذي الحجة عام ٦٠ للهجرة

---

(١) سورة التين ؛ الآية : ٤ .

(٢) سورة ق ؛ الآية : ٣٧ .

بعد أن كان قد أوفد عبد الله بن بقطر إلى سفيره مسلم في الكوفة برسالة . وانطلق موكب الحسين فلقي الفرزدق الشاعر على أبواب مكة فحذره من غدر الناس ثم مرّ بالموكب بالتنعيم حيث انضم إليه جماعة من قافلة يمنية ثم وصل الموكب إلى الصفاح حيث حاول عبد الله بن جعفر أن يستمهل الحسين ويقدم له أماناً من والي مكة فيرفض الحسين إلَّا أمان الله ، ثم يمر الموكب بذات عرق في وادي العقيق حيث يلقىٰ بشر بن غالب قادماً من العراق فيخبر الحسين بأن القلوب معه والسيوف مع بني أُميّة ، ثم يمرّ الموكب بالحاجر من بطن الرمة حيث يرسل الحسين برسوله قيس بن مسهر الصيداوي برسالة إلى أهل الكوفة يعلمهم فيها بموعد خروجه ويطلب منهم الإستعداد لملاقته ونصره . ثم يمروا بماء من مياه العرب حيث يلتقون بعبد الله بن مطيع العدوي الذي قال للحسين «اذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك ، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أُمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً» ونصحه بأن لا يسير إلى العراق ولا يأتي الكوفة فأبىٰ الحسين ومضىٰ قدماً والتقىٰ في الطريق بأعراب أعلموه بأن شرطة العراق آخذة بمحيط الكوفة ولا تدع أحداً يدخل أو يخرج. ثم مرّ بالخزيمية حيث أقام يوماً وليلة فلّما أصبح قالت له أخته زينب بأنها سمعت ليلة البارحة هاتفاً يقول :

«ألا يا عين فاحتفلي بجهد ومن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا بمقدار إلى إنجاز وعد»

فقال لها الحسين : «يا أختاه كل الذي قُضِيَ فهو كائن» .

ثم أكمل الحسين سيره إلى أن وصل إلى زرود حيث أقام ليلة وحيث أدركتهم قافلة عائدة من الحج لزهير بن القين البجلي وهو من أشراف الكوفة المنحرفين عن ولاية أهل البيت النبوي . فبعث الحسين إلى زهير ليأتيه فأتاه وكلّمه الإمام فاستبشر زهير وأشرق وجهه ونوى الإنضمام إلى ركب الحسين ، ولما سأله أهله عن سرّ هذا الإنقلاب

المفاجيء قال : «غزونا بلنجر ففتح علينا وأصبنا غنائم ففرحنا وكان معنا سلمان (الفارسي) فقال لنا : إذا أدركتم سيّد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه مما أصبتم اليوم من غنائم» . وتابع الحسين سيره إلى أن نزل الثعلبية ممسياً وحيث أتاه خبر مقتل مسلم بن عقيل سفيره إلى الكوفة وهانيء بن عروة شيخ بني مذحج في التاسع من ذي الحجة وجرهما في السوق بأرجلهما . وفي الصباح وبعد الثعلبية بقليل إلتقىٰ الحسين في الرهيمة برجل من أهل الكوفة يكنىٰ بأبي هرم الأزدي فقال للحسين : «يا ابن رسول الله ، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد صلّىٰ الله عليه وآله» ؟ فقال الحسين : «إن بني أميّة أخذوا مالي فصبرت ، وشتموا عِرضي ، فصبرت ، وطلبوا دمي فهربت» . وأكمل (ع) : «وأيم الله ليقتلُني ثم ليلبسنهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً ، وليسلطن عليهم من يذلهم» .

وبعدها مرّ الحسين بالشُقوق حيث لقىٰ رجلاً مقبلاً من الكوفة فأخبر الحسين أن أهل الكوفة مجتمعون عليه .

فقال : «إن الأمر لله يفعل ما يشاء ، وربنا تبارك وتعالىٰ هو كل يوَم في شأن» ، ثم أنشد (ع) فمما قال :

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة فدار ثواب اللّه أعلىٰ وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرىءٍ بالسيف في الله أفضل» .

ثم مرَّ بقرية زبالة حيث أتاه خبر مقتلِ عبد الله بن بقطر رسوله إلى مسلم وعندها خطب الحسين بالناس: «أما بعد ، فإنه قد أتاني خبر فظيع ، قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وعبد الله بن بقطر وقد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الإنصراف فلينصرف من غير حرج ليس عليه منا ذمام» فانصرف عنه من كان قد انضم إليه في الطريق ظاناً أنه مقبل على نصر أكيد وفتح عظيم .

ثم أكمل الحسين مسيره فمر ببطن العقبة فلقيه عمر بن لوذان

أحد مشايخ بني عكرمة الذي قال للحسين عندما علم أنه يقصد الكوفة « أنشدك الله لما انصرفت ، فوالله ما تقدم إلاّ على الأسنة وحد السيوف» ، فقال له الحسين : «والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم ، حتى يكونوا أذل فرق الأمم» .

ثم مضى الحسين فنزل بشراف حيث التقى بأول جيوش الكوفة التقى بألف فارس بقيادة الحر بن يزيد الرياحي الذي كان من الموكلين برصد الحسين وتسليمه إلى عبيد الله بن زياد والي الكوفة فامتنع الحسين من الإنصياع لهذا الجيش وبعد أخذ ورد اتفقوا على أن يأخذ الحسين طريقاً لا تدخله الكوفة ولا ترده إلى المدينة حتى تأتي أوامر ابن زياد . وانحرف الموكب يساراً بمرافقة جيش الحر حتى أتت أوامر ابن زياد في الثاني من محرم سنة ٦١ للهجرة بإنزال الحسين في العراء (أي بعيداً عن القرى وعن الناس) في غير حصن وعلى غير ماء ، فنزل الحسين في كربلاء غريباً وحيداً ومن ثم شهيداً .

فنادى الحسين مذكراً بوصية أبيه : «لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً» وحمل أخوة الحسين وصية أبيهم وخاصة العباس المكنىٰ بأبي الفضل فخرجوا على الظلم والنفاق خرجوا خصماً للظالمين الثلاثين ألفاً وعوناً للمظلومين السبعين . وممن خرج على الظلم من أخوة الحسين العباس وعبد الله وعثمان وجعفر أبناء علي من فاطمة بنت خزام التي كان يغبطها الناس ببنيها الأربعة من الإمام علي (ع) فيسمونها أم البنين . وكان العباس بكر إخوته أسداً كأبيه حيدرة وقمراً كابن عم أبيه محمد (ص) حتى أنه كان أبو الفضل العباس يعرف بقمر بني هاشم . وكان للعباس مواقف في كربلاء خلدت ذكره ورفعت مقامه عند الصالحين والشجعان وأصبح مضرباً للمثل في ثباته والتزامه بجادة الحق .

فها هو العباس في عشية اليوم التاسع من محرم مجتمعاً مع

الحسين وأهله وصحبه يستمع إلى الحسين وهو يأذن لصحبه وأهله بأن يتركوه وحيداً بمواجهة هذه المحنة لأن «القوم يطلبوني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري» . فيبادر العباس بالإجابة مستنكراً «لم نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله ذلك أبداً» .

فلقد كان أبو الفضل (ع) سباقاً للخيرات مسارعاً للمغفرة وهكذا تجاوب الأهل والأصحاب ورددوا صدى كلمات العباس وعبروا عن عشقهم للشهادة بين يدي الحسين وعن انتظارهم لهذه الساعة «إنما هي قتلة واحدة ثم الكرامة التي لا إنقضاء لها أبداً» .

وفي ليلة العاشر وقبل صباح المعركة جاء العباسَ وإخوته رسولٌ من خالهم وهو مقرّب من ابن زياد بأمان وبالسماح لهم بمغادرة صف الحسين فقال الفتية للحسين : «أقرىء خالنا السلام وقل له لا حاجة لنا في أمانكم . أمان الله خير من أمان ابن سمية» . وبعدها لما اصطفت الصفوف للقتال كان العباس أمام الحسين حاملاً لرايته أي قائداً لجيشه . ثم ثار جند الحسين كما وصفهم أحد جنود أهل الكوفة «أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً وتلقي أنفسها على الموت ولا تقبل الأمان» ثم يقول : «لو كففنا عنهم رويداً لأتوا على الجموع بحذافيرها» .

وبعد الظهر من عاشوراء وبعد أن قتل صحب الحسين كلهم وقتل ثلة من أهله بعد أن صارت المعركة مبارزة أفراد ، توجه العباس إلى إخوته قائلاً : «يا بني أُمي تقدموا حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله فإنه لا ولد لكم» . فبرز عثمان فقتل ثم برز جعفر فقتل ثم برز عبد الله فقتل . وجاء العباس يستأذن الحسين بالبروز فيجيبه الحسين : «يا أخي أنت صاحب لوائي» ، فيقول العباس : «قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين وأُريد أن آخذ ثأري منهم» .

فطلب منه الحسين أن يطلب الماء للأطفال والنساء . فكلم العباس القوم فأجابه الشمر وهو قائد الرجالة في جيش عمر بن سعد «يا

ابن أبي تراب لو كان وجه الأرض كله ماء وهو تحت أيدينا لما سقيناكم منه قطرة ، إلاّ أن تدخلوا في بيعة يزيد» . فتناول العباس القربة (أي الجرة) وتوجه إلى الفرات الذي كان محمياً بعمرو بن الحجاج على رأس أربعة آلاف مقاتل واخترق العباس جيش مانعي الماء فلم يستطع مواجهته أحد وهم يعرفونه ويعرفون أبيه الذي وضع في الصغر بكلاكل العرب وكسر نواجم قرون ربيعة ومضر، وكانوا قد سمعوا من قبل مقولة الإمام علي « والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت هارباً» . ووصل أبو الفضل إلى الماء فاغترف غرفة ليشرب فتذكر عطش الحسين فرمى الماء قائلاً :

«يا نفس دون الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني»

نعم هذا هو العباس ابن علي الذي فدى الرسول بنفسه ليلة بات على فراشه مفادياً بنفسه ، فالفداء من هذا البيت خرج ومثل هذا البيت ما عرف ، وملأ العباس السقاء القربة ليعود بها إلى عطشى آل محمد فيسقيهم ، وبينما العباس راجع بالقربة كمن له من لم يستطع مواجهته فغدروا به وقطعوا يمينه فصرخ العباس :

«والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين»

وحمل العباس القربة بشماله مخلفاً وراءه يداً مقطوعة وغير مفرطٍ بنقطة ماء وكيف يفرط بطلب الحسين وحاجة أهله . ولكن كمن له آخر وقطع له شماله ، فتحسر العباس على الماء لا على اليد ونادى :

«يا نفس لا تخشي من الكفار وأبشري برحمة الجبار
مع النبي السيّد المختار قد قطعوا ببغيهم يساري
فاصلهم يا رب حر النار»

ثم كرّ الجبناء على قطيع اليدين فقتلوه بعمود من الحديد بعيداً

عن الحسين ، فقال الحسين (ع) : «الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي» .

يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين : «رحم الله العباس، فقد آثر وأبلىٰ وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عزّ وجلّ منهما بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب» .

يقول الإمام المهدي (عجل الله تعالىٰ فرجه) : «السلام على أبي فضل العباس ابن أمير المؤمنين ، المواسي أخاه بنفسه ، الآخذ لغده من أمْسِه، الفادي له، الواقي ، الساعي إليه بمائه ، المقطوعة يداه ، لعن الله قاتله» .

هذا هو العباس وأخوته ، هؤلاء هم البنون الذين فدوا أخاهم ، هؤلاء هم أبناء علي وأبناء أمهم التي خرجت لتستقبل الوفد الذي غادر المدينة منذ سبعة أشهر بالحسين وبنيها ، فقابلت أم البنين بشير بن جذلم الذي تقدم موكب السبايا فسألته عن الحسين (ع) فقال لها : «عظم الله أجرك بولدك عبد الله» فقالت: «أسألك عن سيدي ومولاي الحسين» فقال لها : «عظم الله لك الأجر بولدك جعفر» فقالت : «أسألك عن سيدي ومولاي الحسين»، فقال لها : «عظم الله لك الأجر بولدك عثمان» فقالت : «أسألك عن سيدي ومولاي الحسين» ، فقال لها : «عظم لك الأجر بولدك العباس» فقالت : «قد قطعت نياط قلبي ، أولادي ومن تحت الخضراء فداء لأبي عبد الله الحسين ، أخبرني عن الحسين (ع) . فعندها نادى بشير :

«يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فأدمعي مدرارُ
الجسم منه بكربلا مضرج والرأس ... منه على القناة يدارُ»

فنادت : «واحسيناه واسيداه» .

رحم الله أم البنين وجزى الله أولادها الأربعة خير الجزاء .

«أربعة مثل نسور الربىٰ ... قد واصلوا الموت بقطع الوتين» .

الحـــق

الحسين والـد علي الأكبـر شبيـه الـرسـول خـاتم النبيين
من خاض غمار المـوت واثقاً لا نبـالي أن نموت محقين

لقـد قـال رسـول الله محمـد (ص) : «علي مـع الحق والحق مـع علي يـدور معـه حيث دار» . فعنـدمـا صـادق علي الحق وأحبـه أحب الحق عليـاً وصادقـه حتى صار الحق مـلازمـاً لعلي وصـار الحق واضحـاً لعلي وصـار الحق إمامـاً لعلي يمشي أمامـه ، وصـار الإمـام علي إمـامـاً للحق أيضاً يمشي أمامه . إذاً فقد صـار الإمام مـأمومـاً بالحق وإمـاماً لـه ولذلك كانت حركة الإمام مـع الحق حركـة دوران كما صـدق في وصفها رسول الله ، ففي الدوران فقط يكون ~~الإمام~~ مـأمومـاً واللاحق ملحـوقاً في نفس الوقت .

فلقد كانت علاقة علي مع الحق علاقـة مكاشفـة ويقين . ووضوح رؤية «ما شككت بالحق مذ أريته» وقال (ع) أيضـاً : «لو انكشف الغـطاء مـا ازددت يقينـاً» . واستشهـد علي وهـدأ قلبـه ولكن رايتـه رايـة الحق خفقت بين يدي الحسنين الإمامين . ولقـد رفع الحسين (ع) رايـة الحق عندما رفض مبايعة يزيد الباطل وعنـدما قـرر مغادرة المـدينة المنـورة إلى مكـة معلنـاً ثـورتـه الإصـلاحيـة «فمن قبلني بقبـول الحق فـالله أولى بالحق» .

ولقد خرج الحسين على يزيد لأنه لا يدين بالحق ، ولقد قالها الحسين في كتابه مع مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة : «فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب القائم بالقسط الدائن بالحق الحابس نفسه على ذات الله» .

ولقد أصر الحسين على رفع راية الحق عندما قرر مغادرة مكة متوجهاً إلى الكوفة فأنبأه الفرزدق على أبواب مكة أن السيوف عليه فأجاب : «أنه لم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته» ومضى الحسين في طريقه إلى الكوفة إلى أن وصل إلى شراف على حدود العراق حيث لاقاه الحر بن يزيد الرياحي على رأس ألف فارس . ولقد كان الحر قائداً لأحد الفرق العسكرية المكلفة من قبل الحصين بن نمير الموكل من ابن زياد بإدارة عملية رصد أطراف الكوفة من القادسية من حيث وزّع المراصد والمسالح جنوباً إلى خفان وشمالاً إلى القطقطانة ، وكذلك كان موكلاً بمراقبة الحدود العراقية الممتدة من واقصة إلى البصرة شرقاً (أي الحدود المتاخمة للحجاز) وكذلك من واقصة إلى طريق الشام غرباً وذلك لما وصلت الكتب من الشام والحجاز بتوجه الحسين إلى الكوفة ، وذلك استنفاراً لمواجهة الحسين ورسله وأنصاره .

فلما فوجيء موكب الحسين بالحر وفرسانه الألف لجأوا إلى يسارهم حيث جبل ذي حسم ليحموا به ظهورهم إحتمالاً لمواجهة عسكرية . ثم أمر الحسين أن «أسقوا القوم ورشفوا الخيل» . ثم استعدوا لصلاة الظهر وقبل الصلاة تكلم الحسين مستفسراً عن موقف الحر وجيشه ؟ هلْ هم طلاب هدى وحق حسب ما جاءت به كتب أهل الكوفة ؟ أم أنهم غيروا رأيهم وأنهم لا يريدوا استقباله ؟ فلم يجيبوا بشيء .

فصلّى الحسين الظهر ثم العصر واتمّ الحر وجيشه بصلاة الحسين مع صحبه وأهله . وبعد صلاة العصر تكلم الحسين رافعاً راية

الحق مجدداً فقال : «أما بعد ، أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله عنكم. ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان ، فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم» ، ثم أراهم الحسين الكتب التي أرسلها أهل الكوفة .

فقال الحر : «لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا أنّا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد» وأخبر الحر بأنه مأمور باقتياد الحسين إلى ابن زياد سلماً من دون قتال . فأبىٰ الحسين الإنصياع للأوامر وأراد الحسين الإنصراف بموكبه فشاكسه الحر ومانعه وتلاسن الحسين مع الحر وأظهر الحر عدم الرغبة بحل الأمور عنفاً واقترح على الحسين أن يأخذ طريقاً لا يدخله الكوفة ولا يرده إلى المدينة حتى يراجع ابن زياد متأملاً أن لا يُبتلى الحر بشيء من أذية الحسين . فاتجهوا يساراً عن طريق العذيب والقادسية ثم إن الحسين خطبهم في الطريق في موضع يُقال له البيضة ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : «أيها الناس إن رسول الله (ص) قال : «من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» . ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرّحمٰن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحقُّ من غيَّر» ودعاهم إلى نصرته والإلتزام بكتبهم وبيعتهم .. فقال له الحر : «إني أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن» . فقال الحسين (ع) : «أبالموت تخوفني» وأنشد قول الإنصاري :

«سأمضي وما بالموت عار على الفتىٰ إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما

وواسىٰ الـرجال الصـالحين بنفسه   وخـالف مثبـوراً وفـارق مجـرمـا
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم   كفى بـك ذلاً أن تعيش وتـرغمـا»

فتنحى عنـه الحر وظـل يسايـره حتى انتهى إلى عذيب الهجـانـات حيث تـوجه خمسـة رجال مقبلين من الكـوفة تجـاه موكب الحسين بينهم دليلهم طـرماح بن عـدي ، فأراد الحـر منعهم عن الإنضمام إلى الحسين فـأبى الحسين واستعـد للقتـال من أجلهم ، فتـركهم الحـر . فـأخبـره مجمـع بن عبيد الله العـائذي أن الأشـراف قـد أعـظمت رشـوتهم وملئت غرائزعم وأما سائر الناس فـالقلوب تهوي إلى الحسين وسيـوفهم مشهورة عليـه ، وأخبره بـإعتقال رسـوله قيس بن مسهـر على حدود العـراق وقتله في الكـوفـة ، فـدمعت عينـا الإمـام ثم قـرأ : ﴿**فمنهم من قضىٰ نحبـه ومنهم من ينتـظر وما بـدلوا تبـديلاً**﴾[1] ، «اللّهمَّ أجعـل لنا ولهم الجنّـة واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك وغائب مذخور ثوابك» .

ثم اقترح الطرماح على الحسين أن ينزل جبل أجأ وهـو جبل منيـع وذلك أن الناس في الكـوفة كـانت تتهيأ وتتعبـأ لقتال الحسين الـذي ليس معه ما يكفي لتلك المواجهة ، فشكره الحسين وقال : «أنـه قد كـان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنـا نقدر معـه على الإنصراف ولا نـدري على ما تتصرف بنا وبهم الأمـور» ، فودعـه وسار إلى أهله ووعـده بالعـودة لنصره ولكنه عاد متأخراً .

وأكمـل الحسين مسيـره فـوصلوا إلى قصـر بني مقـاتـل حيث لقي عبيـد الله بن الحر الجعفي فـدعـاه إلى نصـرتـه قـائـلاً : «والله لا يسمـع واعيتنـا أحدٌ ثم لا ينصـرنا إلاّ هلك» . وأكمـل الحسين سيره وفي عشيـة اليـوم الأول من محـرم خفق الحسين بـرأسـه وإلى جـانبـه إبنـه علي الأكبـر ، فانتبـه الحسين قائـلاً «إنا لله وإنـا إليه راجعـون والحمد لله رب العـالمين» فاستفسـر علي الأكبر عمـا حـدث ، فقـال الحسين : «خفقت

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢٣

برأسي خفقة فعنّ لي فارس على فرس فقال : القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم . فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا» . فقال علي الأكبر حفيد علي الأمير : «يا أبت لا أراك الله سوءاً ، ألسنا على الحق ؟» قال الحسين : «بلىٰ والذي يرجع إليه العباد» قال : «إذن لا نبالي أن نموت محقين» قال : «جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده» .

ثم عند الصباح عندما شارفوا على نينَوى ، وقبل أن يصلوا إلى كربلاء بقليل ، جاء رسول ابن زياد بكتاب إلى الحر : «أما بعد ، فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي ، فلا تنزله إلاّ بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء . وقد أمرت رسولي أن يلزمك فلا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري والسلام» .

فطلب الحسين النزول في نينوى أو الغاضرية أو شفية (وهي قرى مأهولة من قرى الطف) فأبى الحر إلاّ تنفيذ أوامر أميره ابن زياد حرفياً . فاقترح زهير بن القين على الحسين مقاتلة الحر وجنده وعدم الإلتزم بأوامره قبل أن تأتي جند الكوفة ، فقال الحسين : «ما كنت لأبدأهم القتال» . ثم قام الحسين خطيباً فقال : «إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون . وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها ولم يبق منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل . ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ، فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً ، فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً» فلم يكن الحسين ليترك مناسبة إلاّ ويذكر الناس فيها بالحق ولا يترك (ع) مناسبة إلاّ وينبه فيها على أن الموت عزيزاً خير من الحياة ذليلاً وأن الموت حراً خير من الحياة عبداً وأن الموت في سبيل العدل خير من العيش مع الظلم .

في الثالث من محرم وصل عمر بن سعد على رأس أربعة آلاف مقاتل للنظر في قضية الحسين . وفي العاشر من محرم وبعد أن ناهز

جيش ابن سعد الثلاثين ألف وأصبح مكتمل العتاد والعدد والعدة بدأت المعركة ضد العشرات من صحب الحسين وأهله ومن التحق معه .
فلما قتل كامل الصحب برز علي الأكبر حاملاً راية الحق راية جدِّه وأبيه وراية رسول الله من قبلهما . فنادى الحسين ربه : «اللَّهمَّ اشهد فقد برز إليهم أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك محمد (ص) ، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه» ، ثم نادى (ع) عمر ابن سعد قائلا : «ما لك قطع الله رحمك ، ولا بارك لك في أمرك ، وسلط عليك من يذبحك في فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي في رسول الله» ، ثم قرأ بصوت عال : **﴿إن الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم﴾**[1] .

ونادى منادٍ من جيش الكوفة قائلاً لعلي الأكبر : «إن لك رحماً بأمير المؤمنين يزيد بن معاوية» ذلك أن أُم علي الأكبر ليلى تكون ابنة عمة يزيد . فقال علي الأكبر : «لقرابة رسول الله (ص) أحق أن ترعى من قرابة يزيد» ، ثم كرّ عليهم منشداً :

«أنا علي بن الحسين بن علي   نحن وبيت اللّه أولى بالنبي
تاللَّه لا يحكم فينا ابن الدعي   أضرب بالسيف أُحامي عن أبي
ضرب غلام هاشمي قرشي»

فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة فقال : «يا أبة ، العطش قد قتلني وثقل الحديد قد اجهدني فهل إلى شربة ماء من سبيل ، اتقوى بها على الأعداء» . فقال له الحسين (ع) :

«يا بني هات لسانك» فمصّ لسانه وأمره بالرجوع إلى القتال قائلاً : «إني أرجو أن لا تمسي حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفىٰ شربة

(١) سورة ال عمران ؛ الآية : ٣٣ .

لا تظمأ بعدها أبداً» . ثم شد علي الأكبر على القوم فأجهز على البعض وتحاشاه البعض إلى أن ضربه مرة بن منقذ على مفرق رأسه فصاح : «يا أبتاه عليك مني السلام ، هذا جدي يقرؤك السلام ويقول لك عجل القدوم إلينا» . فأتاه الحسين قائلاً : «قتل الله قوماً قتلوك ، يا بُني ما أجرأهم على الرّحمٰن وعلى انتهاك حرمة رسول الله (ص)» ثم بكى قائلاً : «على الدنيا بعدك العفا» . وقتل علي على الحق كما قتل جدّه علي على الحق ، وقتل عليٌّ مستهيناً بالموت بل آنساً به كما يأنس الرضيع بثدي أمه .

وزار الإمام الصادق علياً الأكبر فقال : «السلام عليك وعلى روحك وبدنك ، بأبي أنت وأُمي من مذبوح ومقتول من غير جرم ، بأبي أنت وأُمي من مقدم بين يدي أبيك يحتسبك ويبكي عليك ، محترقاً عليك قلبه ، يرفع دمك بكفه إلى عنان السماء لا يرجع منه قطرة ولا تسكن من أبيك عليك زفرة .

ودعك للفراق فمكانكما عند الله مع آبائك الماضين ومع أُمهاتك في الجنان منعمين . أبرأ إلى الله ممن قتلك وذبحك» .

وقال الإمام المهدي في زيارته لعلي الأكبر : «السلام عليك يا أول قتيل من نسل خير سليل ، من سلالة إبراهيم الخليل ، صلّى الله عليك وعلى أبيك» .

مع الشهداء

سيّد الشهداء مع حمزة ، وأشرف الغرباء مع ذي الجناحين
السلام على الأرواح العاشقة ، سلامٌ على آل ياسين

يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين : «ما من يوم أشد على رسول الله من يوم أُحُد قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر ، ثم لا يوم كيوم الحسين إزدلف إليه ثلاثون ألفاً يزعمون أنهم من هذه الأمة وهو يذكرهم بالله فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً» .

الحسين بن علي (ع) يشارك الحمزة وجعفر في كثير من الأبعاد الإنسانية البعيدة والعميقة والعليا ، فإنه يشاركهم في طهارة المنبت الشريف وفي طهارة النفوس الأبية والأعمال المخلصة وطهارة دماء الشهادة الزكية والأجساد المقطعة وطهارة الدموع وحرقتها في القلوب ، يشاركهم (ع) في طهارة الطهارة .

من ناحية النسب ، الحسين هو ابن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وحمزة هو ابن عبد المطلب بن هاشم ، وجعفر هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم . فالثلاثة (ع) ينتسبون إلى عبد المطلب بن هاشم كما ينتسب محمد (ص) إلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم . إنهم ينتسبون إلى هذه السلسلة وهذه السلالة الطاهرة التي اصطفىٰ الله منها خيرة خلقه وخاتم أنبيائه ،

يقول الرسول (ص) : «ما افترق الناس فرقتين إلاّ جعلني في خيرهما ، فأخرجت من بين أبويّ فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً» .

وسُئل (ص) : «أين كنت وآدم في الجنة ؟» قال متبسماً : «كنت في صلبه ، ورُكب بي السفينة في صلب أبي نوح ، وقذف بي في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتق أبواي على سفاح قط ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة صفياً مهذباً ، لا تتشعب شعبتان إلاّ كنت في خيرهما» .

إذاً فالحسين وحمزة وجعفر يشاركون محمداً في الآباء بدءاً من عبد المطلب فهاشمٍ إلى آدم (ع) ، وعبد المطلب هذا صاحب سورة الفيل الذي كان الله عند حسن ظنه في مواجهة جيش الفيلة بقيادة أبرهة إذ قال : «إن للبيت ربٌّ يحميه» ، أما هاشم فصاحب سورة لإيلاف قريش ، هاشم الذي نظم أُمور مكة ورحلاتها التجارية واهتم بأمن حجاج بيت الله الحرام ، واهتم بإكرامهم وحسن رفادتهم .

يقول الرسول محمد (ص) : «إن الله اصطفىٰ من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفىٰ من بني إسماعيل بني كنانة واصطفىٰ من بني كنانة قريشاً واصطفىٰ من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» .

ويقول تعالىٰ : ﴿**سلام على آل ياسين ، إنا كذلك نجزي المحسنين**﴾[1] .

ولقد كانت نفوس حمزة وجعفر والحسين نفوساً عالية وكانت أنوارهم وأنوار أعمالهم أنواراً زاهرة فإنهم تربوا في خير بيت وأكرمه تربوا في بيت العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين كما وصف زين العابدين هذا البيت .

---

(١) سورة الصافات ؛ الآية : ١٣١ .

يقول محمدٌ لإبنته فاطمة : «منا خير الأنبياء وهو أبوك ، ومنا خير الأوصياء وهو بعلك ومنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء ومنا سبطا هذه الأمة سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين وهما إبناك ومنا المهدي وهو من ولدك» . فهذه الخيرة اجتمعت في خير بيت على خير دين ، وهذا البيت ليس بيت عبد المطلب بل بيت الإسلام الذي رفع سلمان الفارسي ووضع أبا لهب بن عبد المطلب .

ولقد حمل حمزة وجعفر والحسين الإسلام مؤمنين بأنه لأشرف أعلىٰ من الإسلام ولا عز أعز من التقوى ، فكان الحمزة من الذين أسلموا في مكة فزاد المسلمين عزاً كما زاده الإسلام عزاً ، وحامى عن الرسول في مكة ومنع عنه بطش جبابرة قريش منادياً : «أنا على دين محمد» . وكان ممن هاجر مع الرسول إلى يثرب التي أنارت بمقدم محمد إليها وأصبحت تدعى مدينة الرسول أو المدينة المنورة . وكان حمزة من حملة رايات الرسول الذين يقودون الغزوات والسرايا فقد كان يقاتل بسيفين وكان ممن أبلى بلاءاً حسناً في بدر، المعركة الفاصلة في تاريخ المسلمين وفيه نزلت الآيات البينات وفيه ذاعت أحاديث البطولات تصفه بما وصفه الرسول «أسد الله وأسد رسوله» .

وأما جعفر فكان من أول المؤمنين برسالة محمد (ص) وكان من أول المصلين وراء رسول الله مع أخيه علي ، فقد كانا جناحي رسول الله في الصّلاة وفي الحياة . وكان جعفر ثقة رسول الله ولاّه أمور المسلمين المهاجرين إلى الحبشة وهو الذي حاور النجاشي حاكم الحبشة وعرّفه الإسلام فأسلم على يديه . ثم لحق جعفر بالرسول إلى المدينة المنورة فكان ممن هاجر الهجرتين ووصل جعفر إلى المدينة سنة ٧ للهجرة والرسول عائد من فتح خيبر آخر قلاع اليهود في الحجاز فلما رأى الرسول جعفراً استبشر وزاد سروره واشتد فرحه بنصر الله الذي وازى رؤية وعودة جعفر الذي كان شبيهاً لرسول الله خَلْقاً وخُلُقاً .

وكان جعفر ممن يعتمد الرسول عليه في المهمات الصعبة والبعيدة فقد ولاه على جيش المسلمين لمقاتلة الروم في مؤتة .

وأما الحسين (ع) فقد كان إسلاماً صافياً منذ يوم مولده إلى ساعة شهادته وإلى يوم القيامة ، فالسلام عليه يوم وُلد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً «السلام عليك يا وراث عيسىٰ روح الله»، فلقد كان الحسين جزءاً لا يتجزأ من الإسلام ومن نبي الإسلام «حسينٌ مني وأنا من حسين» .

لقد كان كله غيرة على الدين وقيمه ، كان محباً للعزة والعدل والحق والحرية في الإسلام ، وكارهاً ومتبرماً من الذل والظلم والباطل والعبودية في النفاق وأهله ولذلك (ع) لم يهضم فكرة مبايعة يزيد لما فيها من خطر على الإسلام وقيمه ، فقال لمروان بن الحكم لمانصحه بمبايعة يزيد: «على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد»، لذلك كانت حركة الحسين (ع) في سبيل إرساء قيم الإسلام ولو على حساب أمنه وأمن أهله ولو على حساب دمائه وسبي أخواته وبناته ونسائه ، فإن الإسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه .

لقد كان سلام الله عليه يبحث عن رضا الله سبحانه ولذلك عندما نزل في كربلاء في الثاني من محرم بالعراء على غير حصن ولا ماء وأرسل إلى ابن زياد بأن أوامره ومبادئه نفذت بحذافيرها ، أصابت ابن زياد النشوة وأرسل بكتاب شماتة إلى الحسين : «أما بعد ، يا حسين فقد بلغني نزولك بكربلاء وقد كتبَ إلي أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثير ولا أشبع من الخمير حتى الحقك باللطيف الخبير ، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد» . فلما ورد هذا الكتاب على أبيّ الضيم وأبيّ الذل الحسين (ع) وقرأه ، رماه من يده ، ثم قال : «لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق» ، فسأله رسول ابن د عن جواب الكتاب فأجاب (ع) : «ماله عندي جواب قد حقت

عليه كلمة العذاب» ، فهيهات أن يرضىٰ الحسين حكم يزيد وابن زياد بدلاً من حكم الله ولو كان الثمن القتل ، «هيهات أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» .

لقد كانت نفس الحسين شريفة كريمة عالية وكان إيمانه صادقاً وعمله مخلصاً وقلبه متعلق بالملأ الأعلىٰ تماماً كما كان الحمزة وكان جعفر فكلهم (ع) باعوا نفوسهم لله وقدموا دماءهم في سبيله في سبيل إعلاء كلمته ، ولقد عبر هؤلاء الثلاثة بالشهادة إلى رفيع مقامهم في الجنان الذي لم يكونوا ليصلوه إلّا بالشهادة وهذا ما أخبر رسول الله سبطه الحسين في منامه عشية رفضه مبايعة يزيد واستعداده لمغادرة المدينة : «حبيبي يا حسين . . . لا بد أن ترزق الشهادة ليكون لك ما كتب الله فيها (الجنة) من الثواب العظيم ، فإنك وأباك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة» .

فهذا حمزة (ع) جاهد في سبيل الله مع رسول الله في كل مواقع الجهاد إلى أن استشهد في أُحُد محامياً عن رسول الله غير خاذل له إلى أن قُتِلَ غدراً . وبعد المعركة جاءت هند بنت عتبة التي استأجرت عبداً لاغتيال حمزة وفعل ، جاءت هند أُم معاوية وجدة يزيد فبقرت بطن الحمزة واقتلعت كبده ولاكته ولفظته ثم جدعت أنفه وقطعت أذناه وتقلدتهم . فقال فيه رسول الله «سيد الشهداء حمزة ورجل قام في وجه سلطان جائر فقتله» .

وهذا جعفر قاتل في سبيل الله تحت راية رسول الله وجاهد الروم في مؤتة منشداً :

«يا حبذا الجنة واقترابها طيبة باردٌ شرابها
والروم قد دنا عذابها»

فقاتل حتى قتل وقطعت يداه في المعركة فشاهده الرسول من

المدينة وأنبأ بأن الله أبدله بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء . وعُرِف جعفر بالطيار وبذي الجناحين (ع) .

وهذا الحسين (ع) على درب الشهداء والغرباء يقف صبيحة العاشر من محرم فيخاطب أهل الكوفة قبل بدء المعركة : « ﴿**إن وليي الله الذي نَزّل الكتاب وهو يتولىٰ الصالحين**﴾[1] . أما بعد ، فانسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه ؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أو ليس جعفر الطيار عمي ؟ . . . أخبروني اتطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص من جراحة . . . أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض» فأصر القوم على خيارين لا ثالث لهما ، إما النزول على حكم يزيد أو القتل . فما كان من الحسين إلاّ كما قال : «ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر» . وقاتلهم (ع) صارخاً في أعماقهم :

«الموت أولى من ركوب العار   والعار أولى من دخول النار
والله ما هذا وهذا جاري»

وقاتل الحسين وحيداً غريباً قاتل بشجاعة وبطولة أبيه علي ، فكان ابن علي يهجم على الألوف المؤلفة فيكشفهم انكشاف المعزى وينشرهم إنتشار الجراد إلى أن قُتل بعد عدة جولات في عصر اليوم العاشر من محرم ، قتل بشتى الأسلحة التي عرفها الإنسان حتى ذلك التاريخ قتل بالسيوف والرماح والنبال والسهام المفردة والمشعبة وقطع بالسكاكين ورجم بالحجارة وديس بحوافر الخيل . قُتل خير الناس شر قتلة . ولم تنته المذبحة عند القتل فما بعد القتل قطع الرأس ورفعه على الرماح والطواف فيه طغياناً في البلاد .

---

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٩٦ .

إذاً فقد كان الحسين سيداً للشهداء كما دعا له جده عليه الصلاة والسلام «اللَّهمَّ بارك في قتله واجعله من سادات الشهداء» ولقد شارك حمزة وجعفر في علو مقام الشهادة وفي تحمل حرارة الحديد وتقطع الأعضاء والأوصال ﴿**وما نقموا منهم إلَّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**﴾[1] .

وأخيراً شارك الحسين عم أبيه وعمه بأنهم كان لهم نصيباً من أدمع الرسول وأدمع محبي الرسول والقيم .

عندما رجع رسول الله إلى المدينة من أُحُد وجعلت نساء الأنصار يبكين قتلاهن تأثر الرسول على حمزة قائلًا : «ولكن حمزة لا بواكي له» فتجاوب أهل المدينة مع مشاعر الرسول فراحوا من يومها لا يبكون قتيلًا لهم إلَّا وبكوا على حمزة معه وكيف لا يبكون وقد سمعوا رسول الله يندبه : «يا عم رسول الله يا حمزة ، يا أسد الله وأسد رسوله يا حمزة ، يا فاعل الخيرات يا حمزة ، يا كاشف الكربات يا حمزة ياذاب عن وجه رسول الله» .

وعندما قتل جعفر في مؤتة قال رسول الله «على مثل جعفر فلتبكي البواكي» .

وهذا الإمام علي (ع) عندما مر بكربلاء في مسيره إلى صفين بكى حتى بلَّ الأرض بدموعه .

«تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكن عيني لأجلك باكية
تبتل منكم كربلا بدم ولا تبتل مني بالدموع الجارية»

فسُئِل الإمام علي عن بكائه فأجاب : «دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : كان عندي جبرائيل آنفاً

---

(١) سورة البروج ؛ الآية : ٨ .

وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطيء الفرات بموضع يُقال له كربلاء» . ثم أشار علي (ع) إلى تراب كربلاء قائلاً : «ههنا مناخ ركابهم ، وههنا موضع رحالهم وههنا مهراق دمائهم . فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة (الساحة) يبكي عليهم أهل السماء والأرض» .

إذاً فقد شارك الحسين أعمامه في العبرة والحرقة في قلوب المؤمنين ، قلوب الموالين لأهل البيت ، وكيف لا يبكي المؤمن على الحسين ويحترق قلبه عليه وهو يسمع أخته زينب الصغرىٰ أم كلثوم بنت أمير المؤمنين تبكي عند مصرع أخيها الحسين منادية : «واجداه وامحمداه ، وابتاه واعلياه ، واجعفراه ، واحمزتاه ، واحسناه ، هذا الحسين بالعراء صريع بكربلاء محزوز الرأس من القفا ، مسلوب العمامة والرداء» .

وكيف لا يبكي الموالي على العطشان في غربته وعلى الشهيد في وحدته .

«شيعتي ما إن شربتم عذب ماء فاذكروني
أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني» .

أصحـاب الـوفاء

سـلامُ على صحبه وأهله ، سـلامُ على الأوفيـاء الخيّـرين
على رهبـان الليل سـلامُ وعلى ليوث النهـار المجاهـدين

عنـدما رفض الحسين (ع) أن يبـايع يـزيـد وعـرف أنـه مخيـرٌ بين البيعة والقتل قرر أن يغادر المـدينة هـو أهله في نفس الليلة التي عرضت عليـه البيعة وذلـك في ٢٨ رجب سنة ٦٠ هـ ، وتـوجـه مـوكب الحسين إلى مكة التي وصلها في ٣ شعبـان . ثم بادر أهـل الكوفـة بدعـوة الإمام إلى بلادهم مبايعين ومـوالين حتى شارفت الكتب والمـواثيق التي بعثوهـا على إثني عشـر ألف كتابـاً ، مما حمـل الحسين وقد تمّت عليـه الحجـة على الإستجابة لاستنصار الكوفـة له فـأرسل ابن عمـه مسلم بن عقيل في النصف من شهر رمضان كي يعاين مدى صدق وولاء أهل الكـوفة وليعـد العدة وينظم الأمور تهييئاً لمقـدم الإمام (ع) . ووصـل مسلم إلى الكوفـة في ٥ شوال ونزل في دار المختار الثقفي وأخذ البيعة للحسين من ثمانيـة عشر ألف في الأيام الأولىٰ من حلولـه في الكوفـة ، فأرسـل إلى الحسين يستعجله بـالإقبال واصفـاً لـه مـدى سـرعـة التجـاوب والتعـاطف معـه . ووصلت أخبـار الكـوفـة إلى الحسين في مكـة وإلى يـزيـد في الشـام فاستشار يزيد سرجون وعمل بنصيحته فعزل النعمان بن بشيـر عن الكوفـة لعـدم استعمـالـه أسلوب القمـع مـع مسلم بن عقيـل وولّى عبيـد الله بن زيـاد بن أبيه على الكـوفة لتصبح مع البصـرة تحت ولايـة هـذا المجـرم

الذي عرف وفهم أن المطلوب منه ومن ولايته هو أن يعيد دور أبيه زياد الذي سلطه معاوية من قبل على أهل الإسلام في الكوفة فقتلهم وقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم على جذوع النخل بحجة أنهم على دين علي أي أنهم لا يسبون علياً (ع) . واستوعب عبيد الله المهمة وبدأ بتنفيذها فقتل رسول الحسين إلى البصرة سليمان وتوجه إلى الكوفة وأشاع فيها الخوف والهلع والإضطراب ، وانتقل وقتها مسلم ابن عقيل إلى دار هانيء بن عروة زعيم مذحج وأبرز القادة الموالين لأهل البيت ، فكان مسلم يدير وينظم الأمور من دار هانيء . ثم قام ابن زياد وضمن إجراءات أمنية صارمة بنشر جواسيسه الذين كانت مهمتهم القيام بحملات إعلامية لإحباط عزائم القاعدة الشعبية الموالية للحسين ، وكان مهمتهم الأهم أيضاً هي الوصول إلى قادة الحركة الموالية للحسين .

ونجح عبيد الله فاعتقل هانيء وهشم وجهه بالحديد ، وخُذِل مسلم بعد أن حاصر قصر ابن زياد بأربعة آلاف مقاتل لتحرير هانيء ففي عشية ذلك اليوم بعد حملة تخذيلية قبائلية فيها الترغيب والترهيب والتشكيك وجد مسلمٌ نفسه وحيداً غريباً في شوارع الكوفة لا يتعرف إليه أحد ولا يدله على الطريق أحد فتاه في حي كندة حيث أُعتقل لاحقاً بعد أن أُعطي الأمان وسيق إلى قصر ابن زياد الذي لم يتردد بالأمر بقتله فقطعوا رأسه مسبحاً وألقو رأسه بعد جسده من فوق قصر الإمارة ثم سيق هانيء بن عروة إلى سوق الغنم مكتوفاً حيث ذبح هناك في احتفال شعبي ثم سحبت جثته في الأسواق ثم صلب مع مسلم منكوسين في ٩ ذي الحجة سنة ٦٠ للهجرة .

«فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانيء في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشّم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتيل»

ثم أرسل ابن زياد رأسي مسلم وهانيء إلى يزيد في الشام دليلاً على كفاءته وأهليته للمهمة التي كلفه بها يزيد . واعتقل ابن زياد قادة

الحـركة المـوالية للحسين مثـل سليمان بن صـرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري والمختـار الثقفي وعبد الله بن الحـرث بن نوفـل وغيرهم . وهـذا واضطر إلى الفـرار من الكـوفـة بعض رجـالات الثـورة لمـواكبـة الحسين مثل زعماء بني أسـد حبيب بن مظاهـر ومسلم بن عوسجـة ومثل الـزعيم الهمداني أبي ثمـامـة الصـائـدي . هـذا وأعلن ابن زيـاد حـالـة الـطوارىء في الكوفـة ونشر فـرقـة من جيشـه على حـدود العـراق بقيـادة الحصين بن نمير الذي نشر كتائبه إنطلاقـاً من القادسيـة مانعـة الدخـول والخروج من الكوفـة وذلك لمـا أتت أوامر يـزيد إلى ابن زيـاد : «بلغني أن حسينـاً قد فصـل من مكة متـوجهاً إلى العـراق ، فاتـرك العيون عليـه وضـع الأرصـاد على الـطرق واحتـرس واحبس على الـظنـة واقتـل على التهمة» .

وكـان الحسين (ع) قد فصـل من مكـة في ٨ ذي الحجـة أي قبـل يـوم واحد من انكفـاء الكوفـة وكان الحسين قـد أوفـد عبـد الله بن بقـطر بـرسالـة خاصـة إلى مسلم فاعتقله حـرس الحدود في القـادسيـة ثم سُلِّم إلى ابن زيـاد الذي أمـر برميـه من أعلىٰ القصر لأنـه رفض سب الحسين وأبيه ، ثم إن الحسين أوفد قيس بن مسهـر الصيداوي من بـطن الحاجـر في الـطريق بكتاب إلى زعمـاء الكوفـة الموالين يعـرفهم قدومـه فاعتقـل قيس أيضاً عند الحدود وقتل نفس قتلة ابن بقطر ولنفس السبب .

ثم إن الحسين عنـدمـا وصله نبـأ مقتـل مسلم وهـانيء وابن بقـطر وأن شيعتـه خذلتـه ، خطب في مـرافقيـه في زبـالـة قبـل الإشـراف على حدود العراق معرفاً كامل الموكب بالأمـر وقائـلاً : «من أحب أن ينصرف فلينصـرف ليس عليه منـا ذمام» فـانصرف من انصـرف وثبت من ثبت وما ثبت إلاَّ قليـل ومـا ثبت إلاَّ العبـاد الـذين لا خـوف عـليهـم ولا هم يحـزنون . وتـابع الحسين وصحبـه وأهله الطريق إلى أن اعتـرضـه عنـد شراف كتيبة من كتائب الحدود قوامها ألف فـارس بقيادة الـزعيم التميمي الحر بن يزيد الرياحي .

وكـان الحر مـأموراً بسـوق الحسين سلماً إلى ابن زيـاد فلما رفض الحسين الإنسياق مع الحر وتياسـر عن طريق القـادسية فـالكوفـة بموافقـة الحـر الذي أرسـل إلى ابن زيـاد يعـرفـه مـا جـرى بينـه وبين الحسين . فأرسل أمير الكوفة إلى الحر بكتاب يأمـره بالتضييق على الحسين وإنـزاله فوراً بالعراء في غير حصن وعلى غيـر ماء أي بعيـداً عن وجود أي إمـداد بشري محتمل وبعيداً عن أي منطقة منيعة بـطبيعتها الجغـرافية بعيـداً عن الماء الذي جعـل الله منه كـل شيء حي . وانتظر رسـول ابن زياد تنفيـذ الحر للأوامر ليرجع إلى أميره بـالخبر اليقين . فـامتنع الحسين عن تنفيـذ الأوامـر وتابـع سيره والحـر محرج ومنـزعج وقـد صـرّح بـذلـك للحسين محتجـاً بأنـه مضطر لتنفيـذ أوامر ابن زيـاد خاصـة وأن عليـه عينـاً . ولـم يطل سير الحسين حتى وصل إلى أرض قفر فسـأل عن إسمها فـأجيب : «كـربلاء» فقـال (ع) : «اللّهمَّ أعـوذ بـك من الكـرب والبـلاء . . . هـذا موضع كرب وبلاء هٰهنا مناخ ركابنا ومحط رحـالنا ومقتـل رجالنـا ومسفك دمائنا» .

ونـزل الحسين كـربـلاء بـالعـراء على غيـر حصن ولا مـاء يـوم الخميس ٢ محرم سنة ٦١ هـ فخطب (ع) : «الناس عبيـد الدنيـا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت به معايشهم فـإذا محصوا بـالبلاء قـل الـديانـون» ولقد كـان صحبه وأهله في أرض البـلاء وفي زمان البـلاء من هؤلاء الـديـانين القلة الثـابتين بعـد التمحيص ، وكـانـوا من هؤلاء القلة الـذين ثبتوا مـع الله عندمـا ركن الكثير إلى الـدنيا **﴿إذ يـوحي ربـك إلى الملائكـة أني معكم فثبتـوا الـذين آمنـوا﴾**[1] ، وكـانـوا من هؤلاء القلة الـذين يـوافق عملهم لسـانهم ويقـولـون مـا يفعلون بـل ويفعلون ولا يقـولون ، وكانوا من هؤلاء القلة الـذين أوفـوا بـالعهـد في زمن الخيـانـة والغدر وفي أرض الكرب والبلاء ، فهذا زهيـر بن القين يقول لإمـامه في

---

(١) سورة الأنفال ؛ الآية : ١٢ .

ذلك اليوم : «لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها» ، وهذا هلال بن نافع يقول لإمامه : «والله ما كرهنا لقاء ربنا ، وإنا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك» ، وهذا برير بن خضير الهمداني شيخ قراء الكوفة يقول لإمامه : «والله يا بن رسول الله ، لقد منّ الله بك علينا ، أن نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة» .

وهذا الحسين (ع) يعيد اختبار وامتحان صدق ولاء صحبه وأهله ليلة العاشر من محرم فيخطب فيهم قائلاً : «أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء ، اللّهمَّ إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ، وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين ، فاجعلنا لك من الشاكرين . أما بعد ، فإني لا أعلم أصحاباً أوفىٰ ولا خير من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً . ألا وإني لأظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً وإني أذنت لكم جميعاً فانطلقوا في حل ليس عليكم مني ذمام . هذا الليل قد غشيكم فأتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل بيد رجل من أهل بيتي ، فجزاكم الله جميعاً خيراً ، ثم تفرقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله ، فإن القوم يطلبوني ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري» .

فماذا أجاب أصحاب الوفاء والخير وأهل البر والصلة ؟ أجاب العباس : «ولم نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله ذلك» . وأجاب بني عقيل : «قبّح الله العيش بعدك» وأجاب مسلم ابن عوسجة الزعيم الأسدي والمسؤول المالي لدعم ثورة الحسين في الكوفة : «وبما نعتذر إلى الله في أداء حقك» . وقال سعيد بن عبد الله الحنفي وهو من الوافدين على الحسين في مكة بكتب الكوفة : «لا والله يابن رسول الله ، لا نخليك أبداً . . . إنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا إنقضاء لهاأبداً» . وعبّر الكثير منهم وكل على طريقته عن مدى إخلاصه

وحبه وولائه ووفائه لـلإمام الحسين ومـا يمثل من امتـداد لقيم الخير التي جـاء بهـا رسـول الله (ص) . وهنـا التفت الحسين إلى محمـــد بن بشيـر الحضـرمي وقـال لـه : «إن ابنـك أسيـر ، رحمـك الله أنت في حـل من بيعتي ، فاعمل على فكاك ابنك» . فقـال بشير : «أكلتني السبـاع حياً إن فارقتك» .

«جـزاكم الله خيراً» هكـذا دعا الحسين وهكـذا يدعـو كـل مؤمن . ثم طلب منهم الحسين أن يـدنوا بيـوتهم من بعضهـا البعض ولا يتـركـوا بينهـا ثغرات وأن يحفـروا خندقـاً نصف دائري وراء البيوت ويـرمـون بـه الحـطب والقصب وذلك ليلقـوا القـوم من وجـه واحـد ولئـلا يحـاطـوا . وباتوا ليلتهم يصلّون قياماً وقعوداً وركعاً وسجـوداً ويستغفرون ويتضـرعون ويدعون ويسبحون ويوصون ويودعون وباتوا لهم دوي كدوي النحل .

والتحق بهم في هذه الليلة أكثر من ثـلاثين موالي من أهـل الكوفـة حتى يميـز الـطيب من الخبيث . وبعـد صلاة الفجـر خـطب الحسين في جيش الكـوفـة فحـذرهم من غـرور الـدنيـا وغضب الله ، ونبههم أنـه لا يصلح لهم قتله مـع إقرارهم بـرسالـة محمد خـاصة وأنهم يعـرفون مقـام الحسين من محمـد ودينه ، وسـألهم بأي حق يـطلبونـه وهم الذين دعـوه إلى عنـدهم . فأعلمـوه بأنـه أمام خيـارين لا ثـالث لهمـا : إمـا الإقـرار بشرعية يزيد وإما القتال ، فـرفض الإمام مجـدداً بيعة الـذل فما كـان من ابن سعـد إلّا أن أعلن الحرب بـرميه أول سهم . وهنـا تـدخـل زهيـر بن القين منذراً وناصحاً : «نذار لكم من عذاب الله ، . . . نحن حتى الآن إخوة على دين واحــد مـا لم يقــع بيننـا وبينكم السيف ، فــإذا وقــع السيف انقـطعت العصمـة وكنـا نحن أمـة وأنتم أمـة» ، فهـذا الحسين وصحبـه كلهم غيـرة على الإسلام والمسلمين ولا يـريدون لهمـا إلّا الخير وتجنب الغضب الإلٰهي على هـذه الأمـة وفـرقتهـا . ولكن هـا هي الحـرب قـد

أعلنت وهـا هي الأُمـة قـد افتـرقت ﴿فـريق في الجنـة وفـريق في السعير﴾[1] .

وهنا خيّر الحر نفسه ، وهـو قائـد ربع تميم وهمـدان ، خيّر نفسـه بين الجنة والنار فـاختار الجنـة قائـلاً : «اللّهمَّ إليك أُنيب ، فتب علي ، فقـد أرعبت قلوب أوليـائـك وأولاد بنت نبيـك» والتحق الحـر وغيـره من الأحرار بصحب الحسين .

وقبـل أن تلتحم المعـركـة أعلن الحسين انفصـال الأُمـة إلى طيب وخبيث إلى كـريم ولئيم إلى ناصـرٍ للحسين وخاذلٍ لـه وبشّر من اجتمـع على قتله بخسارة الدنيا والآخرة .

وبـدأت المعركـة وأظهـر صحب الحسين بقيـادة العبـاس تنـظيمـاً وشجاعة وبطولة وفداءا مما حـال من أن تكون المعـركة كمـا توقعهـا ابن سعد «إنما هي أكلة واحدة» .

وبـدأت المعركـة بالبـراز فكانت فـرصـة لصحب الحسين الأبـطال للفتـك بالـذين برزوا من جنـد ابن سعد ، ولم يـطل البراز طـويـلاً حتى صـاح عمرو بن الحجـاج قائـد ميمنة جيش الكـوفـة والمحـامي عن نهـر الفـرات : «ألا تدرون من تقـاتلون ؟ فرسـان المصر قـومـاً مستمتين . لا يبرز إليهم منكم أحدٌ فـإنهم قليل وقلمـا يبقون ، والله لـو لم ترمـوهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم» . فقال ابن سعـد : «الرأي مـا رأيت» ومنع النـاس من المبـارزة . ثم زحف عمـرو بن الحجـاج بمقـاتليـه الأربعـة آلاف من ميمنـة عمـر ابن سعـد فلمـا دنـا من صحب الحسين جثـوا على الـركب وأشـرعوا الـرماح نحـوهم فلم تقدم خيلهم على الـرماح فـذهبت الخيـل لترجع فرشقوهم بالنبل فصـرعوا رجـالاً وجرحـوا آخرين . وحمـل الشمر من الميسرة فثبتوا له .

---

(١) سورة الشورىٰ ؛ الآية : ٧ .

ثم حمل فرسان الحسين وهم إثنان وثلاثون فارساً أو خمسة وأربعون على رواية أخرىٰ ، يقول أحد جند الكوفة : «ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً ، وتلقي أنفسها على الموت ، لا تقبل الأمان . لو كففنا عنهم رويداً لأتوا على الجموع بحذافيرها» فكانوا لا يحملون على جانب من خيل الكوفة إلاَّ كشفوه ، فلما رأى عروة بن قيس - وهو على خيل الكوفة - ما حلّ بفرسانه بعث إلى عمر ابن سعد فقال : «ألا ترىٰ ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة» . واقترحوا أن يعقروا خيول فرسان الحسين بواسطة الرجالة والرماة طالما أن خيالة الكوفة عجزت عن المواجهة .

وطال القتال إلى أن أنتصف النهار وصحب الحسين على صمودهم وشجاعتهم البطولية ، فلما رأى عمر أنهم لا يقدرون أن يأتوا صحب الحسين إلاَّ من وجه واحد لاجتماع مضاربهم وتحوطهم بخندق النار من وراء ظهورهم ، أمر ابن سعد بعض رجاله بتقويض البيوت عن أيمانهم وشمائلهم ليحيطوا بهم ، وهنا أيضاً برع صحب الحسين فكمنوا للمتسللين وقتلوهم من قريب . فأمر ابن سعد بحرق هذه البيوت الجانبية فأحرقت وكان حرقها حائلاً أيضاً لجند الكوفة من أن يأتوهم من جهة النار .

وطال القتال إلى العصر حيث تغيرت وتيرة المعركة ولم يعد بالإمكان فيما تبقى من صحب الحسين أن يحاربوا ككتلة واحدة بعد أن أخذ القتل من معظمهم مأخذاً ، فصاروا يأتون إلى الحسين يتنافسون أن يقتلوا بين يديه فيودعوه ويستأذنوه قائلين : «السلام عليك يا أبا عبد الله» ، فيجيب (ع) : «وعليكم السلام . . . تقدموا إنا لاحقون بكم

عن ساعة» فيتقدموا ويقصدوا جند الكوفة في عملية إستشهادية فيقاتلوا حتى يقتلوا ، وتتكرر العملية والكل ينتظر دوره ويقرأ الحسين ﴿ومن المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾[1] .

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢٣ .

موعد مع الشهادة

سلامُ على من يرى الموت سعادة رافض العيش مع الظالمين
سلامُ على عزّة الأحرار سلامُ على الشهداء الأكرمين

لقد كان الإمام الحسين (ع) من طلاب الشهادة وعشاقها وساداتها بل سيدها وشرفها ، ولم يكن طلب الحسين للشهادة إلاّ طلباً للطريق الأقرب إلى الله وطلباً للسبيل الأقوم لعزة المسلمين وحريتهم وكرامتهم وطلباً للصراط المستقيم صراط العدل بعيداً عن ظلال الضلال وظلام الظلم ، وبمعنى آخر لقد كان الحسين (ع) من طلاب الإصلاح في أمة محمد ولو على حساب روحه الشريفة . ولقد أوضح الحسين منذ بداية نهضته أنه كادحٌ إلى الشهادة ولذا فإن لقاءه بها عصر العاشر من محرم لم يكن لقاء صدفة بل لقاء عن سابق موعد وانتظار ، فها هو (ع) قبل استشهاده بخمسة أشهر وإثني عشر يوماً عندما رفض مبايعة يزيد وفصل من المدينة المنورة دعا بقرطاس وكتب فيه : «أما بعد ، فإنه من لحق بي منكم استشهد ، ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح» . فلقد أوضح (ع) منذ بداية الطريق وجهة سيره وقيمة إمامته للأمة فإنه من تخلف عنه زهق ومن تقدمه مرق ومن لزمه لحق واستشهد وانتصر ، وكيف لا ينتصر من عرف أن قيمة الحياة ليست بعدد السنين التي يحياها الإنسان بل بنوعية القيم الحية في الإنسان .

ومضى موكب الحسين موكب الشهادة فوصل إلى مكة حيث

مكث أربعة أشهر وبضعة أيام ، ثم قرر سيِّد الشهداء أن يسارع إلى الجنة وأن يسابق إلى المغفرة وخيراتها وأن يعجل إلى كربلاء إلى حيث الموعد ﴿**وعجلت إليك ربِّ لترضىٰ**﴾[1] ، ولو لم يعجل لأُخِذَ أخذاً . ووقف الحسين في سحر يوم الثامن من ذي الحجة موضحاً أنه سائر إلى حيث بذل المهج ولقاء الأنفس مع باريها فقال صلوات الله عليه : «من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا» وأحب الحسين وصحبه لقاء ربهم فأحب الله لقاءهم «شاء الله أن يراني قتيلاً» وكانت الشهادة هي العمل الصالح والواسطة وأقرب السبل وأقومها إلى الله ومرضاتها ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾[2] .

وفي الطريق إلى العراق وتحديداً إلى الكوفة حُذِّر الحسين كثيراً من القتل ولم يكن الحر بن يزيد الرياحي آخر من حذره قائلاً له قبل حوالي أسبوعين من يوم عاشوراء : «إني أذكرك الله في نفسك ، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن» فأجابه أبيُّ الضيم : «كفى بك ذلاً أن تعيش وترغَمَ» فما قيمة حياة الذل والإرغام؟ وإذا كان البعض يعتبر أن الحياة هي أنفاس الشهيق والزفير ، فإن الحسين يعتبر أن الحياة هي أنفاس العزة والحرية .

واقتفى الحسين وصحبه وأهله أثر الشهادة إلى أن قادهم الأثر إلى مشارف كربلاء الأرض الموعودة أرض الشهادة ومعراج الشهداء . ووقف الحسين في ذلك اليوم وهو الثاني من محرم قبل ثمان أيام من موعد اللقاء مع الله ، فقال (ع) : «فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً ، فإني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً» وهنا يؤكد الحسين مجدداً أن السعادة غير مرتبطة بأحاسيس اللذة الجسدية بل السعادة كل السعادة تكمن في إطمئنان النفس إلى العدل

---

(١) سورة طه ؛ الآية : ٨٤ .

(٢) سورة الكهف ؛ الآية : ١١٠ .

وأمنه ولو تعطل الجسد وأعضاؤه ، فإن الجسد ولذاته إلى تراب وفناء مهما طال عمره وأن القيم العليا إلى خلود وبقاء وإن قصُر عمر الجسد ، فهذه روحٍ الحسين المطمئنة ما زالت تشرق رضاً وتتلألأ سعادة وتشع نوراً وحياة عند ربها وفي نفوس المؤمنين رغم تمزق الجسد .

ولئن كان الحسين يعد نفسه وصحبه ليرتقوا درجات الشهادة طلباً للحرية والكرامة والعزة في سمو العدل ، فلقد كان يزيد يعد نفسه وزمرته ليهووا في دركات الحياة الخسيسة خنوعاً واستكانة إلى الذل والخضوع تمسكاً بالقليل من ساعات الدنيا والحقير من لذاتها ومتاعها ولو على حساب قتل إمامٍ هو خيرة البشر وخيرة المسلمين ، وكان أبرز زمرة يزيد عبيد الله ابنً زياد المكلّف بقمع حركة الحسين ، وقبض ابن زياد الثمن مقدماً وهو ولاية الكوفة .

وفهم عبيد الله المهمة جيداً واستعمل نفس أُسلوب سيده يزيد إذ أرسل عشية الثاني من محرم ، بعد أن علم بنزول الحسين في كربلاء ، أرسل إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص وكان ابن زياد قد ولى ابن سعد ولاية الري وجهّزه بأربعة آلاف مقاتل ، وجاءت المناسبة ليعرف عمر ابن سعد ثمن هذه الولاية ألا وهو قتال الحسين (ع) ، فاستعفىٰ ابن سعد ، فقال له ابن زياد : «فاردد إلينا عهدنا» أي عهد إمرة الري حلم حياة ابن سعد . وهنا استمهل ابنُ سعد ابن زياد إلى الصباح وفهمٍ المعادلة . ودرس عمر طوال الليل مسألة قتال الحسين ، درسها حسابياً !

هل يترك ملك الري ؟ هل يترك السلطة والنفوذ ونعيمهما ؟ هل يُفَوِّت فرصة حياته ؟ أم هل يتولى قتل سيّد المسلمين وعزهم ؟ وإذا قتل الحسين فكيف سيمحو مسحة العار عنه طوال حياته ؟ وإذا قتل سيّد شباب أهل الجنة فكيف سيدخل الجنة ؟ كيف سيواجه الناس

ورب الناس ؟ ولكن ملك الري هل يتنازل عنه بهذه السهولة !! ؟ درس ابن سعد واستشار فرأى أن يتولى قتل الحسين محافظة على دنياه إذ لا أحد يحاسب الأمير في الدنيا .

وأما آخرته فيتولى أمرها لاحقاً بصفقة توبة مع الله ! وبذلك يربح ابن سعد الدنيا والآخرة !! وأُعجب ابن سعد بحسن أفكاره فأنشد شعراً يقول فيه :

«أأترك ملك الري والري منيتي ... أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب ... وملك الري قرة عيني»

وفي صباح الثالث من محرم انضم ابن سعد إلى زمرة يزيد وأطاع أميره ابن زياد وتوجه بمقاتليه الأربعة آلاف إلى كربلاء «للجهاد» ضد الحسين ! .

ولما قدم ابن سعد إلى كربلاء أرسل مستفسراً الحسين عن سبب قدومه ؟ فأجاب الإمام : «كتب إليّ أهل مصركم أن أقدم عليهم ، فأما إذا كرهوني فإني أنصرف عنهم» . فكتب ابن سعد إلى أميره ابن زياد برأي الحسين ، فقال ابن زياد :

«ألآن إذا علقت مخالبنا به ... يرجو النجاة ولات حين مناص»

ثم كتب إلى عمر : «أعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه ، فإذا هو فعل ذلك رأينا رأينا والسلام» . وراح ابن سعد يحاول مفاوضة ومساومة الحسين في بيعة يزيد جاهلاً أن مثل الحسين لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع .

وفي هذه الأثناء كان ابن زياد في النخيلة ـ بلدة تتوسط الكوفة وكربلاء ـ كان يجمع وينظم الألوف من الجيوش لمقاتلة الحسين وصحبه وأهله الذين لا يتجاوز عددهم المئة. وكان ابن زياد قد أعلن في الكوفة التعبئة العامة مغرياً أن يزيد قد زاد في الأرزاق مائة مائة ،

ومهدداً ومتوعداً «لأن بلغني عن رجل منكم خلاف لاقتلنه وعريفه ووليه ولأخذن الأدنىٰ بالأقصىٰ . . . أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطأ الخصىٰ» . وخرجت الكوفة بأرباعها ـ ربع كندة وربع مذحج وأسد وربع تميم وربع المدينة ـ وخرجت بكافة فصائلها وقبائلها وخرجت بِنُعّاقها ورعاعها لمقاتلة صفوة الأرض من عشاق الشهادة الذين فشل ابن سعد في إقناع إمامهم بتغيير رأيه في بيعة يزيد .

واجتمع لابن سعد في اليوم السادس من محرم عشرون ألف مقاتل واكتمل العدد إلى ثلاثين ألف في اليوم التاسع فزحف عمر بجيشه لمقاتلة الحسين ، فطلب الإمام إمهاله إلى صباح الغد ، فاستجاب جيش الكوفة عسىٰ أن يتنازل الحق للباطل في سبيل حياة رخيصة . ولكن بعد أن راجع الحسين وصحبه ربهم ربَّ العزة لم يرضوا إلاَّ العزة عزة الحياة واستخاروا أكرم الأكرمين سبحانه فنزَّههم أن يرضوا إلاَّ كرامة الشهادة ، وقالها الحسين صباح عاشوراء في خطبته الثانية : «ألا إن الدعي ابن الدعي ، قد ركز بين اثنتين ، بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة . يأبىٰ الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، وجدود طابت وحجور طهرت ، وأنوف حمية ونفوس أبية ، لا نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» .

وطلعت شمس عاشوراء معتزة بإشراقها على الشهداء الأحياء بل معتزة بإشراف الشهداء عليها .

وقبل أن تشتعل المعركة انقلب قائد بني تميم الحر بن يزيد الرياحي إلى معسكر الحسين إنقلب تائباً مستغفراً فكان كما وصفه الحسين عند شهادته «أنت الحر كما سمتك أُمك ، وأنت الحر في الدنيا وأنت الحر في الآخرة» . وتسابق الأبطال الشهداء إلى منازلهم عند ربهم متحسرين أن ليس للإنسان إلاَّ نفسٌ واحدة يفدي بها الحسين ويقدمها لله مُرجِعاً الأمانة . وكان الشهداء يتواصون حتى

اللحظات الأخيرة من حيواتهم الدنيا بنصر الحسين (ع) حتى الشهادة . فهذا مسلم بن عوسجة عندما سقط وبه رمق أوصى ابن عمه حبيب بن مظاهر «أوصيك بهذا أن تموت دونه» وأشار إلى الحسين فأجاب حبيب : «أفعل ورب الكعبة» واستشهد مسلم فقرأ الحسين ﴿**ومنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً**﴾[1] وابتهج جند الكوفة بقتل مسلم ، ! فصاح بهم أحد قادتهم وهو شبث بن ربعي : «ثكلتكم امهاتكم ، أما إنكم تقتلتون أنفسكم بأيديكم وتذلون عزكم ، أتفرحون بقتل مسلم ابن عوسجة ؟ أما والذي أسلمت له لرُبَّ موقف له في المسلمين كريم ، لقد رأيته يوم أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تلتئم خيول المسلمين» .

وهذه أُم وهب التي كانت نصرانية فأسلمت هي وإبنها وهب على يدي الحسين وكانت هي وولدها وزوجة ولدها ممن نصروا الحسين يوم عاشوراء ضد من وُلِدَ على الإسلام ولم يعرف قيمة الإسلام . أُم وهب قالت لإبنها صبيحة عاشوراء : «قم يا بني فانصر ابن بنت رسول الله» ، فقال : «أفعل يا أماه ولا أقصِّر» فبرز وقاتل وأبلىٰ بلاءاً حسناً ثم رجع إلى أُمه قائلاً : «يا أماه ، أرضيتِ ؟» فقالت : «ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين» . فقالت امرأته : «بالله لا تفجعني بنفسك» ، فقالت أم وهب : «يا بني لاتقبل قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن رسول الله فيكون غداً شفيعاً لك بين يدي الله» . فخرج وهب وقصد رماة أهل الكوفة فقاتل حتى قطعت يداه ، فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه صارخة : «فداك أبي وأُمي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله» فأقبل وهب كي يردها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت : «لن أعود أو أموت معك» وتدخل الإمام الحسين (ع) قائلاً : «جزيتم من أهل بيت خيراً ، ليس على النساء قتال ، إرجعي إلى النساء رحمك الله» ،

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢٣ .

فانصرفت ثم لم تلبث إلاّ قليلاً حتى عادت بعد مقتل زوجها فراحت تمسح الدم عن وجهه ودعت ربها : «أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك» . فبصر بها الشمر فأمر غلاماً له فضربها بعمود فشدخها وقتلها فكانت أول امرأة قتلت في صف الحسين صلوات الله عليه .

وقبل أن يبرز وهب ويقتل كان قد برز قبله بُرير بن خضير القارىء الزاهد الذي كان يعلم أهل الكوفة قراءة القرآن والذي صلّى أربعين سنة صلاة الصبح بوضوء صلاة العشاء والذي لم يحب الباطل كهلاً ولا شاباً والذي قصد الحسين في مكة وخرج معه إلى كربلاء فنصره بالكلمة وبالإبتهال إلى الله وبالسيف حتى استشهد فكان مع الأبرار .

وهذا أبو ثمامة الصائدي يقول للحسين عند الظهر من يوم عاشوراء : «يا أبا عبد الله ، نفسي لنفسك الفداء ، هؤلاء اقتربوا منك ، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك ، وأحب أن ألقي ربي وقد صلّيت هذه الصلاة» ، فرفع الحسين رأسه إلى السماء وقال : «ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلين الذاكرين . نعم هذا أول وقتها» وصلّىٰ الحسين بصحبه صلاة الخوف فراح جنود الكوفة يستهدفون الحسين بالسهام وهو يؤم المصلين ، ففداه سعيد بن عبد الله الحنفي وتلقى بجسده ثلاثة عشر سهماً ففارق الحياة منادياً : «اللّهمَّ ابلغ نبيك السلام عني وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح ، فإني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك» .

وهذا عمرو بن قرظة الأنصاري كانت مهمته أيضاً فداء الحسين وجعل جسده درعاً للإمام فكان لا يأتي إلى الحسين سهمٌ إلاَّ اتقاه بيده ولا سيف إلاَّ تلقاه بمهجته فلم يكن يصل إلى الحسين سوء حتى أثخن بالجراح فالتفت إلى الحسين قائلاً : «يابن رسول الله ، أوفيت ؟» ، قال الإمام «نعم ، أنت أمامي في الجنة ، فاقرأ رسول الله عني السلام ، وأعلمه أني بالأثر» .

وهـذا حبيب بن مظاهـر وهو صحـابي الرسـول ومن حـواري أميـر المؤمنين ومن حملة القـرآن وكـان ممن خصهم الحسين بـدعـوتـه إلى النصرة بكتاب يخاطبه فيـه بالـرجل الفقيـه ، وكان ممن فـروا من الكوفـة وواكبـوا الحسين في الطريق وكـان وعمره خـمس وسبعون سنـة صـاحب ميسـرة الحسين في كربـلاء يوم عـاشوراء فنصـر إمامـه حتى استشهـد ، فنعاه الحسين قائلاً : «عند الله احتسب نفسي وحماة أصحابي» .

هؤلاء هم أصحـاب الحسين فلقد كـانوا جميعـاً أحراراً من نـوعيـة الحر وكانـوا من أبطال الإسـلام كمسلم ولقد كـانوا من الـواهبين أنفسهم لله مثل وهب وأهله وكانوا أبراراً كبرير وكانوا أينمـا تولـوا لا ينسون أن ثَمَّ وجـه الله كأبي ثمـامة وكـانوا سعـداء بالشهـادة كسعيد وكـانوا أنصـاراً لله كابن قرظـة الأنصاري وكـانوا يحبـون الله ورسولـه ووليه كحبيب ، كـانوا كما وصفهم الإمام الصـادق عند مـا زارهم فسلم عليهم قائـلاً : «السلام عليكم يـا أوليـاء الله وأحبـاءَه ، السـلام عليكم يـا أصفيـاء الله وأودّاءه ، السـلام عليكم يـا أنصـار دين الله . . . السـلام عليكم يـا أنصـار أبي عبـد الله ، بـأبي أنتم وأمي ، طبتم وطـابت الأرض التي فيهـا دفنتم ، وفزتم فوزاً عظيماً ، فياليتني كنت معكم فأفوز معكم» .

وجه الحسين

ويا حسرة على من رجموا وجهاً أهاب النصارى المباهلين
أما رأوا وجوهاً تدك الجبال وتجعل اللعنة على الكاذبين

لما فتح رسول الله (ص) مكة في العام الثامن للهجرة وانقادت له العرب ، أرسل رسله ودعاته إلى الأمم وكاتب ملوكها يدعوهم إلى الإسلام . وكان ممن ورد عليهم رسل رسول الله أهل نجران النصارى . وجاء في كتاب رسول الله إليهم **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلَّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾**[1] .

فتشاور أهل نجران بالأمر أياماً عديدة إلى أن أجمع رأيهم على أن يشكلوا وفداً رفيع المستوى للإتجاه إلى المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية وللتعاطي مباشرة مع رسول الإسلام . وفي أواخر السنة العاشرة للهجرة يصل المدينة ستون نفراً من أهل نجران وفيهم أربعة عشر رجلاً من وجهاء القوم يتقدمهم السيد (رئيس القوم) والعاقب (مستشار القوم أو وزيرهم) وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم وكنائسهم . ولما اجتمعوا برسولَ الله سألوه عن موقفه من المسيح (ع) ، فقال (ص) أنه يصدقه ويصدق به ويشهد أنه

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦٤ .

نبي مرسل من ربه عزّ وجلّ ، وأن المسيح عبد مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وأن المسيح (ع) قام بمعجزات عظيمة بإذن الله ربه .

فقالوا : أن المسيح جاء من غير أب وهو شيء صعب مخالف للقانون البشري فعليه يكون الله أباه وإلاّ فمن أبوه . فرد محمد (ص) أن ليس شيء من الخلق أهون على الله عزّ وجلّ في قدرته من شيء ولا أصعب ، ثم تلى ما نزل عليه من الوحي ساعتها : **﴿إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾**[1] . فأظهر وفد نجران إصراراً وعدم تجاوب مع ما جاءهم من الحق والعلم وعندها نزلت الآية القرآنية **﴿فمن حاجّك به من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾**[2] . فقال الوفد : «أنصفت» . وتواعدوا للمباهلة صبيحة الغد الواقع في الرابع والعشرين من ذي الحجة وواعدهم الرسول أن تتم المباهلة في أحد أودية المدينة . وفي الصباح اجتمع الناس في المكان المتفق عليه وكان وفد نجران بالإنتظار ليروا بمن سيباهلهم محمد ، ولم يطل انتظارهم حتى أطل محمدُ (ص) محتضناً الحسين وآخذاً بيد الحسن وفاطمة وعلي يمشيان خلفه وقال الرسول لأهله : «إذا أنا دعوت فأمِّنوا» . ولما رأى الوفد الرسول وأهله دبَّ في نفوسهم الهيبة والرعب وقال أسقفهم للوفد : «يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها ، فلا تباهلوهم فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة» . فسارعوا إلى الرسول يعطونه الرضا وطالبين العفو لما جثا الرسول على ركبتيه للمباهلة ،

---

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

وصالحوا الرسول على الجزية والبقاء على دينهم ثم عاد السيد والعاقب فأسلما على يدي الرسول .

وكان يوم المباهلة هذا يوماً مشهوداً بل وكان يوماً شاهداً . ولقد شهد الله ورسوله في هذا اليوم بكرامة أهل البيت ، وشهد المؤمنون بأن آل محمد هم ميزان الصدق وأن بهم يلعن الكاذب ، وشهد النصارى بكرامة وجوه أهل بيت رسول الله الكريم .

ولكن بعد خمسين عاماً كيف تعامل المسلمون مع الحسين الذي احتضنه الرسول يوم المباهلة على مرأى من عموم المسلمين ليباهل به وينصر به أحقية دعوته ، كيف تعامل المسلمون مع البقية الباقية من أهل المباهلة ؟ كيف تعاملوا مع الوجه المضيء بنور الله الناصر لدين الله ؟ كيف تعاملوا مع الوجه التقي الصادق بل مع وجه التقى والصدق ، والله يقول : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[1] . لقد كانوا مع الفاسقين والكاذبين لأنهم لم يعرفوا للإيمان رائحة ولا طعماً ، لقد كانوا مع يزيد وابن زياد الذي جمعهم ليشرك بقتل الحسين أكبر عدد ممكن من الزعماء القبليين والعسكريين وحتى الدينيين ومن تبعهم من رعاع على شاكلتهم . ولم يقبل ابن زياد عذراً لأحد بالتخلف عن قتال الحسين لكي يتفرق دم الحسين بين الجميع وينطفيء نور الحسين في ظل كثرة الأيدي الملوثة . ولذلك راح ابن زياد ينظم الجيوش من النخيلة متوسطاً الكوفة وكربلاء وملحقاً بكربلاء الكتيبة تلو الكتيبة . فبعد أن ألحق بكتيبة الحر أربعة آلاف مقاتل بقيادة عمر ابن سعد بن أبي وقاص في الثالث من محرم أرسل ابن زياد إلى الحصين بن نمير في القادسية وأمره بالتوجه إلى كربلاء بأربعة آلاف من جند الحدود وكذلك أرسل إلى عمرو بن الحجاج على رأس أربعة آلاف مقاتل وهذا عدى الشمر بن ذي الجوشن الذي كان

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ١١٩ .

حاضراً أيضاً بأربعة آلاف مقاتل بين يدي ابن زياد مواكباً ومستعداً للتدخل السريع . هذا ووجه ابن زياد كل من مغاير بن رهينة المازني وكعب بن طلحة بثلاثة آلاف مقاتل ، وخرج كل من يزيد بن ركاب الكلبي ونصر بن حرشة بألفي مقاتل وخرج كل من شبث بن ربعي وحجار بن ابجر بألف مقاتل إلى أن أجتمع عند ابن سعد عشرون ألف مقاتل في السادس من محرم .

وفي صباح السابع من محرم جاءت أوامر ابن زياد إلى عمر بن سعد أن «حِلْ بين الحسين والماء لا يذوقوا منه قطرة» . فكلف ابن سعد عمرو بن الحجاج بهذه المهمة فانتدب خمسمائة جندي لحراسة ماء الفرات وتحريمه على الأيدي والشفاه الطاهرة .

ونادى منادي القوم وهو عبد الله بن الحصين الأزدي : «يا حسين أما تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء ، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً» فدعا الحسين (ع) : «اللَّهمَّ اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً» فكان ابن الحصين هذا بعد حادثة كربلاء كلما شرب ماءاً يقيء ما شربه ثم يشرب فما يروى حتى مات عطشاً **﴿ويل للقاسية قلوبهم﴾** ، مات الظالم عطشاناً والماء في فمه .

واشتد العطش على أهل الحسين وصحبه بعد يوم حار فوق صحراء كربلاء الملتهبة فأمر الحسين أخاه العباس عشية ذلك اليوم (السابع من محرم) بأن يزودهم بالماء . فهيأ العباس عشرين راجلاً يحملون القرب وثلاثين فارساً وقادهم العباس تحت غطاء الليل فتسلل بهم بعد قتال يسير مع حرس النهر ثم عاد بهم سالمين ومالئين للقرب . فما كان من ابن سعد إلاَّ أن أمر في صبيحة الثامن من محرم بأن يرفع عدد حرس الفرات من خمسمائة إلى أربعة آلاف .

ثم إن عشية الثامن من محرم بعد لقاء ليلي بين الحسين وابن سعد ، أرسل ابن سعد إلى زياد محاولاً تلطيف الأجواء ومحاولاً

التنصل من حرب الحسين ومن إلقاء وزر ذلك العمل على العراق وأهله ، وضمّن ابن سعد رسالته إقتراحاً من عند نفسه نسبه إلى الحسين وهو أن يُترك الحسين يغادر العراق وأن تحل القضية مباشرة بين الحسين ويزيد بدون سفك دماء . وكاد أن يفلح ابن سعد بسياسته لولا تدخل الشمر وهو أشر القوم وألأمهم وأقبحهم . وأقنع الشمر ابن زياد بأنه الآن في موقع القوة والعزة والحكم من خلال إمساكه بورقة الحسين المنافس الأقوى ليزيد وأن إفلات الحسين من تحت سلطانه خطأٌ سياسي لا يعوض . فعظم الأمر على ابن زياد وأرسل الشمر على رأس أربعة آلاف مقاتل بأوامر واضحة لابن سعد : «أما بعد ، فإني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندي شافعاً ، انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون . فإن قتل الحسين فأوطىء الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم . فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخلِّ بين شمر وبين العسكر والسلام» . وأمر ابن زياد شمراً بإرسال رأس ابن سعد إن رفض قتال الحسين . ولما وصل شمر إلى كربلاء عصر التاسع من محرم وفهم ابن سعد أنه أصبح بين خيارين لا ثالث لهما : إما أن يُقطع رأسه وإما أن يَقْطَع رأس الحسين ، درس المسألة بسرعة وقرر أن يضحي برأس الحسين وأعلن الهجوم ساعتها على مخيم الحسين فاستمهلهم (ع) إلى صباح الغد ، فرضي ابن سعد بعد أن شاور الشمر الموكل بقطع رأسه في أية حالة تردد ، ورضوا بالإنتظار إلى الصباح عسىٰ أن يهاب الحسين جيش الكوفة الذي شارف على الثلاثين ألفاً فيدفعه الخوف إلى المسالمة والرضوخ .

وعند سحر العاشر من محرم بعد ليلة التهجد والإستعداد للقاء الله سبحانه خفق الحسين خفقة فرأى كأن كلاباً قد شدّت عليه لتنهشه وفيها كلب أبقع كان أشدها عليه .

وقبل هذه الرؤيا بأكثر من خمسين سنة رأى رسول الله رؤية فسرتها هذه الرؤية ، يقول (ص) : «رأيت كلباً أبقع يلغ في دماء أهل بيتي» .

وعند بزوغ الفجر صلّىٰ الحسين بأهله وصحبه صلاة الصبح ثم ركب ناقته وحمل مصحفاً واتجه إلى القوم داعياً ربه ثقته ورجاءه وعدته ووليه ، ورافق الحسين برير شيخ قراء القرآن في الكوفة ، فتكلم برير بأمر إمامه فذكّر القوم بأن ثقل آل محمد قد أصبح بين أظهرهم ، فهل يليق بهم أن يحبسونه ويمنعونه من الرجوع إلى المكان الذي جاء منه ، وهل نسوا كتبهم وعهودهم ومواثيقهم ؟ وكيف يُدعىٰ أهل بيت النبي إلى بلدهم ثم يمنعونهم الماء ، وأنهى برير كلامه : «بئس ما خلفتم نبيكم في ذريته» .

ثم تقدم الإمام الحسين يلازمه أخوه العباس وإبنه علي الأكبر فاقترب من أهل الكوفة ورفع صوته خاطباً : «الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور من غرته ، والشقي من فتنته ، فلا تغركم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء كل من ركن إليها ، وتخيب طمع من طمع فيها .

وأراكم قد أجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحل بكم نقمته وجنّبكم رحمته . فنعم الرب ربّنا وبئس العبيد أنتم ، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد (ص) ثم إنكم زحفتم على ذريته وعترته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم . فتبّاً لكم ولما تريدون . إنا لله وإنّا إليه راجعون ، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين» .

فقال عمر ابن سعد : «ويلكم كلّموه فإنه ابن أبيه ، والله لو وقف

فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر» ، فتكلم الشمر فقال : «يا حسين ما هذا الذي تقول ؟ أفهمنا حتى نفهم» .

فقال الحسين (ع) : «أقول اتقوا الله ربكم ولا تقتلوني فإنه لا يحل لكم قتلي ولا إنتهاك حرمتي ، فإني ابن بنت نبيكم وجدتي خديجة زوجة نبيكم ، ولعله قد بلغكم قول نبيكم : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» .

يا أهل العراق ، أيها الناس ، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ وحتى أعذر إليكم ، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم **﴿فاجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون﴾**[1] ، **﴿إن وليّي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾**[2]» .

عند ذلك تعالت أصوات النساء بالعويل والبكاء من ناحية الأخبية فأمر العباس وعلي بأن «أسكتاهن ، فلعمري ليكثرن بكاؤهن» .

ثم أكمل (ع) : «أما بعد فانسبوني ، فانظروا من أنا ، ثم راجعوا أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيِّه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه ؟ أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمي ؟ أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي ؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض أن رسول الله (ص) قال لي ولأخي : «هذان سيدا شباب أهل الجنة» فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق ، والله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن

(١) سورة يونس ؛ الآية : ٧١ .
(٢) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٩٦ .

سألتموه عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر ابن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (ص) لي ولأخي ، أما في هذا لكم حاجزٌ عن سفك دمي ؟» .

فقال الشمر : «هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول» .

فردَّ حبيب بن مظاهر : «والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرف ، وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما تقول ، قد طبع الله على قلبك» .

ثم قال الحسين : «فإن كنتم في شك من هذا ، فتشكون أني ابن بنت نبيكم ؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم .

ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته ؟ أو مال لكم استهلكته ؟ أو بقصاص من جراحة ؟ » .

فلما لم يجبه أحد نادى (ع) : «يا شبث بن ربعي ، يا حجار بن أبجر ، يا قيس بن الأشعث ، يا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إليّ أن قد اينعت الثمار وأخضر الجناب وإنما تقدم على جند لك مجند ؟» .

فقال قيس بن الأشعث : «ما ندري ما تقول ولكن أنزل على حكم بني عمك ، فإنهم لن يروك إلاَّ ما تحب» .

فقال له الحسين (ع) : «أنت أخو أخيك» وكان أخوه محمداً قد أعطى أماناً لمسلم بن عقيل ثم خان أمانه عند ابن زياد الذي قتل مسلماً مستخفاً بأمان ابن الأشعث .

ثم أعلن الحسين قراره النهائي ومبدأه الأولي : «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد . عباد الله إني عذت

بـربي وربكم أن ترجمـون ، وأعوذ بـربي وربكم من كـل متكبـر لا يؤمن بيوم الحساب» .

ثم أنـاخ راحلته ونـزل عنها . إذاً أعلن الحسين ثبـاته على مـوقف العزة رغم الألوف الثلاثين التي حاولت إرهابه وتمييـع موقفـه . وفهم ابن سعـد أنه لم يعـد أمامـه سوى إعـلان الحرب وكـذلك فعـل بعد أن رتب صفوف مقاتليه . وقبل أن تشتعل شرارة المعركة تقـدم الحسين مرّة ثـانية وخـطب في أهل الكـوفة معلنـاً إنفصال الأمـة الإسلاميـة إلى طيب كريم على نهـج الحسين وإلى خبيث علي نهج يـزيد ، وأعلن الإمـام أنّ لعنـة الله وغضبـه قد حلّت على هـذه الأمـة بسبب إجماعهـا على قتله (ع) ، وهنا انقلب بعض أهل الكوفة والتحقـوا بالحسين وكـان أبرزهم الحـر بن يزيد الرياحي القائد التميمي الـذي كـان قـد ضيق على الحسين إلى أن أوصله إلى هذه المرحلة . ثم أعلن ابن سعـد بدايـة المعركـة برميـه أول سهم قائلاً : «إشهدوا أني أول من رمىٰ» .

وطـالت المعركـة من صبـاح اليـوم العـاشـر إلى العصـر حين بقي الحسين وحيـداً بعد أن بـذل صحبه وأهله نفـوسهم فداءاً لـروح الحسين ودينه . فقاتل الحسين بحول الله وقوته .

فكشف ونشـر الآلاف حولـه من رجّالـة وفرسـان ورماة ، فلم يـزل (ع) يقـاتل حتى أصـابته جـراحـات عـظيمـة من أثـر الـرمـاح والسيـوف والسهـام فوقف (ع) يستـريح فـأتاه حجـر وقع على جبهتـه فأخـذ الثـوب ليمسح الدم عن وجهه فأتـاه سهم محدد بثـلاث شعب على صدره فقـال (ع) : «بسم الله وبـالله وعلى ملّة رسـول الله» ، ثم نـزع السهم ولـطخ رأسه ولحيته بدمه قائلاً : «هكـذا أكون حتى القى جـدي رسول الله وأنـا مخضوب بدمي» . واجتمـع المجرمـون القساة حـول الحسين هذا يـرميه بسهمـه وذاك يضـربـه بسيفـه وذاك يـطعنـه بـرمحـه حتى كبـا (ع) على وجهـه ، فـراح (ع) يكبـو مـرة ويقـوم مـرّة إلى أن طعنـه سنـان بن أنس

النخعي فـأسكن حركتـه ، ثم نزل خـولي بن يـزيـد ليجتـز رأس الحسين فضعف وارتعدت يده ، فنـزل الشمر فـرفس الحسين برجله فـالقـاه على قفـاه ثم جلس على صدره ممسكـاً بلحيته الشـريفة والتقى وجـه الحسين المنير بوجـه الشمر الأبقـع الأبرص ، فقـال الحسين (ع) : «الله أكبر الله أكبر ، صدق الله ورسوله ، قال رسول الله : «كـأني أنظر إلى كلب ابقـع يلغ في دم أهـل بيتي» » . فضـرب الشمـر حسينـاً على رأسـه إثنـا عشـر ضـربة حتى جـزَّ رأسه (ع) . قتلوا الحسين بمنتهى الحقـد وهم يعلمـون مقامه من رسول الله (ص) فقتلوه استهزاءاً برسول الله .

﴿يـا حسـرة على العبـاد ، مـا يـأتيهم من رسـول إلاّ كـانـوا بـه يستهزئون﴾[1] .

---

(١) سورة يس ؛ الآية : ٣٠ .

للكلمـات معـاني

فيـا من تصلون على محمد هـل قـرأتم «ويـلُ للمصلّين»
ويل للسـاهي عن معنى صلاته يقتل حسينا مع الساهين

لقد جاء الإسلام بدعـوة عقائـدية مفـادها أن هـذا الكون بسمـاواته وأرضـه قائم بنـور الله الذي تسـري واحـديتـه في سـائـر أبعـاد وأشكـال الوجود .

«وفـي كـل شيء لـه آيـة تـدل على أنـه واحـد» .

فـالله وحده هـو الخـالق والـرازق والمميت والمحيي بعـد المـوت ليوم العدل يوم الحساب ولا يشـارك الله في القيام بـأمور خلقـه أحد ولـو بأية نسبة ، فهو الأحد في ذاته وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالىٰ .

وكـذلك يعتقـد الإسـلام بـأن الله شـاء بعـدلـه ولـطفـه أن لا تخلو الأرض مـن حجـج لله عـلى خلقــه ﴿لئـلا يـكــون للنـــاس عـلى الله حجـة﴾(1) و ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيَّ عن بينـة﴾(2) ، ﴿فللّه الحجة البالغة﴾(3) .

---

(1) سورة النساء ؛ الآية : ١٦٥ .
(2) سورة الأنفال ؛ الآية : ٤٢ .
(3) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٤٩ .

وهؤلاء الحجج هم إما دعاة إلى الله بإذنه ووحيه ويسمون أنبياء وإما أنبياء أصحاب شريعة أو رسالة ويسمون رسلاً وإما امتداداً للرسل وأمناء على شرائعهم ويسمون أوصياء .

ولما كان الإسلام أحد شرائع الله إلى خلقه بل آخرها ، كان نبيُّ الإسلام رسول الله محمد (ص) خاتماً للرسل والنبيين ، وكانت شريعته خاتمة للشرائع ومهيمنة عليها وكان أوصياء محمد آل محمد ابتداءاً بعلي وانتهاءاً بالمهدي هم البقية الباقية من حجج الله وخلفاء الله في أرضه وهم الدعاة إلى دين الله وأمانه في أرضه ولأرضه ، وتقريراً لهذه الحقيقة وترسيخاً لها في نفوس البشر ، أوجب الله تعالىٰ على المؤمنين أن يصلوا على محمد وآله ليس أقل من خمس مرّات في اليوم ويطلبوا لهم الدرجات العلىٰ عند ربهم ، فقال عزّ من قائل : **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾**[1] ، فصلاة المؤمنين على محمد وآله امتداداً وصدى لصّلاة الله أي رحمته ولصّلاة الملائكة وتكريمهم لخيرة الله في خلقه .

والتزم جمهور المسلمين بالنص القرآني تلاوة ولفظاً ولم يلتزموا بمعناه فراحوا يصلون على آل محمد جاهلين حقهم بل مزايدين عليهم ومتعدين عليهم وعلى حقوقهم إلى أن قتلوهم منتقمين ، وسفكوا دم الحسين ابن بنت نبيهم بل آخر بنت نبي على الأرض ، وتجاهلوا مقام الإمام الحسين من الله ورسوله وتجاهلوا مقام الحسين بحد ذاته وما يمثل بشخصه أرقى الوجودات الإنسانية .

فإذا كان الذي يدع اليتيم مكذباً بالدين فكيف بالذي سفك دماء يتامىٰ آل محمد ، وإذا كان الذي لا يحض على طعام المسكين مكذباً بيوم الدين فكيف بالذي منع ماء الفرات عن آل محمد ، وإذا كان

---

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٥٦ .

الـويـل للسـاهين عن صـلاتهم فمـاذا للذين يصلون على آل محمـد ويقتلون آل محمـد ، وإذا كان الـذي يمنـع العـون مـرائياً فمـاذا يكـون الـذي يقتل ويسلب الإمـام الحسين الـذي كـان عـوناً للضعفـاء . سئـل الإمـام علي بن الحسين زين العابـدين عن أثر على ظهـر الحسين فأخبـر أن أبـاه كـان ينقـل الـطعـام على ظهـره إلى الضعفـاء والمسـاكين **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾**(1) .

نعم هـذا هـو الإمـام الحسين الـذي أجمـع على ظلمـه طـواغيت زمـانه من أصحـاب المطامـع والمصالـح . نعم هذا هـو الإمـام الحسين الـذي بـاعـه أهـل زمـانـه **﴿بثمن بخس دراهم معـدودة وكـانـوا فيـه من الزاهدين﴾**(2) .

عشيـة الثامن من محـرم ارسل الحسين إلى عمـر ابن سعد يـطلب منـه الإجتمـاع إليـه ، فقـدم ابن سعـد في عشـرين من صحبـه واجتمـع برفقه ابنه حفص وغلامه بالإمـام الحسين يرافقـه أخوه العبـاس وابنه علي الأكبـر . فقـال الحسين (ع) : «يـا ابن سعـد ، أتقـاتلني ؟ أمـا تتقي الله الـذي إليه معـادك ؟ فـأنـا ابن من علمت ، ألا تكـون معي وتـدع هؤلاء فإنه أقرب إلى الله تعالىٰ» . قال عمر : «أخـاف أن تهدم داري» ، فقـال الحسين : «أنا أبنيها لك» .

قـال : «أخـاف أن تؤخـذ ضيعتي» فقـال الحسين : «أنـا أخلفـ عليك خيراً من مالي في الحجاز» .

قـال عمر : «إن لي عيـالاً في الكوفـة وأخاف عليهم من ابن زيـاد القتل» ، أما عيال آل محمد فمن يخاف عليهم القتل ؟ .

ورجـع ابن سعد مضـطربـاً لا يـدري كيف يخلص نفسـه من هـذا

---

(1) سورة الإنسان ؛ الآية : ٨ .

(2) سنورة يوسف ؛ الآية : ٢٠ .

المأزق الذي وضعه به ابن زياد ؟ وكيف يرجع عن هذه الطريق التي بدأها ؟ وهل لطريقه رجعة ؟ .

لقد كان يطمع في ملك الري في البداية فقَبِل أن يتولى قتال الحسين ثمناً لهذا الملك ولو أنه رفض قتال الحسين وقتها لكان خسر ملك الري فقط ، أما الآن فإنه إن تراجع فسيخسر كل شيء بيته وأمواله وأملاكه وعياله بل وحتى نفسه فإنه يتعامل مع ابن زياد سليل القتلة والفجرة . فكيف المخرج ؟ وطرأ على رأس ابن سعد فكرة قد تخرجه من المأزق وهي أن يواري ويداهن على ابن زياد ، فالكذب واللعب على الكلام أهون من قتل الحسين ومن الإبتلاء بأذية الحسين وأهله .

وفعلاً لعب ابن سعد لعبته الأخيرة وأرسل مهوِّلاً إلى ابن زياد : «أما بعد ، فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة ، هذا الحسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه أو أن نسيره إلى أي ثغر من الثغور شئنا أو (وهنا إقتراح ابن سعد) أن يأتي أمير المؤمنين فيضع يده في يده ، وفي هذا لكم رضا وللأمة صلاح» . يقول عقبة بن سمعان ـ وهو مولى الرباب زوجة الإمام الحسين ـ «صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل ، وسمعت جميع مخاطباته الناس إلى يوم مقتله فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر به الناس من أن يضع يده في يد يزيد ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين» ، إذاً هذه لعبة ابن سعد التي كادت تنجح بالإيحاء إلى ابن زياد أن لماذا لا ندع الخلاف بين الحسين ويزيد يُحل شخصياً بينهما بعيداً عن العراق وعن أهل العراق وعن زعماء العراق وبالذات عنه شخصياً .

فلما قرأ ابن زياد الكتاب ، قال : «هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه ، نعم قد قبلت» وكادت خطة ابن سعد أن تنجح لولا

أن تـدخل شمـر بن ذي الجوشن وهـو من قسـاة القـوم وأغلظهم فقـال : «أتقبـل منه وقـد نزل بـأرضـك وإلى جنبـك ؟ والله لئن رحـل من بـلادك ولم يضـع يده بيـدك ليكونن أولى بـالقـوة والعـزة منـك ، ولتكـونن أولى بالضعف والعجز . فلا تعطه هذه المنزلة فإنهـا من الوهن . ولكن لينـزل على حكمـك هو وأصحـابه فـإن عـاقبت كنت ولي العقـوبـة وإن عفـوت كان ذلك لـك . والله لقد بلغني أن الحسين وعمـر يتحدثـان عامـة الليل بين العسكرين» .

فقـال ابن زياد : «نعم مـا رأيت . أخـرج بهـذا الكتـاب إلى عمـر فليعـرض علي الحسين وأصحابـه النزول على حكمي فـإن فعلوا فليبعث بهم إلي سلماً ، وإن أبوا فليقاتلهم .

وإن فعل فاسمع له وأطـع وإن أبى فأنت الأميـر عليه وعلى النـاس واضرب عنقه وابعث إليّ برأسه» .

فلما قرأ ابن سعـد الكتاب قـال للشمر : «مـالك ويلك ، لا قـرب الله دارك وقبـح الله ما جئت بـه والله إني لأظنـك أنت ثنيتـه أن يقبـل مـا كتبت إليه به، أفسدت علينا أمـراً كنا رجـونا أن يصلح . والله لا يستسلم الحسين أبـداً ، والله إن نفس أبيـه لبين جنبيـه» . فقـال لـه الشمـر : «أخبـرني ما أنت صـانع ؟» قـال ابن سعد : «أتـولى ذلك» وزحف جيش الكـوفـة عصـر ذلـك اليـوم في التـاسـع من محـرم على مخيم الحسين منـادين : «يا خيـل الله اركبي وبالجنـة أبشري» . يـزايدون على الحسين ولي الله وسيـد شبـاب أهـل الجنـة ! ؟ وأيـة جنـة تلك التي يستبشـرون بهـا ؟ أتلك التي سيدهـا الحسين الذي هم زاحفـون لقتله ؟ أم أنها جنـة أخرىٰ خاصة بمرضى القلوب وقساتها ؟ وهـل للقلوب المريضـة والقاسيـة شفاء إلاّ النار ؟ .

فلمـا اقتربـوا من مكان الإمـام الحسين تقـدم إليهم العبـاس بـأمـر أخيه فسألهم ما لهم وما بـدا لهم ؟ فقال ابن سعـد : «جاء أمـر الأمير أن

نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم» فقال العباس : «لا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم» فلما أنبأ العباس أخاه الحسين بالأمر ، قال الحسين «إرجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة ، لعلنا نصلّي إلى ربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره» ، فقال العباس للقوم : «انصرفوا عنا العشية حتى ننظر في الأمر فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله ، فإما رضينا وإما رددناه» .

فشاور ابن سعد الشمر وعمرو بن الحجاج وقيس بن الأشعث فقبلوا التأجيل إلى صباح الغد عسىٰ أن يتجاوب الحسين ويخضع لمنطق القوة والكثرة .

ولكن صباح العاشر من محرم خطب الحسين في أهل الكوفة خطبته الأولىٰ معلناً رفضه لمنطق الذل والعبودية ومعلناً تمسكه بشرف انتسابه إلى الإسلام دماً وروحاً وفكراً وعملاً وإمامة . فلما تبين لابن سعد أن الحسين حتى تلك اللحظات ما زال مستمراً على موقفه وأنه لن يتنازل بل يدعو أهل الكوفة إلى العودة إلى رشدهم واحترام مواثيقهم وإسلامهم ، هنا عبّأ ابن سعد صحبه وجنده الثلاثين ألفا وصفهم للقتال بعد أن وزّع على قادتهم الأدوار والمهمات والمواقع .

وكذلك هيأ الحسين (ع) صحبه وأهله للقتال وأمر باشعال النار في الخنادق التي حفرت ليلاً وراء الخيام لحماية الظهور ولئلا يؤتوا من ورائهم . وهنا راح جند الكوفة يزايدون على إيمان الحسين ويهزؤون ، فينادي الشمر سيد شباب أهل الجنة قائلاً : «تعجلت النار في الدنيا قبل القيامة» فيقول له (ع) وقد عرفه : «أنت أولى بها صلياً» وأراد مسلم بن عوسجة أن يرمي الشمر بسهم فمنعه الإمام الحسين (ع) قائلاً : «لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بقتال» . ونادى آخر : «يا حسين أبشر بالنار» فقال الإمام : «كذبت بل أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع . فمن أنت ؟» ، قال : «ابن حوزة» فرفع الحسين يديه فقال :

«اللَّهمَّ حزه إلى النار» فاضطرب فرس ابن حوزة وشرد فانقلب ابن حوزة عن فرسه وبقيت قدمه معلقة بالركاب وراح يعدو به فرسه يضرب به كل حجر وشجر حتى رماه في نار الخنادق خلف الخيام . وتقدم أحد جند الكوفة واسمه محمد بن الأشعث فأساء بكلامه إلى الحسين (ع) ، فدعا الإمام : «اللَّهمَّ أرني فيه هذا اليوم ذلاً عاجلاً» وبعد ذلك ارتفع صراخ ابن الأشعث وجاء الخبر أن عقرباً أسوداً كبيراً لدغه وهو يقضي حاجته فقتله . وفوق كل هذه الآيات والعلامات لم يرد الحسين أن تبدأ المعركة قبل أن يوجه كلمة ثانية لجند الكوفة عسى أن يهتدي بعضهم لنصرته وعسىٰ أن ينكفيء بعضهم عن خذلانه وعسىٰ أن تنطلق كلمته في أثير الزمان فيسمعها إلى يوم القيامة ويستضيء بنورها عشاق الحق والإسلام الشريف . ونادى الحسين في غوغاء ورعاع الكوفة :

«ويلكم ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي ، وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد ، فمن أطاعني كان من المرشدين ومن عصاني كان من المهلكين وكلكم عاصٍ لأمري غير مستمع قولي فقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم . ويلكم ألا تنصتون ؟ ألا تسمعون ؟» .

فتلاوم أصحاب ابن سعد بينهم وقالوا : «أنصتوا له» .

فقال (ع) : «تباً لكم أيتها الجماعة وترحا ، أفحين استصرختمونا ولهين فأجبناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم ، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوكم وعدونا ، فأصبحتم إلباً على أوليائكم ويداً لأعدائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم ، إلاَّ الحرام من الدنيا أنالوكم وخسيس عيش طمعتم فيه من غير حدث كان منا ولا رأي تفيل لنا .

فهلّا لكم الويلات تركتمونا والسيف لم يشهر والجأش طامن والرأي لم يستحصف ، ولكن أسرعتم علينا كطيرة الدبىٰ وتداعيتم كتداعي الفراش .

فقبحاً لكم ، فإنما أنتم من طواغيت الأُمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ونفثة الشيطان وعصبة الآثام ومحرفي الكتاب ومطفئي السنن وقتلة أولاد الأنبياء ومبيري عترة الأوصياء وملحقي العهار بالنسب ومؤذي المؤمنين وصراخ أئمة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين .

وأنتم ابن حرب وأشياعه تعضدون وعنا تخاذلون . أجل والله الخذل فيكم معروف نبتت عليه أصولكم وتأزرت فروعكم وثبتت عليه قلوبكم وغشيت صدوركم فكنتم أخبث ثمر ، شجى للناظر وأكلة للغاصب ، ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، فأنتم والله هم .

ألا إن الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين ، بين السِّلة والذلة ، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وجدود طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام .

ألا قد أعذرت ، ألا قد أنذرت ، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلّة العدد وكثرة العدو وخذلان الناصر .

أما والله لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور ، عهد عهده إليّ أبي عن جدي **﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليَّ ولا تُنظِرون﴾**(١) ، **﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم﴾**(٢) .

اللّهمَّ احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة ولا يدع فيهم أحداً إلّا

---

(١) سورة يونس ؛ الآية : ٧١ .

(٢) سورة هود ؛ الآية : ٥٦ .

قتلهُ قتلة بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم ، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير» .

ثم قال (ع) : «أين ابن سعد» فدعي له فقال الحسين : «يا ابن سعد أنت تقتلني ؟ وتزعم أن يوليك الدعي بن الدعي بلاد الري وجرجان . والله لا تتهنأ بذلك أبداً ، عهداً معهوداً . فاصنع ما أنت صانع فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة ولكأني برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة يتراماه الصبية ويتخذونه غرضاً بينهم» .

فغضب ابن سعد ونادى بأصحابه مغتاظاً : «ما تنتظرون به ؟ إحملوا بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة» .

وعند عصر ذلك اليوم بعد أن بقي الحسين وحيداً وقد قُتِل صحبه وأهله يروي الإمام محمد الباقر حفيد الحسين فيقول عن جدِّه أنه كان : «يشدُّ على الميمنة مرّة وعلى الميسرة مرّة وعلى القلب مرّة . ولقد قتلوه قتلة نهى رسول الله (ص) أن يقتل بها الكلاب . لقد قتل بالسيف والسنان وبالحجارة والخشب وبالعصا ولقد أوطؤوه الخيل بعد ذلك» .

«قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا   في قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما   قتلوا بك التكبير والتهليلا»

السمـوات والأرض

على سيّـد شباب أهـل الجنة سَـل السمـوات لمـاذا بكينـا
وأسـأل الأرض كيف فـارت دماً تنعي وتنـوح إمـاماً مبينـا.

ترك الإمام الحسين (ع) بيتـه في المدينـة المنورة لليلتين بقيتـا من شهر رجب سنة ٦٠ للهجرة ، وتوجه الإمام إلى مكـة رافضاً مبايعة يـزيد ولي عهـد أبيه معـاوية ورافعـاً الحرج عن حـاكم المدينـة المأمـور بقتـل الحسين إن رفض البيعة .

أقام الإمام في مكة أشهر شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة، ثم في الثامن من ذي الحجة يوم الثلاثاء غادر الحسين مجـدداً مكة متـوجهاً إلى الكوفة في العراق مفوتاً الفرصة على الحكم الأموي من اغتياله في الحرم في زحمـة موسم الحـج حسب ما وصله من معلومـات دقيقـة، وملبيـاً دعـوة أهل الكوفة الذين أظهروا تمسكاً بإمامته وولايته الدينية والسيـاسية خـاصّة وأن معاوية كان قد هلك ومات معه أي ميثاق يلزم الإمام الحسين بالسكوت والقعود وخاصّة أن معاوية أساء إلى الإسـلام والمسلمين بعد وفـاته أكثـر ممـا أساء إليهم في حيـاته إذ خلف ابنـه يزيـد حـاكمـاً وواليـاً على دولـة الإسلام مع ما يتمتع يزيد من رذالة في الخلق وسفاهـة في العقل تحـول من أن يكون يزيد أهلاً للولاية حتى على نفسه .

وفي الثـامن من محـرم وصـل الحسين إلى العـراق ولكن إلى كربلاء عند شاطىء الفرات بدلاً من الكوفة ووصـل تحت حراسـة مشددة يحاصره ألف فارس من حرس الحـدود الذين أعلمـوه أن لا مكان لـه في

الكوفة إلاّ أسيراً في سجن أميرها الجديد عبيد الله ابن زياد الذي استطاع أن يضبط جماح أهل الكوفة خلال أيام معدودة والذي استطاع أن يفتك قتلاً وسجناً وتشريداً وإرهاباً بقادة الحركة الحسينية في الكوفة والذي استطاع أن يؤجج مشاعر الخوف والهلع والطمع في نفوس الزعامات القبلية والقواعد الشعبية التي تتمتع بضعف طبيعي في ولاءاتها ومواقفها .

وفي الثالث من محرم وصل عمر ابن سعد بن أبي وقاص على رأس أربعة آلاف مقاتل لتولي أمر إخضاع الحسين سلماً أم حرباً .

وفي السادس من محرم قارب جيش ابن سعد العشرين ألفاً دون أن يستطيع أن يقنع أو يرغم الحسين على التجاوب مع الحكم الأموي اليزيدي وأدواته .

وفي السابع من محرم منع عن الحسين وجماعته ماء الفرات .

وفي عصر التاسع من محرم اكتمل جيش الكوفة عدة وعديداً وناهز الثلاثين ألفاً حيث أربعة آلاف منهم موكل بحراسة ماء الفرات عن عترة محمد (ص) .

ولما أراد جيش الكوفة المبادرة إلى مقاتلة الحسين عصر ذلك اليوم إن لم يبادر الحسين وصحبه الإثنان والسبعون إلى مبايعة يزيد والنزول على حكم ابن زياد فوراً فاستمهلهم الحسين إلى صباح الغد فأمهلوه عسى أن يلين ويضعف أمام فكرة القتل المحتم .

واستفاد الحسين من هذه المهلة ليودع ربه في أواخر ساعاته فوق أرض الدنيا وتحت سمائها ولم يكن لإنسان مثل الإمام الحسين أن يتراجع عن إخلاصه لله ولرسوله خوفاً من موت مكتوب على كل البشر . يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع) : «إني

لجالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرضني إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي ينشد :

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حي سالك سبيلٍ ما أقرب الوعد من الرحيل
وإنما الأمر إلى الجليل.

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعرفت ما أراد فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل ، وأما عمتي فإنها لما سمعت ما سمعت . . لم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها حتى انتهت إليه ونادت : «واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة ، اليوم ماتت أُمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضي وثمال الباقي» .

فنظر إليها الحسين وقال : «يا أخية لا يذهبن حلمك الشيطان . . . يا أختاه تعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون ، وأن كل شيء هالك إلاَّ وجه الله تعالىٰ الذي خلق الخلق بقدرته ويبعث الخلق ويعودون وهو فرد وحده . وأبي خير مني وأُمي خير مني وأخي خير مني ، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة» ، ثم قال لها : «يا أختاه إني أقسمت عليك فأبرّي قسمي ، لا تشقي علي جيباً ولا تخمشي عليّ وجهاً ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت» ، ثم جاء بها حتى أجلسها عندي» .

وبعد تلك الليلة التي أجاز فيها الحسين لأهله وصحبه الإنسحاب من المواجهة وتركه يواجه القتل وحده وتمسك الأهل والصحب بنهج الشهادة بين يديه والكرامة عند الله ، صلّىٰ الإمام بصحبه صلاة الصبح ثم رفع يديه داعياً : «اللَّهمَّ أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة ، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة ، كم من كرب يضعف

عنه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو ، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمّن سواك . ففرجته وكشفته ، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة» .

ثم توجه الحسين إلى جيش الكوفة وبدلاً أن يلين ويستجيب دعاهم إلى التفكر والتأمل ومراجعة حساباتهم ومعرفة موقعهم من الإسلام وإمامه وعندها استعد القوم للقتال وصفوا الصفوف ولكن قبل أن تنتهك حرمة الإسلام بالإساءة قتلاً إلى الإمام أمان الله وأمانته في الأرض وسيّد الشباب في الجنة خطب الحسينُ القومَ مرّة أُخرىٰ ملقياً الحجة تلو الحجة ومستنهضاً النفوس الميتة في الأجساد الحية وداعياً إلى حياة النفوس بدين ربها ولو كلف الأمر موت الأجساد وعودتها إلى ترابيتها ودعاهم إلى العزة صارخاً هيهات منا الذلة فكان نداؤه بذرة في أرض الإنسان سقتها دماؤه وكان نداؤه شمساً متوهجة في سماء الإسلام كشفت حجب ظلمات التزوير والنفاق .

وقبل أن تبدأ المعركة انضم ثلاثون من جند الكوفة إلى صف الحسين والتحقوا بالطيبين المكرمين ، وبدأت المعركة وصمد الكثير من صحب الحسين إلى وقت الزوال حيث صلّوا صلاة الظهر معه فكانت آخر صلواتهم والتحمت صلاتهم بجهادهم والتحم الفلاح بخير العمل وكانت صلاتهم جهاد وجهادهم صلاة .

وبعد الصلاة راح أصحاب الحسين يبرزون للقتال حتى الشهادة منادين «السلام عليك يا أبا عبد الله» وفي الوقت الذي خذل الحسين وجهاء الكوفة وساداتها ولم يستطيعوا أن يتخلصوا من الذل والعبودية في نفوسهم في هذا الوقت خرج غلام تركي كان للحسين وكان قارئاً للقرآن فجعل يقاتل ويرتجز حتى سقط فجاءه الحسين فبكى ووضع خدّه على خدِّه ففتح عينه فرأى الحسين فتبسم ثم صار إلى ربه مطمئناً . وهذا جون مولى أبي ذر أيضاً وكان عبداً أسوداً جاء يريد

البراز فقال له الحسين : «أنت في إذن مني فإنما تبعتنا طلباً للعافية فلا تبتل بطريقنا» فقال : «يا ابن رسول الله ، أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدّة أخذلكم ؟ ! لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم» ، فجعل يقاتل قائلاً :

«كيف يرى الفجار ضرب الأسود   بالسيف ضرباً عن بني محمد»

حتى قتل ، فوقف (ع) عند مقتله قائلاً : «اللَّهمَّ بيض وجهه وطيب ريحه واحشره مع الأبرار وعرِّف بينه وبين محمد وآل محمد» ، فكانت تفوح منه رائحة المسك أياماً بعد مقتله .

وبعد مقتل كافة صحب الحسين برز أهله ابتداءاً بإبنه علي الأكبر وانتهاءاً بأخيه العباس إلى أن قتل ما لا يقل عن سبعة عشر من آل علي وجعفر وعقيل بني أبي طالب .

فلما بقي الحسين وحيداً فريداً تقدم للقتال فلم يزل يقتل كل من تقدم منه من مقاتلي القوم حتى قتل منهم مقتلة عظيمة وكان (ع) في قتاله لا يطيل في الإبتعاد عن مركزه أمام خيام أهله حيث ينادي من فوق جواده : «لا حول ولا قوّة الاّ بالله العلي العظيم» فتسمع النساء من أهله صوته فتطمئن عليه .

ثم يعود الإمام فيحمل على الميمنة مرتجزاً :

«القتل أولى من ركوب العار   والعار أولى من دخول النار»

ثم يحمل على الميسرة مرتجزاً :

«أنا الحسين بن علي   آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي   أمضي على دين النبي»

ويحمل على القلب وعلى الرجالة فيكشفها وينشرها ثم يعود إلى مركزه مُطَمْئناً ، ويعود الحسين إلى القتال بشرف وشجاعة وبطولة وتفوق إلى أن نادى ابن سعد في جنده : «الويل لكم أتدرون من تقاتلون ؟

هـذا ابن الأنزع البطين ، هـذا ابن قتّال العـرب . فاحملوا عليـه من كـل جـانب» ، وكان (ع) في إحـدى اقتحامـاته للميمنـة استطاع أن يختـرقهـا ويصـل إلى نهر الفـرات فأولـغ فرسـه برأسـه ليشـرب فقـال (ع) : «أنت عطشان وأنـا عطشـان ، والله لا ذقت الماء حتى تشـرب» ، فرفـع الجواد رأسه ولم يشرب وكأنه فهم الكلام ، ومدّ الحسين يـده ليغترف من المـاء ولكنـه لم يشرب إذ سـارع إلى العـودة إلى مركـزه ليتبادل الـطمأنينـة مـع أهله فـإنه لم تكن غيـرته وعفـة أهله لتسمحان لـلأهل بـالخـروج مـا دام سيّد الإباء حياً .

وبقي الحسين (ع) يقـاتل بـالسيف تارة وبـالكلمة والـدعـاء أطـوراً إلى أن هـوى في النهايـة عن ظهر جـواده متأثـراً بجراحـه التي لم تـوفـر مكـانـاً من جسـده الشـريف ، وعـاد جـواد السبط بعـد غيبـة طـويلة إلى الفسـطاط أمام خيـام الأهل ولكن عـودته هـذه المرة كـانت بدون فـارسه فلم تسمـع النسـاء والأطفـال صـوت الحسين بـل سمعـوا صهيـلاً عـاليـاً وهمهمة جواده وهو يضرب بيديه الأرض فعلموا أنه قد وقع ما هو منتظر ووقع ما لا مفر منه ، وعندها خرجت زينب منادية : «وا أخاه واسيداه وا أهل بيتاه ، ليت السماء أطبقت على الأرض وليت الجبال تدكدكت على السهل» وتوجهت زينب نحـو الجموع حيث رأت أخـاها الحسين ملقيـاً على الثـرىٰ تتلقـاه أيدي الشمر وخـولي وسنان تتلقـاه الأيدي الأثيمـة الملوثة فصـرخت (ع) «ويلكم أمـا فيكم مسلم ؟» ورأت ابن سعد ينـظر إلى الجريمـة فنادتـه : «يا عمر ابن سعـد ، أيقتل أبـو عبد الله وأنت تنـظر إليه ؟» فصـرف وجهه عنهـا ودموعـه تسيل على خـديه ولحيتـه ! نعم إنهـا الجـريمـة الـوحيـدة والفـريدة في التـاريخ الإنسـاني التي يبكي فيها الجـاني وهو يجهـز على ضحيته ، فما أبشعها وأفظعها من جريمة .

وبعـد ذبح الحسين جـاء جواده فجعـل يمرغ عـرفه ونـاصيته بـدمه

ويشمه ويصهل صهيلاً عالياً حزيناً ، ثم شرد محمحماً باكياً مخزياً ملوي السراج .

وجاء دور السماء والأرض ليستنكرا بدورهما أبشع ما شهدا من سفك دماء ، فلقد تلقت السماء أكثر من مرّة خلال مجزرة كربلاء دماءاً طاهرة من يدي الحسين ، فعندما ذبح طفله في حجره تلقى الحسين دمه حتى امتلأت كفه ثم رمى به إلى السماء قائلاً : «هوّن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله» ، قال الإمام محمد الباقر (ع) : «فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض» . وكذلك لما أصاب الحسين سهمٌ في حنكه ، انتزع الإمام السهم وبسط يده تحت حنكه حتى امتلأت راحتاه من الدم ثم رمى به قائلاً : «اللَّهمَّ إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك» .

فلم تستطع السمٰوات والأرض أن تتحملا ما رأتا فلقد كادت السمٰوات أن تتفطرن وكادت الأرض أن تتشقق وتخر الجبال هداً لما رأوا من إساءة الإنسان في حمل الأمانة والتعامل مع الإمام الحسين بهذا الظلم والجهل . ولذلك ما أن انتهكت حرمة الحسين (ع) حتى ارتفع في السماء غبرة شديدة سوداء مظلمة فيها ريح حمراء لا ترى فيها عين ولا أثر ، واحمرت الشمس وأمطرت السماء رماداً وتراباً أحمراً ودماً ولم يقلب حجر في بيت المقدس يومها إلاَّ وجد تحته دماً عبيطاً يغلي . ينبيء الإمام علي أمير المؤمنين : «ما بكت السماء والأرض إلاَّ على يحي بن زكريا والحسين بن علي صلوات الله عليهما» ، وقال الإمام علي الرضا متكلماً عن الإمام الحسين الشهيد : «بكت السمٰوات السبع والأرضون لقتله» . ولقد قالتها السيّدة زينب (ع) لأهل الكوفة الذين لاقوا وفد السبايا العائد من كربلاء بالنواح والبكاء ، فقالت (ع) : «أتبكون ؟ فلا رقأت الدمعة ولا قطعت الرنة . أتبكون وتنحبون ؟ أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها . ويلكم أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم وأي كريمة

لـه أبـرزتم وأي دم سفكتم وأي حـرمـة لـه انتهكتم . ﴿**لقـد جئتم شيئـاً إداً ، تكـاد السمٰـوات يتفـطر ن منـه وتنشق الأرض وتخـر الـجبـال هداً**﴾[1] ، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً فلعـذاب الآخرة أخـزى وأنتم لا تنصـرون . فـلا يستخفنكم المهـل فـإنـه لا يحفـزه البـدار ولا يخـاف فوت الثأر وإن ربكم لبالمرصاد» .

ولقـد قالهـا الإمام علي بن الحسين زين العـابدين (ع) بعـد أيـام لأهـل الشام الـذي اجتمعـوا يستـطلعـون حـال مـوكب الأسـرى فقـال : «معاشر الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعـرفني أعرفـه بنفسي ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن المروة والصفا . . . أنـا ابن المقتول ظلمـاً ، أنا ابن العـطشـان حتى قضى ، أنـا ابن طـريـح كـربـلاء ، أنـا ابن مسلوب العمـامة والـرداء ، أنا ابن من بكت عليـه ملائكـة السمـاء ، أنـا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والـطير في الهـواء ، أنا ابن من رأسـه على السنان يهدى ، أنا ابن من حرمه من العراق إلى الشام تسبى . . . » .

ولقـد قالهـا زين العابـدين مرّة أُخـرىٰ في المدينـة المنورة عنـدمـا خرجت بالبكاء والأنين والنواح والضجيـج لاستقبال وفـد آل البيت العائـد بـلا رجـالـه ولا بنيـه ، فقـال (ع) بعـد حمـد الله والثنـاء عليــه : «أيهـا النـاس ، إن الله وله الحمـد ابتلانـا بمصـائب جليلة وثلمـة في الإسـلام عظيمة . قتل أبو عبـد الله وعترتـه وسبي نساؤه وصبيتـه وداروا برأسـه في البلدان من فوق عامل السنان .

فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بـأمواجهـا والسماوات بأركانهـا والأرض بأرجـائها والأشجـار بأغصـانها والحيتـان ولجج البحـار والمـلائكـة المقربـون وأهـل السمٰـوات أجمعـون . فـإنـا لله وإنـا إليــه راجعون» .

---

(١) سورة مريم ؛ الآية : ٩٠ .

«سأبكيهم ما حج لله راكب   وما ناح قمري على الشجرات
سأبكيهم ما ذرّ في الأرض شارق   ونادى منادي الخير للصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها   وبالليل أبكيهم وبالغدوات»

يا أبا عبد اللّه

عن شفتي الحسين سل فم الرسول ولا تسل عصيّ المنكّثين
عن رأس الحسين سل حجر البتول ولا تسل رماح المجرمين

لقد كان الإمام الحسين منذ ولادته محل عناية رسول الله (ص) فلقد كان يحن عليه حنان الأم على ولدها يتأثر لبكائه كل الأثر ويحوطه بعنايته يحمله تارة على ذراعيه ويركبه أحياناً على ظهره ويقبله في المحافل العامة والخاصة يقبله في نحره وجبينه ويجلسه على فخذه كما روي عن سلمان الفارسي فيقبله ويقول له : «أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمة» .

وكان جبريل (ع) يناغي الحسين في المهد ، وكانت فاطمة (ع) تنذر النذور لله طلباً لشفائه عند المرض وكانت (ع) تحرص على عدم إدخال الكآبة إلى نفسه رغم ما كان ينتابها من آلام بعد وفاة أبيها ، وكان علي (ع) يصونه أكثر مما يصون عينيه ويحترمه ويحبه لمقامه من رسول الله ، وهذا أخوه الحسن (ع) ساعة وفاته يتألم لبكاء الحسين عليه فيقول له مخففاً عنه :

«لا يوم كيومك يا أبا عبد الله وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفاً يدّعون أنهم من أمة جدنا (ص) فيجتمعون على قتلك» . إذاً فقد كان الحسين محل عناية أحباء الله منذ يوم ولادته .

وكما كان الحسين محل رعاية رسول الله في أيامه الأولىٰ على وجه الأرض فلقد كان الإمام كذلك محل رعاية الرسول في أيامه الأخيرة على وجه الأرض . فهذا رسول الله يأتي الحسين في عالم الرؤيا في المدينة المنورة ليلة ٢٧ أو ٢٨ رجب سنة ٦٠ هـ بعد أن كان الحسين قد رفض مبايعة يزيد ، فيضم محمد حسيناً إلى صدره ويقبله بين عينيه ويقول له : «حبيبي يا حسين ، إن أباك وأُمك وأخاك قدموا علي وهم مشتاقون إليك ، وإن لك في الجنان درجات لن تنالها إلاّ بالشهادة» . فيخرج الحسين في تلك الليلة متوجهاً إلى مكة .

ثم يأتي رسول الله حسيناً في عالم الرؤيا في مكة ليلة الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ فيقول للإمام : «يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً» . فيخرج الحسين مصبحاً متوجهاً إلى الكوفة ملبياً دعوة أهلها لنصرهم والإنتصار لهم من ظلم دولة بني أُميّة . وعند عصر التاسع من محرم في كربلاء سنة ٦١ هـ يخفق الحسين خفقة يأتيه فيها رسول الله قائلاً : «إنك صائر إلينا عن قريب» . فيستعد الإمام الحسين للإنتقال من رحم الدنيا الضيق إلى رحابة عالم الآخرة «فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل» ، ويجتمع الحسين عشية ذلك اليوم بصحبه وأهله شاكراً حسن ولائهم ووفائهم وآذناً لهم بالإنصراف تحت جناح الليل فإن جيش الكوفة لا يريدون غيره ولو أصابوه لذهلوا عن طلب غيره . فرفض الأهل والصحب إلاّ مشاركة الحسين في شرف الشهادة وكرامتها وأبوا إلاّ أن يواكبوا الحسين في علو نفسه وارتفاع مقامه خاصة وأن حسينهم روى عن نبيهم : «إن الله تعالىٰ يحب معالي الأُمور وأشرافها» ، فبشرهم الحسين بالشهادة . وفي تلك الليلة يعبر إلى صف الحسين إثنان وثلاثون رجلاً من جند ابن سعد مفضلين عز الشهادة على حياة الذل . وفي صباح العاشر من محرم بعد أن صلّى الحسين بأصحابه صلاة الصبح قال لهم : «إن الله تعالىٰ قد أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم ، فعليكم بالصبر والقتال» . ثم لما نظر الإمام إلى

جموع أهل الكوفة الثلاثين ألفاً ، دعى ربه ثم توجه إلى القوم فخطبهم خطبته الأولىٰ فوعظهم وأعلمهم بأن زحفهم على ذرية محمد لقتلهم إنما هو بمثابة الكفر بعد الإيمان ، والقى الحجج عليهم كما كانت سيرة أبيه قبل مقاتلة أهل الفتن لكي يرتفع عذر التضليل عن العوام . وحاور الحسين في خطبته هذه القوم وزعماءهم مندداً ليس فقط بتخاذلهم عنه بعد دعوته لنصرهم بل أيضاً بخيانتهم له واجتماعهم على إذلاله أو قتله وكأنه مجرم أو سارق أو صاحب ذنب عظيم مع ما يعرفونه عنه وعن مقامه من الله ورسوله . وأعلن الحسين في نهاية خطبته تمسكه بخيار العزة وحرية النفس .

ثم صف الحسين صحبه للقتال ، يقول أكثر المؤرخون أنه كان مع الحسين إثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ، وهذه الرواية على شهرتها لا تتفق مع الإحصاءات الثابتة لوقائع حادثة كربلاء فلو جمعنا فقط الخمسين رجلاً الذين قادهم العباس لملء قرب الماء عشية السابع من محرم مع من بقي مع الحسين وقتها ومع من تسرب إلى معسكر الحسين بعدها وخاصة الإثنان والثلاثون رجلاً ليلة العاشر لفاق هذا العدد رواية حصر أنصار الحسين بإثنين وسبعين رجلاً . ولذلك يرجح أن يكون هذا العدد المشهور هو التقرير الرسمي والأولي عن صحب الحسين عند نزولهم كربلاء ، وأن هذا العدد الرسمي أريد به تجاهل وطمس أولئك النخبة من جند الكوفة الذين آثروا الإنضمام إلى الإمام الحسين وليس آخرهم الثلاثون مقاتل الذين انكفؤوا من معسكر ابن سعد إلى أنصار الحسين صباح العاشر بعد خطبة الحسين الثانية لأهل الكوفة ، وعليه وتناسباً مع هذه الأرقام يمكن ترجيح رواية الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين التي نقلها ابن طاووس في كتابه اللهوف في قتلى الطفوف ونقلها نجم الدين ابن نما في مثير الأحزان وكذلك ابن عساكر والطبري في تاريخيهما من أن أصحاب الحسين الذين قاتلوا

معه كانوا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل أي أنهم كانوا مائة وخمسة وأربعين مقاتلاً .

إذاً عبّأ الحسين صحبه وصفهم ونظمهم فجعل زهير بن القين في الميمنة وحبيب بن مظاهر في الميسرة وثبت هو في القلب معطياً رايته لأخيه أبي الفضل العباس ، وجعل البيوت في ظهورهم بعد أن كان أمر بإشعال النار في الخندق الذي جهزوه ليلاً خلف المضارب . وبدأت المعركة بعد أن خاطب الحسين أهل الكوفة ثانية مؤثراً مصارع الكرام على طاعة اللئام ومنذراً أنهم لن يهنؤوا بعده أبداً ولن يفرحوا بعده بدنيا ولا آخرة . وبعدها نادى (ع) : «أما من معيث يغيثنا لوجه الله ، أما من ذاب عن حرم رسول الله» فاستجاب لاستغاثة الحسين ثلاثون من جند الكوفة على رأسهم الحر بن يزيد الرياحي قائد ربع تميم وهمدان . ورمى ابن سعد السهم الأول في المعركة ورمى أصحابه سهامهم فقال الحسين (ع) لصحبه : «قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بد منه فإن هذه السهام رسل القوم إليكم» .

وقام صحب الحسين وهم فرسان المصر وليوث الوغى وصقور الروابي ، قاموا يقاتلوا النفاق في سبيل حفظ كلمة الله كما كانوا من قبل يقاتلون الشرك في سبيل نشر كلمة الله ، قام الأبطال الشجعان يبرزون للأقران ويثبتون للحملات ويكمنون للتسللات بل ويحملون على الجموع فيكشفوا جبنهم ويزرعون في قلوبهم الهلع . يقول أحد جند الكوفة : «لو كففنا عنهم رويداً لأتوا على الجموع بحذافيرها» . ولكن لما كانت المعركة قد بدأت ونسبة صحب الحسين عدداً إلى جيش الكوفة ادنى من واحد إلى مئتين ، راح عامل الوقت يضعف هذه النسبة ويغير سياق ووتيرة المعركة . فبعد ساعات من القتال وقبل الظهر بساعة انجلت الغبرة عن خمسين صريعاً من أصحاب الحسين (يرجع إلى أسمائهم في مناقب آل أبي طالب لابن شهر أشوب وإبصار العين

للسمـاوي) . فلما نـظر الحسين إلى القتلىٰ الخمسين من صحبه ومنهم من رافقـه من المـدينـة ومنهم من مكـة ومنهم من لحق بـه في الـطريق ومنهم من قصـده من البصـرة والكـوفة ومنهم من انقلب إليـه من جنـد الكوفة ، ضرب الحسين بيده على لحيته المقدسة وقال : «أشتـد غضب الله على اليهـود إذ جعلوا لـه ولـداً ، واشتـد غضبـه على النصارى إذ جعلوه ثـالث ثـلاثـة واشتـد غضبـه على المجـوس إذ عبـدوا الشمس والقمـر ، واشتـد غضبـه على قـوم اتفقت كلمتهم على قتـل ابن بنت نبيهم ، أما والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقىٰ الله» .

ثم إنه وبعد الظهر صار يبرز أصحـاب الحسين أفراداً ومجمـوعات يستـأذنـون الحسين بتلك الكلمـات الشـريفـة : «السـلام عليـك يـا أبـا عبـد الله» ثم يقتحمون الجمـوع فيقاتلوا حتى يقتلوا ، يقـاتلوا مستبشرين ومـرتجزين فخـراً بشرف القتـل بين يدي إمـام المسلمين نصاً واستحقـاقاً ولياقة .

فهـذا يعـرف نفسـه : «إن تنكـروني فـأنـا ابن الكَلْبي» ، وذاك يقول : «إن تسألـوا عني فإني . . . من بني أسـد» ، وأولئك يفخـرون : «أنا يزيد وأبي مهاجر» و «وأنا حبيب وأبي مظاهر» و :

«وأنـا زهيـر وأنـا ابن القيـن أذودكم بـالسيف عن حسين»

ويـرتجزون وينشـدون «قد علمت حقـاً بنـو غفـار» ، و«أنـا الغـلام اليمني الجملي» و «كيف ترى الكفار ضرب الأسْوَد» .

فلقـد كانـوا يعشقون أسمـاءهم لأنها ستقتـرن باسم الحسين وعلي ومحمـد ، ويعشقـون أرواحهم ودمـاءهم لأنهم سيبـذلـونهـا يقيناً لله بين يـدي حبيب حبيب الله ، فمـا أعـز تلك الأرواح وأطيب تلك الـدمـاء . وهـذا عـابس بن شبيب الشـاكـري عنـدمـا تقـدم للقتـال يقـول لـلإمـام الحسين : «يـا أبا عبـد الله ، والله ما أمسى على ظهـر الأرض قـريب ولا بعيـد أعـز علي ولا أحب إليّ منـك ، ولـو قـدرت على أن أدفـع عنـك

الضيم والقتل بشيء أعز عليّ من نفسي ودمي لفعلت ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، أشهد الله أني على هداك وهدى أبيك» ، فلما برز عابس زلزل نفوس القوم وزرع في قلوبهم الرعب ونادى مناديهم : «أيها الناس هذا الأسد الأسود ، هذا أشجع الناس ، هذا ابن شبيب لا يخرجن إليه أحد منكم» فانكفؤوا وهربوا بين يديه ورماه بعضهم بالحجارة من بعيد ، فلما رأى عابس جبنهم بفرارهم بين يديه القى درعه ومغفره واخترق جيوشهم ، فقيل له «أجننت ؟» فأجاب : «حب الحسين أجنني» .

لقد كان صحب الحسين على تنوع إنتماءاتهم القبلية والقومية والعرقية والإجتماعية وعلى أختلاف أعمارهم يشكلون صفاً مرصوصاً بل جسداً واحداً وقيماً عليا واحدة ، لقد كانوا يجسدون الإسلام وقيمه بصفاء لقد كانوا يمثلون الوفاء والخير والبر والإخلاص والشجاعة والبطولة والفداء ، لقد كانوا يمثلون قيم الشهادة ، بين يدي سيد الشهداء ، وحتى الأمهات والأولاد كانوا يتنافسون في ولائهم الحسيني ، فهذا عمرو بن جنادة بن كعب الأنصاري غلام له من العمر إحدى عشرة سنة جاء يستأذن الحسين بالقتال ، فأبىٰ الحسين قائلاً : «إن هذا غلام قُتِل أبوه في المعركة ولعل أمه تكره خروجه» ، فقال الغلام : «إن أمي هي التي أمرتني بذلك» ، فأذِن له الحسين وإذا بالغلام يبرز مسروراً وكأن أبيه لم يقتل من قليل ،وارتجز الغلام وبدلاً من أن ينتسب إلى أبيه أو إلى قومه كما فعل من قبله إذا الغلام هذا يتفوق برؤيته للإنتماء فينشد مفتخراً بأميره وأميره فقط معبراً عن عشق نور هذا الأمير فيقول :

«أميري حسينٌ ونعم الأمير ... سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والداه ... فهل تعلمون له من نظير
له طلعة مثل شمس الضحىٰ ... له غُرةٌ مثل بدر منير»

فمـا أسـرع أن قتـل وأُحتـزّ رأسُـه ورمي بـه إلى جهـة معسكـر الحسين ، فـأخـذت أُمـه الـرأس ومسحت الـدم عنـه وهي تقـول : «أحسنت يا بني يا سرور قلبي ويا قرة عيني» .

وقتـل بين يدي الحسين بـرازاً أكثر من خمسين شهيـداً من صحبه وبعدهم استشهد بين يديه مـا لا يقل عن سبعـة عشر من أهله ، ثم عنـد عصر ذلك اليـوم يوم عـاشوراء قتـل الحسين وحيداً فـريداً غـريباً شهيـداً مظلوماً فسلبوه وعروه وقطعوا رأسه وآذوا جسده وحـطموا عـظامـه بحـوافر الخيل ثم تركـوه عريـاناً فـوق الثرى تلفحـه الرمـال والريـاح ، وقُطِع مـع رأس الحسين رؤوس الشهـداء الـذين صحبـوه إلى كـربـلاء لـنصـر الإسـلام ، وتقاسمت قبـائل الكـوفة الـرؤوس بعد أن بعثـوا عشيـة ذلـك اليوم رأس الحسين إلى قصر ابن زياد في الكوفة .

وعند ظهر الحادي عشر من محـرم سيق ما تبقى من أهـل الحسين نساءاً وأطفالاً وإبنه علي زين العابـدين الذي حـال مرضـه وقتها وحيـاطة عمته زينب دون قتله ﴿والله عليم حكيم﴾[1] .

وودعت زينب أخيهـا الحسين المـقـطع المـهشـم المـضـرج : «استودعك الله السميع العليم يابن والدي» . ووصل الـركب إلى الكوفـة صبـاح الثـاني عشـر من محـرم ووصلت رؤوس الشهـداء مـرفـوعـة على الرماح فالتقت برأس سيدها وحاله حالها .

«يـا هـلالاً لمـا استتم كـمـالاً غـالـه خسفـه فـابـدى غـروبـاً»

واختلطت الجموع ، فهذه الكـوفة بنـاسها وجنـودها خـرجت لتنظر أو لتحتفل برؤوس الشهداء وبسبايـا آل محمد ، وتشـابكت الأصوات بين الأنـاشيد الحمـاسية المستعـطية ثمنـاً للجريمـة وثمناً للرؤوس المـرفوعـة

---

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٩٧ .

على الرماح وبين أصوات الصراخ والبكاء والعويل وضاع الفرح بالذهول والحزن والندم . فقال زين العابدين : «أتنوحون وتبكون ، فمن قتلنا ؟» وقالت أم كلثوم زينب الصغرىٰ : «يقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم ! ؟» ، وقالت زينب : «إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً» .

ثم وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد في قصر الإمارة ، فجعل ابن زياد ينكث ثنايا الحسين بمخصرته ويقول لقد كان جميلاً وأنه كان حسن الثغر ، وكان المجلس يضم بعض الصحابة والتابعين فقام أنس بن مالك قائلاً لابن زياد : «والله لأسؤنك ، إني رأيت رسول الله يلثم حيث تنكث» ، وانتفض زيد بن أرقم صارخاً : «إرفع عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا إله إلاّ هو لقد رأيت شفتي رسول الله على هذين الشفتين ما لا أحصيه يقبلهما» ، ثم خرج زيد منذراً : «أنتم معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة» .

وبعد وضع آل الحسين في سجن الكوفة أيام والطواف برأس الحسين في سكك الكوفة ، جاءت الأوامر من خليفة المسلمين في الشام بحمل رأس الحسين ورؤوس من قتل معه وحمل نسائه وعياله إلى الشام وهكذا كان فطافوا برأس الحسين في البلدان فوق عامل السنان ولم يستحِ يزيد بجريمته بل أرادها عبرة مشهورة لمن اعتبر . ووصل الموكب إلى الشام في الثاني من صفر سنة ٦١ هـ . واستقبلتهم الشام بطبول ودفوف الفرح والشماتة ، ولم يكن يزيد حاكم المسلمين بأشرف من واليه على الكوفة إذ عندما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد جعل ينكث بقضيب خيزران ثنايا الحسين منشداً :

«ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً   ثم قالوا يا يزيد لا تشل»

فانبرت له هٰهنا زينب (ع) : «تقول غير متألم ولا مستعظم : «لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل» ، منحنياً على ثنايا أبي

عبـد الله سيـد شبـاب أهـل الجنـة تنكثها بمخصـرتـك . . . وتهتف بأشياخـك ، زعمت أنك تناديهم ، فلتردن وشيكـاً موردهـم ولتـودن أنك شللت وبكمت» وكمـا أهـدي رأس يحي بن زكـريـا (ع) إلى بغي من بغـايا بني إسـرائيل ، فقـد أهدي رأس الحسين بن علي (ع) إلى أدعيـاء بني أمية ، فعبيد الله بن زياد دعي ابن دعي وليس يزيـد بن معاويـة بأنقى منه نسباً . فإن كان صيت مرجانة أم عبيد الله قـد بلغ الآفاق فـإن حكايـة ميسون أم يزيد مع عبد لأبيها قد فاقت الآفاق . وإن كان زيـاد قد اشتهـر بـابن سمية وبـابن عبيد وبـابن أبيه ، ثم بـابن أبي سفيان بعـد أن ادعـاه معاوية لأبيـه ، فإن معـاوية عنـد ولادته ادّعـاه أربعة رجـال وفاز بـالصفقة يومها أبو سفيان الذي اختارته هند أم معاوية ، وكـان قد عيَّـر معاويـة مرة زياد بأمه فكتب زياد لمعاوية قـائلاً : «أمـا تعييرك لي بسميـة ، فإن كنتَ ابن سميـة فـأنت ابن جمـاعـة» . إذاً فقتلة الحسين كـانـوا أدعيـاءاً بني أدعيـاء وبغـايـا ، ولـذا فقـد كـان صـراع الحسين معهم صـراع الشجـرة المبـاركة مـع الشجرة الملعـونة مـع كـل مـا لتلك الشجـرتين من جـذور وثمـار ، إنه صـراع جذور النقـاء والـطيب والـطهـارة مـع جـذور القذارة والخبث والـرجس ، إنه صـراع ثمرات العـز والإباء والغيـرة والكـرم مـع ثمرات الذل والخضوع والتهتك واللؤم إنه صراع الإيمـان كله مع الشـرك كله ، وقد عبر الحسين عن طبيعة هذا الصـراع في خطبتـه الثانيـة صباح عـاشوراء عنـدما قـال : «ألا إن الدعي ابن الـدعي قد ركـز بين إثنتين ، بين السلة والـذلـة وهيهـات منـا الـذلـة ، يـأبى الله ذلـك لنـا ورسـولـه والمؤمنـون وجدود طـابت وحجور طهـرت وأنوف حميـة ونفـوس أبيـة أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» .

وقـد عبر يـزيد أيضـاً عن حقيقة هـذا الصراع بشعـره عندمـا اعتبر قتل الحسين ثأراً لقتلىٰ المشـركين في معركـة بدر ، فكـانت مخصرة بني زيـاد ومعاويـة تنتقم من طيب شفتي الـرسـول وآثـارهـا على شفـاه ولـده الحسين ، وكـانت رمـاح بني مـرجـانـة وميسـون تنتقم من طهـارة حجـر فاطمة واحتضانه لرأس الحسين الشريف .

وكـان من آثار حمـل رأس الحسين على الرمـاح أن ضيَّع التـاريـخ موضع دفن الرأس الشريف فمن راوٍ أنـه دفِنَ في النجف بجانب قبـر أبيه أمير المؤمنين ومن قائـل أنه دُفِنَ في البقيـع في المدينـة مع أُمـه الزهـراء ومن مـرجـحٍ أنـه دفن في القـاهـرة ومن مـطمئنٍ إلى أنــه بقي ودفن في دمشق والمشهـور أنـه أُعيـد إلى كـربـلاء ودفن مـع جسـده وغيـرهــا من الروايات التي على كثرتها تـدين يزيـداً مجدداً وتـدين تهتكه ولعبـه وعبثه بـالدمـاء والحرمـات والمقدسـات ، و«حسبك ـ يـا يزيـد ـ بالله حـاكمـاً وبمحمد خصيماً وبجبريل ظهيراً» .

الطـالبيـون

عن جبين الحسين سل المسجد الحرام واسأل مسجد المدينة
واسـأل كـربـلاء وتـربتهـا كم لامست بعد الحسين جبينـا

الحسين هو ابن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، والحسين هو ابن فاطمة بنت محمد (ص) بن عبد الله بن عبد المطلب . ويتسلسل نسب عبد المطلب من أبيه هاشم بن عبد مُناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (الذي هو قريش على الأرجح) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى أن يتصل النسب بإسماعيل بن إبراهيم (ع) .

ولا يخفى على أحد دور النبيين إبراهيم وإسماعيل في رفع القواعد من الكعبة البيت الحرام وتطهيره ليكون أول بيت يوضع لقيام الناس فيه لله وتكون مكة مكرمة بحرم الله الآمن المبارك . والتزاماً بملة أبيهم إبراهيم كانت سلسلة آباء الحسين ممن يعظمون شعائر الله وحرماته ، وقد التزم المتأخرون منهم بآداب خاصة في تكريم ضيوف البيت الحرام فكانوا يحسنون رفادتهم وإكرامهم ، وهذا أبو طالب سيّد البطحاء - أرض مكة - وسيد قومه وما ساد فقير قومه قط غيره ، فهذا أبو طالب على فقره كان يقوم بمسؤولية إكرام حجاج البيت وأبو طالب نفسه هو الذي آوى وكفل ابن أخيه محمداً في الثامنة من عمره وهو

الذي نصر محمداً وحامى عنه نبياً رسولاً عشرة سنين من بداية بعثته حتى توفاه الله مما اضطر محمداً (ص) وقد اتسعت دائرة الأذى عليه إلى الخروج من مكة .

إذاً فالحسين ابن مكة أماً وأباً ، فهو حفيد محمد نبيها وأبي طالب سيدها فهو حفيد الدين وحفيد ناصر الدين . الحسين ابن مكة نسباً من شجرة قريش ومن فرعها الموحد ومن ثمرها الطيب الطاهر المتجذر من إبراهيم (ع) والمثمر حول محمد (ص) ، بل إن الحسين ثمرة من ثمرات الرسول والرسالة دماً وروحاً . والحسين ابن مكة وحرمة بيتها الذي حج إليه حوالي خمسة وعشرين مرة ماشياً ، فقلما تخلوا بقعة من بقاع مكة لا تشهد للحسين بأثر من ركوع وسجود أو طواف أو سعي ، أو دعاء ومناجاة ما زالت تردد أصداءها جبال وأودية مكة . فالحسين ابن مكة ومنى وابن زمزم والصفا .

«بكيت لرسم الدار من عرفات وأذريت دمع العين بالعبرات»

وكما كان الحسين ابن مكة حرم الله فقد كان ابن يثرب حرم رسوله ومدينته ودار هجرته .

فلقد وُلد الحسين في الثالث من شعبان سنة ٤ للهجرة في مسجد رسول الله الذي أُسس على التقوى من أول يوم ، وُلد في بيت أبيه علي ذلك البيت المميز الفريد كفرادة بيت رسول الله إذ كانا أي البيتين جزءاً لا يتجزأ من المسجد بانفتاح بابيهما إلى داخل المسجد وليس إلى خارجه كبقية بيوت الأصحاب حول المسجد . إذاً وُلد الحسين في مسجد رسول الله وسمّاه رسولُ الله حسيناً بأمر من الله بعد سبعة أيام من ولادته . وُلد الحسين في مسجد المدينة التي منها أنار سراج محمد رحمة للعالمين ، وأول ما سمعت أذُنا الحسين بعد آذان رسول الله وإقامته ، سمعت تلاوة آيات الله ، وتفتحت عيناه على نور الوحي ،

وأول مـع وعى قلبـه وعى حب الله ورسوله، والمـرء مـع من يحب **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾**[1] .

وتربىٰ الحسين في المدينـة مدينـة المجاهـدين ونورهم علي أبيـه ، وتـربىٰ في مـدينـة المؤمنين وأميـرهم علي ، وتـربىٰ في مـدينــة المتقين وإمـامهم علي وتربىٰ في مـدينـة علم رسـول الله وبـابهـا علي ، تـربىٰ الحسين على فـداء أبيه لجـده الرسـول ولدين جـده ورسالتـه تـربىٰ على بذل المهج في سبيل الله إلى آخر لحظات تواصل الروح مع الجسد .

«ولــولا أبــو طــالـب وابـنــه   لمـا مثل الـدين شخصاً فقـامـا
فــذاك بـمكــة آوى وحــامـى   وهـذا بيثـرب جس الحمـامـا»

وعاش الحسين في المدينـة أول اثنتي وثلاثين سنة من عمره واكب فيها الأحداث المفصليـة في تاريـخ أمة الإسـلام وائتم بأبيـه في التعامـل مـع الأحداث العـظام بدءاً بـوفاة الـرسـول ومن ثم انقـلاب قـريش على إمـامـة علي ومن ثم إرتـداد أطـراف جـزيـرة العـرب عن رسـالـة محمـد وحروب الردة والنبوات الكاذبة ومن ثم الفتوحات الإسلاميـة وتوسـع دولة الإسلام ومن ثم معانـاة الجيل الإسـلامي الأول من فساد الجهـاز الحاكم في عهــد الخليفـة الثــالث والخلل الإداري والإقتصــادي والــديني في رؤوس السلطة وشهـد الحسين ثورة المسلمين وغليـانهم وتعـدد دوافعهم وقتلهم لـرأس السلطة ، وشهـد الحسين بـعـدهـا في بيت أبيــه صحـوة بعض الضمـائـر وحنين الضميـر العـام إلى رســول الله في شخص علي والمطالبة بـالإمامـة المضيعة ومبـايعة أبيـه علي حاكمـاً على المسلمين . ثم انتقل الحسين بعدهـا مع أبيـه إلى الكوفـة العاصمـة الجديـدة لدولـة الإسلام ، والكوفـة مدينـة على شاطىء الفـرات في العراق شمـال أرض الحجـاز والكوفـة مدينـة عسكريـة حديثـة أسست في عهد ابن الخـطاب

---

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٣٦ .

على يد القائد العسكري سعد بن أبي وقاص لتكون معسكراً للمسلمين مقابل بلاد فارس شرقاً وبلاد الشام غرباً . ومن الكوفة حيث أقام الحسين أقل من ست سنوات ، شارك الحسين أبيه في قتال أصحاب المطامع السياسية تحت شعار الثأر لدم هم أهدروه فقاتل أتباع الجمل في البصرة وعلى رأسهم أشهر المشاركين في التحريض على عثمان ومن ثم قتله، ثم قاتل من لا يميزون بين الناقة والجمل في صفين وعلى رأسهم خذلة عثمان .

وكذلك شارك الحسين أباه في التصدي للخوارج أول حركة تكفير في تاريخ المسلمين .

وبعد شهادة أبيه في مسجد الكوفة ومصالحة أخيه الحسن لمعاوية ، عاد الحسين إلى المدينة بجوار قبر جده حيث لازم داره هناك ما يقارب العشرين سنة ، عشرة منها مع أخيه وإمامه الحسن وكانت سيرته معه كما وصف الإمام الصادق : «ما مشىٰ الحسين بين يدي الحسن قط ولا بدره بمنطق إذا اجتمعا تعظيماً له» وبعد وفاة أخيه الحسن حاولت الكوفة مراراً استنهاض الحسين على معاوية وكما حاول معاوية أيضاً مراراً وبشتىٰ الوسائل إخضاع الحسين لمبايعة يزيد ابنه كوليّ للعهد ، وكان جواب الحسين للكوفة ولمعاوية الرفض والإنتظار .

وفي سنة ٦٠ للهجرة في ٢٧ رجب جاء جند حاكم المدينة ـ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ إلى الحسين في المسجد واعلموه بضرورة الحضور عند الحاكم ، وقال الحسين وقتها لمن كان في مجلسه : «أظن أن طاغيتهم قد هلك» .

وما ظنه الحسين كان حقاً ، وأدرك في بيت الأمير أن يزيداً ورث عن أبيه حكم المسلمين وأن المطلوب من رأس الحسين إما أن ينحني وإما أن يقطع ويرسل به إلى الشام . فكان رد الحسين على الأمير إن إنساناً مثل الحسين لا يمكن أن يبايع يزيد ، وكانت رؤية الحسين

عميقة وبعيدة إذ قال : «وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد» ، فلقد أدرك الإمام الحسين خطورة حاكمية يزيد على الإسلام والمسلمين ، والحسين نفسه عاش أحداث ثورة المسلمين الأوائل على فساد حاكمية عثمان وشهد كيف لم تنته ثورتهم إلاّ بسفك دماء عثمان وما تبعه من فتن ، أما بالنسبة إلى يزيد وإلى الأسلوب الذي فرض فيه وإلى فساد شخصه وانحرافه عن الإسلام وعن الإتزان الإنساني فإن الأمر سيختلف خاصة وقد اتسعت رقعة العالم الإسلامي وضم شعوباً من بلاد وحضارات مختلفة تنظر إلى الإسلام من خلال دولته ، وأي فساد في الحكم أو الحاكم سيسجل على رصيد الإسلام وبالتالي أي ثورة أو تمرد ستكون ضد الإسلام وتحت رايات معادية للإسلام وبالتالي سينكفيء الإسلام وسيسلم عليه تسليم الوداع تماماً كما سلم هرقل الروم على دمشق من قبل سلاماً لا لقاء بعده في كلمته الشهيرة . وكذلك فبقبول يزيد رأساً للمسلمين وممثلاً وواجهة للإسلام فسيكون الخطر كل الخطر على وجود الإسلام ، فلذلك سارع الإمام الحسين وبكل مسؤولية إلى حفظ تراث النبيين وخاتمهم ، سارع وارث الأنبياء إلى النهوض بوجه يزيد وباسم الإسلام لحفظ الدين على نقاوته ولصيانة الصراط على استقامته على المحجة البيضاء التي تركه عليها رسول الله محمد (ص) . ولذلك كانت الثورات والإنتفاضات والإنقلابات والحركات السياسية بعد ثورة الحسين تحمل الطابع الديني وتعارض حاكم المسلمين وحكمه باسم الإسلام ولمصلحة الإسلام ، وأصبح دم الحسين رمزاً للإصلاح باسم الدين وأصبحت كربلاء إلى جانب كونها تربة الثورة والشهادة أصبحت مقصد الزوار والعباد وأصبحت تربتها موضعاً لجباه المصلين في مشارق الأرض ومغاربها ، فلقد استطاع الحسين بتخضيب تربة كربلاء بدمه أن يمزج بين الثورة والصلاة ، إستطاع أن يظهر الدين بجميع أبعاده وقيمه واستطاع أن يعمق أوامر الله ونواهيه في نفوس المسلمين **﴿إن الله يأمر بالعدل**

والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[1] ، ولقد عملت شهادة الحسين عملها بفصل ملف الحكام والخلفاء عن ملف الدين إلى الأبد كما يقول الأستاذ مرتضىٰ المطهري في كتابه الملحمة الحسينية ، وأول الآثار الحسينية بدأت بالكوفة عندما خطب بها ابن زياد في ١٢ محرم بعد يومين من مقتل الحسين فقال : «الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته» فانتفض ساعتها عبد الله بن عفيف الأزدي وهو ضرير فقال : «يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه ، يا ابن مرجانة اتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين» وشفى الحسين الأعمىٰ بعد شهادته وتفتحت أبصار الأمة وانتفضت المدينة المنورة بعد سنتين من مقتل الحسين وطردت حاكم يزيد وخاضت مواجهة مع جيش الشام في موقعة الحرة قتل فيها البقية الباقية من المهاجرين والأنصار واستشهد فيها قائد الإنتفاضة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وأبناؤه الثمانية ، وتمردت مكة الثكلىٰ بالحسين فحرق جيش يزيد كعبتها ، ثم هلك يزيد ورفض ابنه معاوية الثاني منصب الخلافة لاعناً أبيه وجده ومواليـاً دماء الحسين وأبيه ، وتتوالىٰ الثورات الإسلامية الحسينية فيرفع التوابون شعار يا لثارات الحسين ومن ثم ينقلب النظام الحاكم في الكوفة على أيدي المختار الثقفي الذي ينتقم من قتلة الحسين فرداً فرداً ، ويثور بعدها حفيد الحسين زيد بن علي بن الحسين ويثور ابنه يحيىٰ إلى أن يتصدع ويهلك النظام الأموي تحت شعار الرضا من آل محمد ، وتتوالىٰ الثورات الحسينية على فساد الحكام باسم الإسلام ويفتخر الثوار بنسبهم الحسيني والعلوي والفاطمي ويفرد أبو فرج الأصبهاني كتاباً خاصاً بثوار آل أبي طالب يسميه «مقاتل الطالبيين» . فلقد استطاع

(١) سورة النمل ؛ الآية : ٩٠ .

الحسين وأهــل بيتـه في كـربـلاء أن يخلدوا القيم التي حملهــا محمـد ورعاها أبـو طالب وحـامى عنها مـع أبنائـه وأحفاده من مكـة إلى المدينـة إلى كربلاء فلقـد قتل في كـربلاء من آل أبي طـالب ما لا يقـل عن سبعة عشر شهيداً غير الإمام الحسين (ع) وكان استشهادهم جميعـاً بعد الـظهر من يوم عاشوراء بعد مصرع كافة الأصحاب .

وكـا أول المستشهدين علي الأكبـر بن الحسين وكـان عمـره سبــع وعشـرين سنة ، استـأذن من أبيـه ثم بـرز إلى القتـال وحمـل على جيش الكوفة مرّة بعد مـرّة إلى أن قتل من جنـدهم ما لا يقـل عن المائتين قبـل أن يـطعنه أحـدهم فيخر صـريعاً منـادياً : «يـا أبتاه عليـك مني السلام ، هـذا جدي رسـول الله قد سقـاني بكأسـه الأوفىٰ شربـة لا أظمـأ بعـدهـا أبداً» ، فلقد كان رسول الله (ص) ينتـظر شهداء كـربلاء في عـالم الغيب بمـاء طهور من الجنـة ، وهناك الكثيـر من الروايـات التي تشهد بحضـور رسول الله لحادثة كربـلاء ، فهذا التـرمذي يـروي في سننه عن أم سلمـة زوجـة رسول الله أنهـا رأت محمداً يـوم عاشـوراء في المنام وعلى رأسـه ولحيته التراب ، فقالت : «مالـك يا رسـول الله ؟» فقال : «شهـدت قتل الحسين آنفـاً» ، وكـذلـك يـروي ابن الأثيـر في الكـامـل والسيـوطي في تاريخ الخلفـاء عن عبد الله ابن عبـاس أنه رأى عشيـة عاشـوراء الرسـول في عـالم الرؤيـا وهو أشعث أغبـر وبيده قـارورة فيهـا دم ، فقـال لـه ابن عبـاس : «بأبي وأمي يـا رسول الله مـا هـذا ؟» فقال: « هـذا دم الحسين وأصحابه أرفعها إلى الله» .

وبعــد علي الأكبـر بــرز بنو عقيــل بن أبي طـالب وكــان أولهم عبــد الله بن مسلم بن عقيــل ، وعبــد الله هــذا هــو ابن رقيــة أخت الحسين ، وكان الحسين صبيحة ذلك اليوم قـد قال لـه : «خذ بيـد أمك واخـرج من هذه المعـركة» ، فـرد عبد الله : «لست والله ممن يؤثـر دنيـاه على آخرته» . إذاً برز عبد الله مرتجزاً :

«اليوم ألقى مسلماً وهو أبي   وعصبة بادوا على دين النبي»

فحمل ثلاث مرات على القوم قتل منهم أكثر من تسعين رجلاً إلى أن رماه أحدهم بسهم أصاب جبهته فقتله .

وعلى نداء الحسين (ع) : «صبراً على الموت بني عمومتي ، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم» ، قتل من آل عقيل بن أبي طالب جعفر بن عقيل الغلام الأبطحي الطالبي كما وصف نفسه ، وقتل عبد الرّحمٰن بن عقيل وقتل عبد الله بن عقيل وقتل محمد بن مسلم بن عقيل رضوان الله تعالىٰ عنهم .

وكذلك قتل من آل جعفر بن أبي طالب عون بن عبد الله بن جعفر ، وأُمه العقيلة زينب ، قتل عون مرتجزاً :

«إن تنكروني أنا ابن جعفر   شهيد صدق في الجنان أزهر» .

ثم قتل أخوه لأبيه محمد .

ومن آل الحسن بن علي بن أبي طالب برز الحسن بن الحسن فقاتل حتى صرع ولما جاؤوا لحزِّ رأسه بعد المعركة وجدوا به رمقاً فتشفع به أسماء بن خارجة الفزاري وهو من أخواله فحمله معه إلى الكوفة وعالجه فبريء . وبرز عبد الله الأكبر بن الحسن وكنيته أبو بكر فقتل . ثم برز القاسم بن الحسن وعمره أربع عشرة سنة وهو وديعة الحسن عند أخيه الحسين ، وكان القاسم يستمع لكلام عمه ليلة العاشر عندما بشر الأهل والصحب بالشهادة ، فقال القاسم وقتها : «وأنا فيمن يقتل يا عم ؟» فقال الحسين (ع) : «يا ابن أخي ، كيف تجد طعم الموت عندك ؟» قال : «يا عم ، أحلى من العسل» ، فقال له الحسين عندها : «أي والله فداك عمك ، إنك لأحد من يقتل بعد أن تبلو ببلاء عظيم» . نعم فقد كانت كربلاء كما أخبر عنها الإمام علي بن أبي طالب مسبقاً : «مناخ ركاب ومصارع عشاق ، لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم» .

إذاً برز القاسم بعد أن ألح في الإستئذان من عمه الحسين ، برز منشداً :

«إن تنكروني فأنا نجل الحسن سبط النبي المصطفىٰ والمؤتمن»

فقاتل مقاتلة الشجعان إلى أن شد عليه أحدهم ففلق رأسه بالسيف ، واستشهد الغلام منادياً : «يا عماه» . فبعداً لقوم قتلوه ، وبعداً لقوم ابتدعوا له عرساً وتقولوا عليه وعلى عمه الأكاذيب .

وممن قتل من أبناء علي بن أبي طالب عبد الله بن علي وأمه ليلى بنت مسعود الدارمية ثم قتل محمد الأصغر بن علي وأمه أم ولد .

ثم دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخوته الثلاثة عبد الله وعثمان وجعفر وهم إخوته لأبيه ولأمه فاطمة بنت حزام المكناة بأم البنين ، دعا إخوته الثلاثة قائلاً : «تقدموا يا بني أمي حتى اراكم قد نصحتم لله ولرسوله فإنه لا ولد لكم» ، وقال لكل واحد منهم «تقدم يا أخي حتى أراك قتيلاً واحتسبك» . فتقدم عبد الله وله من العمر خمس وعشرين سنة فقاتل مرتجزاً :

«أنا ابن ذي النجدة والإفضال ذاك عليٌّ الخير في الأفعال»

فشدّ عليه أحدهم فضربه بالسيف على رأسه فقتله .

ثم تقدم عثمان بن علي وله من العمر إحدى وعشرين سنة فقاتل مرتجزاً :

«إني أنا عثمان ذو المفاخر شيخي علي ذو الفعال الطاهر»

فرماه أحدهم بسهم فصرعه .

ثم تقدم جعفر بن علي وعمره تسع عشرة سنة فقاتل مرتجزاً :

«إني أنا جعفر ذو المعالي إبن علي الخير ذي النوال»

فرماه أحدهم فقتله .

وكان آخر المقاتلين مع الحسين أخيه أبي الفضل العباس وله من العمر أربع وثلاثين سنة ، واستشهد العباس غدراً مكموناً له وهو عائد بقربة ماء للأطفال في مخيم الحسين . وبعد مقتل العباس وتقطيعه بالسيوف ، نادى الإمام الحسين وقد أصبح وحيداً غريباً : «أما من مجير يجيرنا ، أما من مغيث يغيثنا ، أما من طالب حق فينصرنا ، أما من خائف من النار فيذب عنا» ، ونادى (ع) : «هل من ذابٌ عن حرم رسول الله ، هل من موحد يخاف الله فينا ، هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا» . ثم ودع الحسين أهله وجيء له بطفله عبد الله الرضيع ليودعه فإذا بسهم يرميه حرملة الكاهلي يصيب الطفل فيذبحه في حجر أبيه ، ويتلقى الحسين الدم بكفه ويرمي به نحو السماء فلا يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض ، ويقول الإمام : «هوّن ما نزل بي أنه بعين الله ، اللَّهمَّ لا يكون أهون عليك من فصيل ، اللَّهمَّ إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه ، وانتقم لنا من الظالمين ، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل» .

وبعدها تقدم الحسين إلى الحرب يحمل على جيش الكوفة فيخلخل صفوفهم ويزلزل نفوسهم ويزرع في قلوبهم الرعب والهلع والرهبة . وقاتل الحسين فارساً وبعدها راجلاً إلى أن خارت قواه من كثرة الجراح والضربات القاسية فارتمى أرضاً وأحدق الناس حوله ، وعندها أفلت عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو غلام في الحادية عشرة من عمره ، أفلت من خيام النساء والأطفال منادياً : «والله لا أفارق عمي» ، فلما أدرك عمه ورأى أحدهم يهوي بالسيف على الحسين ، صاح الغلام : «ويلك يا ابن الخبيثة ، أتقتل عمي ؟» فضربه ذلك الرجل بالسيف فاتقى الغلام السيف بيده فقطعت ، فصاح الغلام : «يا عماه» ، ثم رماه أحدهم بسهم فقتله .

ولما صرع الحسين (ع) ، خرج غلام صغير وهو محمد بن أبي

سعيد بن عقيل بن أبي طالب ، خرج الغلام مذعوراً وبيده عـود ، يلتفت حواليه ، تجري به رجلاه على غير هـدى ، فقصده أحـد فرسـان الكوفـة فلما دنا من الغلام مال عن فرسه وعلاه بالسيف فقطعه .

«اللّه أي دم في كـربـلا سُفِكـا   لم يجر في الأرض حتى أوقف الفلكا»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زيـن العـابدين

من بدمائه توقدت هدايـة حمل نـورها زين العـابدين
من بشهادته أورث إمـامة منّ بهـا الله على المستضعفين

غـادر الإمام الحسين (ع) أرض الحجـاز إلى العراق مسـراً ومعلنـاً أن «لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مـأوى لما بـايعت يزيـد بن معاويـة» . وحمل الحسين معه كـامل أفـراد أسرتـه ، فقد كـان معه ابنـه الأكبر علي ولـه من العمـر سبـع وعشـرين سنـة (أمـه ليلى الثقفيـة) ، وإبنـه الأوسط واسمه أيضاً علي وعمره ثلاث وعشـرين سنة (أمـه شاه زنـان) والمعروف بزين العابدين ، وإبنه الرضيع عبـد الله وله من العمـر أقل من ستـة أشهر (أمه الربـاب بنت امرىء القيس) ، وكـذلك رافقـه إبنتاه سكينـة وفاطمـة وكـان عمر سكينـة (أمها الـرباب) أقـل من أربع عشـرة سنـة وكـان عمـر فـاطمة (أمهـا أم إسحاق بنت طلحـة بن عبيد الله التيمي) أكبـر بقليل من عمـر أختها . وقيـل أنه كـان معه ابنتـه رقية ولهـا من العمر أربـع سنوات وهي التي مـاتت حزنـاً على أبيها في خـربة الشـام عنـدمـا طلبت رؤيتـه فأتوهـا برأسـه في طست ، والواقـع أن أي من كتب التاريـخ المعتبرة لم يذكر رقية هذه ولا حكايتها ، زد عـلى ذلـك أن رقية وحكـايتها تعتبـر من التحريفات التي دخلت سيرة الإمام الحسين كما يؤكد الأستـاذ المطهـري في ملحمتـه الحسينية . إذاً أصـلاً لم يكن للحسين بنت اسمها رقيـة بـل لم يكن لـه بنات سـوى سكينة وفـاطمة (ع) . وكـذلك رافق الحسين في

مسيره زوجته الرباب أم عبد الله الرضيع وأم سكينة ، أما ليلى أم علي الأكبر فإنه أيضاً من المحقق تاريخياً أنها لم تحضر كربلاء مطلقاً ولعلها كانت متوفاة قبل ذلك التاريخ . وما الحكايات التي تروى عنها في كربلاء إلاّ شطحات درامية لقصاصين متأخرين ، يقول آية الله المطهري عن ليلى أن ليس هناك مؤرخ واحد يشير إلى حضورها لمعركة كربلاء . وممن رافق الحسين من أخواته زينب الكبرىٰ والصغرى أي أم كلثوم وهما أخواته لأبيه وأمه وكذلك رافقه أخته لأبيه رقية وهي زوجة مسلم بن عقيل .

وعلى أهمية كل شخصية رافقت الإمام الحسين في نهضته وقيامه ، فلقد كان لإبنه علي زين العابدين الدور الخطير والعظيم والدقيق في تجسيد الإمتداد الصادق للإمام الحسين عليه وعلى آبائه وذريته أفضل السلام .

فلقد كان زين العابدين الشاهد الأقرب لحادثة كربلاء ومقدماتها ومسارها وآثارها الأولية وبذلك فقد كان الراوي الأصدق والأدق لتفاصيل ثورة الحسين وكلماته ومواقفه وبالتالي كان زين العابدين الحافظ للتاريخ الصادق لهذه الحركة المباركة ، واستطاع زين العابدين (ع) أن يحفظ شهادة دماء الحسين وأهله وصحبه وأن يضيف إليهم شهادة مواقفه وكلماته وأدعيته بعد الحسين فحفظ مضامين نهضة أبيه ، واستطاع زين العابدين أن يرث نور الإمامة عن أبيه وأن يتحمل ثقل الأمانة التي استجدَّ عليها بعد الرسالة والإمامة أرقى درجات الشهادة ، فكان زين العابدين بعد أبيه المؤتمن على أمة الإسلام والممثل الحصري لأهل البيت في ملازمة القرآن فما كان لعترة رسول الله أن يفترقوا عن القرآن حتى يوم القيامة ، وكان زين العابدين أول المعصومين التسعة من نسل الحسين الذى بشر بهم رسول الله وكان

الإمـام علي بن الحسين أبـو الأئمّـة من عقب الحسين ﴿**وجعلهـا كلمـة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**﴾[1] .

يـروي الإمام زين العـابدين حـال أبيه خـلال مسيـره من مكـة إلى العراق فيقول : «خرجنا مـع أبي الحسين فما نـزل منزلاً ومـا ارتحل منـه إلاّ وذكر يحيىٰ بن زكريـا وقتله ، وقال يـوماً : ومن هـوان الدنيـا على الله عـزّ وجـلّ أن رأس يحيىٰ بن زكـريـا أهـدي إلى بغي من بغـايـا بني إسرائيل» ، ومن هـوان الدنيـا على الله أن رأس الحسين بن علي يهـدى إلى ابن زيـاد وإلى يزيـد . وانتكست صحـة زين العـابـدين في الـطريق إلى العـراق وكان بعـدها مـلازمـاً لفـراش المـرض في أرض كـربـلاء ، وروى (ع) أحـداث ليلة العاشـر من محرم وكـلام أبيـه في أهله وصحبـه وروى أيضـاً حـوار الحسين مـع السيـدة زينب تلك الليلة وقـد كـانت تمـرضه وتعنى بـه ، وكذلـك روى كيف ازدلف على أبيه صباح العاشـر من محرم ثلاثون ألفاً من جند الكوفة يزعمـون أنهم من هذه الأمـة فقتلوه بغياً وظلماً وعدواناً .

قتلوه بعـد أن قتلوا صحبـه أولاً ، ثم كـان علي بن الحسين الأكبـر أول شهيـد من آل أبي طـالب وكـان أبـو فضـل العبـاس آخـر الـرجـال المستشهـدين بين يدي أخيـه ، فترك الحسين وحيـداً غـريبـاً فـريـداً بـلا ناصر ولا مغيث ولا مدافع إلاّ الله تعالىٰ اسمه وذكره .

ولما لم يجـد الحسين موحـداً يخاف الله في آل رسـول الله ، وقف الامـام بباب خيمتـه ونادىٰ : «يـا زينب يا أم كلثـوم يا فـاطمة يـا سكينـة عليكن مني السـلام» ، فبكت النسـاء وبكت إبنتـه سكينـة ولم يكن من قبـل يسمع لهـا بكاءاً بـل كانت مـدخلاً للسـرور إلى قلبه فقـال لهـا (ع) بعد أن ضمها إلى صدره ومسح دموعها بكمه :

---

(١) سورة ازخرف ؛ الآية : ٢٨

«لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة   ما دام مني الروح في جثماني» .

وأراد زين العابدين أن يقوم لنصرة أبيه فتحامل على نفسه ونهض وبادر إلى مغادرة الخيمة متوكئاً على عصا وجاراً سيفه ، فقال الحسين لأخته : «إحبسيه يا أختاه ، لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد» ، وأرجع زين العابدين إلى فراشه .

وبعدها امتطىٰ الحسين جواده ، وبكل رباطة جأش وبمنتهى شجاعة قلب شد الإمام على جيش الكوفة يغوص في ميمنتهم ويشتت ميسرتهم ويهزم قلبهم فلم يثبت له أحد ، ثم عاد (ع) إلى مركزه أمام خيامه منادياً : «لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم» . ثم حمل الحسين والناس تتفرق حوله رعباً ورهبة فهذا ابن محمد رسول الله الذي نصر بالرعب مسيرة شهر وهذا ابن أسد الله الغالب علي بن أبي طالب كاسر نواجم قرون آبائهم وأجدادهم هذا ابن الكرار وداحي الباب ، فصاح ابن سعد : «الويل لكم ، أتدرون من تقاتلون ؟ هذا ابن الأنزع البطين ، هذا ابن قتال العرب . إحملوا عليه من كل جانب» ، ونظم جيش الكوفة صفوفه من جديد وتوزع الفرسان والرجالة والرماة وقاتلوا الحسين مقاتلة الجيوش والتفت ميسرة الكوفة بقيادة الشمر وراء الإمام فأصبح محاطاً ومحالاً بينه وبين رحله ورموه بالسهام ، فناداهم الإمام وقد انقطع عن خيامه : «يا شيعة آل أبي سفيان ، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون» . فناداه الشمر : «ما تقول يابن فاطمة؟» ، فقال : «أنا الذي أقاتلكم ، والنساء ليس عليهن جناح ، فامنعوا عتاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي ما دمت حيا» ، فقال الشمر : «لك ذلك» ، ثم قال لعسكره : «إليكم عن حرم الرجل ، اقصدوه في نفسه فإنه كفؤ كريم» .

وبعدها عاد الحسين إلى اختراق صفوفهم ودفعه عطشه نحو الفرات حيث رماه زرعة بن شريك التميمي بسهم أثبته في حنكه ،

فانتزع الحسين السهم وبسط يديه تحت الجرح فلما امتلأت رمى به نحو السماء وقال : «اللَّهمَّ إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك ، اللَّهمَّ أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبقِ منهم أحداً» ، وبعدها استطاع أن يكشف كتيبة عمرو بن الحجاج عن الماء واقحم الفرس على الفرات فلما ولغ الفرس ليشرب قال الحسين : «أنت عطشان وأنا عطشان فلا أشرب حتى تشرب» ، فرفع الفرس رأسه وقبل أن يشرب الحسين نادى المنادي أن هتكت حرم الحسين فغادر الحسين الفرات مسرعاً وعاد إلى رحله بعد أن خرق الصفوف إياباً فإذا أهله سالمون فقال لهم : «استعدوا للبلاء» ، وبينما هو يكلم أهله أُمطر بالسهام فعاد (ع) إلى القتال بسيفه ورمحه منادياً : «يا أُمة السوء ، بئسما خلفتم محمداً في عترته ، أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله فتهابوا قتله ، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي ، وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون ، . . . يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم ثم يصب عليكم العذاب الأليم» ، ولاحظ الشمر أن وجهة الحسين في قتاله كانت شطر الفرات فنادى لعنه الله «لا ترده حتى ترد النار» ونادى غيره : «لا تشرب منه قطرة حتى تموت عطشاً» ، وبين الحسين يقاتل رماه أحد العصاة وهو أبو الحتوف الجعفي رماه بحجر فوقع على جبهته الطاهرة وسالت الدماء على وجهه ، فبينما الحسين يمسح بثوبه الدم عن وجهه وعينيه رماه لعين بسهم محدد له ثلاث شعب وقع على صدره فهوى الحسين «بسم اللّه وبالله وعلى ملّة رسول الله» ، ورفع رأسه إلى السماء قائلاً : «إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره» ، ثم انتزع السهم المشعب من صدره وتلقىٰ الدم المنبجس براحتيه ورمى به إلى السماء منادياً : «هوّن ما نزل بي أنه بعين الله» فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض ، ثم لطخ (ع) رأسه ووجهه بدمه

قـائـلاً : «هكـذا أكـون حتى ألقى الله وجـدي رسـول الله مخضـوب بدمي» .

وقاتل (ع) راجلاً مثخناً بالجراح وبقي على شجاعته وبطولته يتقي سهام الرماة ما أمكن وينقض على الرجالـة ويشد على الخيـالة ويقـول : «ويحكم أعلى قتلي تجتمعون»، ولكن جسده لم يعد يطاوعه وقـد أعياه النزف فأخل توازنه وأقعده الأرض ، فأتاه مالك بن النسر الكندي فشتمه وضـربه بـالسيف على رأسه ، فقـال (ع) : «لا أكلت بيمينك ولا شـربت بها وحشرك الله مع الظالمين» . وضـربه عمـرو بن الخليقة الجعفي على عاتقه المقدس ضربـة كبا بها على وجهه ، فجعـل (ع) روحي فداه يقـوم ويكبو على الأرض ، فحمل عليـه سنان بن أنس النخعي فـطعنه بـالرمـح في ترقوتـه ثم نزع الـرمح وطعنـه في مقدمـة صدره ، ثم راح صـالح بن وهب المزني ونصر بن حرشة والحصين بن تميم بعـالجونـه الأول برمحـه في خـاصـرتـه والثـاني بسيفـه يضـربـه والثـالث رمـاه بسهم في حلقـه ، فـغشي عـلى الإمـام الحسين وراح يجـود بنفسـه نفسي لنفسـه الفـداء ويقـول : «صبـراً على قضـائـك يـا رب ، لا إلـه سـواك يـا غيـاث المستغيثين» .

ثم جـاء خـولي بن يـزيـد الأصبحي فـأراد أن يقـطع رأس الحسين فـارتعـدت يـداه فـانتحى جـانبـاً مفسحـاً المجـال لسيـده الشمـر بن ذي الجـوشن فتقـدم الشقي اللعين فـرفس الحسين بـرجله وألقـاه على قفـاه وأمسـك بلحيته الكـريمة راح يضـربـه بـالسيف على رقبتـه إلى أن احتـزَّ رأسه ثم دفع بالرأس إلى خولي ، «وامحمداه ، واعلياه» .

في تـاريخ ابن عسـاكـر عن ابن سيـرين : «لم تبـك السمـاء على أحـد بعد يحيىٰ بن زكـريا إلاَّ على الحسين بن علي ، لمـا قتـل أسـودت السماء وظهرت الكـواكب نهاراً وسقط التـراب الأحمر ، ومكثت السمـاء سبعة أيام بلياليها كأنها علقة» .

وفي ظل بكاء السماء وتغير معالمها سُلب الحسين كامل ثيابه ثم داسوا عليه بالخيول وكذلك دخلوا إلى خيام النساء فأعملوا بها السلب والنهب والحرق والإرهاب والتشريد فسلبوا أردية بنات رسول الله وخرموا آذانهن تسابقاً على أقراطهن فأسالوا الدماء على وجوههن وخدودهن . وأدركوا زين العابدين على فراش المرض فاختلفوا في قتله وقد أحاطت به عمته زينب إلى أن جاء قائدهم ابن سعد قائلاً : «لا تعرَّضوا لهذا الغلام المريض» .

ولئن قتل الإمام الحسين فإن الإمامة لم ولن تقتل ، فوالله لا يُمحىٰ ذكر محمد وآله وقد رفعه الله ، ولا يموت الوحي وقد تعهد اللّه الذي أنزله بحفظه ، فإن الأرض ما كانت لتخلو من قائم لله بحجة ، وكلما خوى نجم طلع نجم ، وورث زين العابدين سيد الشهداء ، وورث شاهد كربلاء شهيد كربلاء ، وتلقىٰ الله ورسوله دماء الحسين ، وأُبدلت الدماء نوراً سرى في ذريته ، وكما لم يكن محمدٌ أبتراً بكثرة وصلاح ذرية فاطمة فكذلك ورغم قتل الحسين وإبادة أهله فقد بقي فيهم بقية تحمل الأمانة بعدل وعلم ، وكثرت وعظمت كماً ونوعاً ذرية الحسين من خلال ابنه علي الأول من صلبه ووصولاً إلى المهدي التاسع من صلبه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وهل كانت نهضة الحسين إلاَّ شوقاً للعدل وتبرماً من الظلم ؟ وهل بذل الحسين كامل دمائه ودماء صحبه وأهله إلاَّ في هذا السبيل فلذلك كان التاسع من ذرية الحسين هو الإمام المهدي الطالب بدم المقتول بكربلاء ، المعد لقطع دابر لظلمة ، المنتظر لإقامة الأمت والعوج ، المرتجىٰ لإزالة الجور والعدوان ، الذي أراد الله أن يمنّ به على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ؟ يقول فيه النبي (ص) : «لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك رجل من أهل بيتي يملأ الأرض قِسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً » نعم فما كانت نفس الحسين (ع) لتطمئن إلاَّ بملء الأرض قِسطاً وعدلاً ،

فرجعت نفس الحسين إلى ربها راضية مرضية وقد جعل الله الإمامة في ذريته وجعل الخلافة الآدمية خلاصة لحركة الأئمة الطاهرين من صلبه .

وكان علي بن الحسين أول الأئمة الطاهرين من صلب الحسين ، وكانت أول كلماته لجمهور الكوفة الذي خرج ليستقبل أخبار ما بعد معركة كربلاء «بأي عين تنظرون إلى رسول الله إذ يقول لكم قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي» ، نعم فلتعاد الحسابات ولتوضع الموازين بالحق . ثم انتقل الإمام زين العابدين مع الأسرى إلى قصر ابن زياد الذي أصيب بالذهول عندما رأى رجلاً بين السبي ، وإزداد ذهوله عندما علم أن هذا الرجل هو علي بن الحسين خاصة وأنه كانت أتته التقارير ومن ثم الرؤوس التي تفيد بأن عليَّ بن الحسين كان من عداد المقتولين في كربلاء ، فصاح ابن زياد بالإمام مستاءاً : «أليس قتل الله علي بن الحسين ؟» فقال الإمام : «قد كان لي أخ يُسمى علي بن الحسين قتله الناس» ، فقال : «بل الله قتله» ، فقال الإمام : «﴿الله يتوفىٰ الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾[1]» ، فقال ابن زياد : «ولك جرأة على جوابي ؟» وأمر بقتله ، فتعلقت به السيدة زينب واعتنقته قائلة : «حسبك من دمائنا» ، وهنا تدخل علي بن الحسين ليؤكد أن الحسين ما زال حياً بشهادته فقال : «أبا لقتل تهددني يابن زياد ، أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة» فبهت ابن زياد واكتفىٰ بوضع الأسرى في السجن إلى أن أتته الأوامر بعد أيام من الشام بإرسال الأسرى إلى بلاط يزيد . وفي الشام أوضح زين العابدين في أكثر من مقام منزلة آل البيت من القرآن وعلى التخصيص من سورة الأحزاب والشورىٰ والإسراء والأنفال ، فآل محمد هم أهل بيت الطهارة الذين لا يتم الإيمان إلاَّ بمودّتهم وإيتائهم حقوقهم .

آل العزير يعظمون حماره ويرون فوزاً لثمهم الحافر

---

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ٤٢ .

وسيـوفكم بـدم ابن بنت نبيكم　　مخضوبة لرضى يزيد الفاجر .

وكما ذهل من قبـل ابن زياد فقـد فوجيء يـزيد عنـدما علم أن بين الأسرى علي بن الحسين غير علي بن الحسين الـذي استشهد مـع أبيه ، فقـال يزيـد لزين العـابدين : «واعجبـاً لأبيك سمى عليّـاً وعلياً » ، فقـال (ع) : «إن أبي أحب أبـاه فسمى بإسمـه مراراً» . وقـال يزيـد : «الحمد لله الـذي قتـل أبـاك» ، فقـال ابن الحسين : «لعنـة الله على من قتـل أبي» .

وقـال يزيـد : «يا علي بن الحسين **﴿وما أصابكم من مصيبـة فبما كسبت أيديكم﴾**[2] » ، فرد الإمـام : «كلا ، مـا هذه فينـا نزلت ، وإنمـا نـزلت فينـا **﴿مـا أصـاب من مصيبـة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ فـي كتـاب من قبل أن نبـرأها إن ذلـك على الله يسير ، لكيـلا تأسـوا على ما فاتكم ولا تفرحـوا بما آتـاكم﴾**[3] ، فنحن الذين لا نـأسى على ما فـاتنا ولا نفرح بما أوتينا» .

ولقـد خطب زين العـابدين في النـاس في مسجد الشـام وبحضور يزيد فعرّف الإمام الناس برجـالات أهل البيت الـذين قامـوا بالـدين وقام الدين بهم بدءاً بمحمد وانتهاءاً بـالحسين ، وأراد يزيـد أن يقطع الكـلام على زين العـابدين بـالآذان فلما قـال المؤذن الله أكبر ، قـال الإمـام من فـوق المنبر : «لا شيء أكبـر من الله» ، ثم قال المؤذن أشهـد أن لا إلـه إلاّ الله ، فقال الإمام : «شهد بها شعـري وبشري ولحمي ودمي» ، ولمـا نـادى المؤذن بأشهـد أن محمـداً رسـول الله ، إلتفت زين العـابـدين من فـوق المنبر إلى يـزيد فقـال : «محمد هـذا جدي أم جـدك يـا يـزيـد ؟»

---

(٢) سورة الشورىٰ ؛ الآية : ٣٠ .

(٣) سورة الحديد ؛ الآية : ٢٣ .

ووجّه الإمام سؤاله ليزيد أمام جمهور الشام «لِم قتلت عترته ؟» لم قتل عترة رسول الله ونصب رأس وديعته على باب دمشق ؟ وكان زين العابدين قد قال ليزيد : «أنك لو تدري ماذا صنعت وما الذي ارتكبت ، إذا لهربت في الجبال وافترشت الرماد» .

فلقد حمل علي بن الحسين أمانة أبيه ، حمل الإسلام الذي نزل على محمد بكل أمانة من غير بدع ولا رأي ولا هوى ، واستطاع الإمام أن يكشف في الكوفة وفي الشام ومن ثم في المدينة فظاعة الجريمة المرتكبة ومدلولاتها ، وكما استطاع (ع) أن يرد على أئمة الضلال في سوء نسب جرائمهم إلى إرادة الله، وكذلك سفه زين العابدين أحلام ابن زياد ويزيد عندما أعلمهم أن روح الإمام علي بن أبي طالب وإمامته ما زالت تسري في ذرية الحسين كما كانت تسري في الحسين . ولم تقف الإمامة عند الإمام الحسين بل نال عهد الله أئمّة العدل من ذرية الحسين . وَورِث الحسين خليل الله إبراهم (ع) .

ولئن عبر إبراهيم الخليل (ع) بأهله الفرات غرباً مهاجراً إلى الله فجعل الله في ذريته الكتاب والنبوة ، فلقد قضى الحسين شهيداً مع أهله عند شاطىء الفرات محباً لله فجعل الله في ذريته علم الكتاب وميراث النبوة ، **﴿وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**[1] .

قال الإمام الصادق (ع) : «يا مولاي يا أبا عبد الله ، أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها ، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين ، وأشهد أنك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي ، وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوىٰ وأعلام الهدىٰ والعروة الوثقىٰ والحجّة على أهل الدنيا» .

---

(١) سورة السجدة ؛ الآية : ٢٤ .

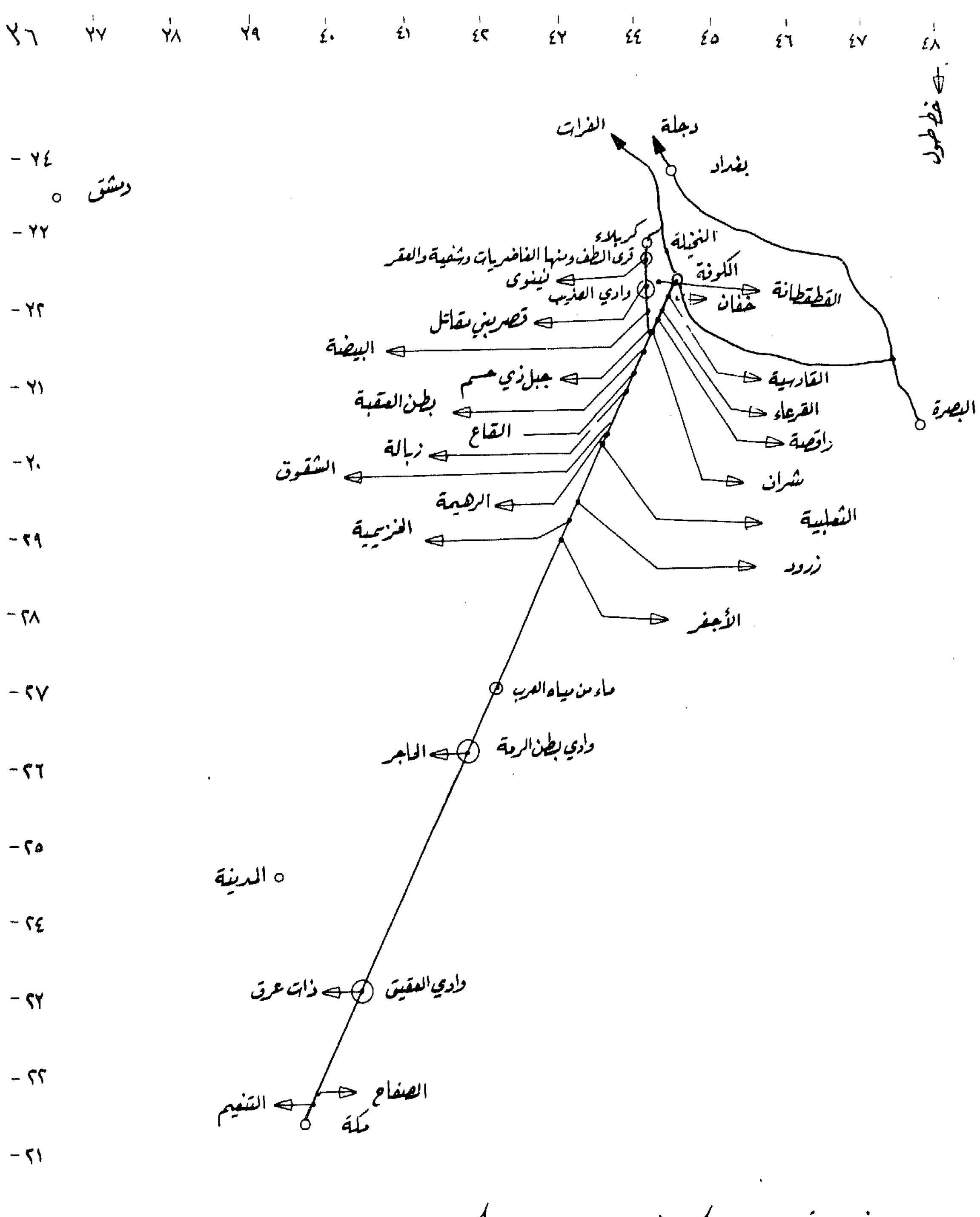
أهم مصادر الكتاب

- القرآن الكريم .
- نهج البلاغة .
- مفاتيح الجنان (عباس القمي) .
- بحار الأنوار (محمد باقر المجلسي) .
- آمالي الشيخ الصدوق .
- الإرشاد (الشيخ المفيد) .
- اللهوف على قتلى الطفوف (ابن طاووس) .
- مناقب آل أبي طالب (ابن شهر آشوب) .
- مثير الأحزان (ابن نما) .
- الإحتجاج (الطبرسي) .
- مقاتل الطالبيين للأصبهاني .
- صحيح البخاري .
- صحيح مسلم .
- جامع الترمذي .
- الكامل في التاريخ (ابن الأثير) .
- تاريخ الخلفاء للسيوطي .

- **السيرة النبوية** (ابن كثير) .
- **الملحمة الحسينية** (مرتضىٰ المطهري) .
- **مقتل الحسين** (محمد تقي آل بحر العلوم) .
- **مع الحسين في نهضته** (أسد حيدر) .
- **الوثائق السياسية والإدارية** (محمد ماهر حمادة) .
- **أئمتنا** (علي الدخيل) .

محتويات الكتاب





خريطة تقريبية للأماكن الجغرافية التي يعنى فيها الكتاب

دار الفنون

بيروت - الشياح سوق معوض التجاري ☎ ٨٣٥٣٢٧ - ٨٣٣٥٩٦ - ص. ب. ١٥٤ / ٢٥ الغبيري
تلكس M. C. S. 20777 LE - فاكس 25848 - 46 - 00357 - س. ت. ٢٨٦٣ بعبدا



٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨

٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١

دجلة
الفرات
بغداد
دمشق
كربلاء
النخيلة
الكوفة
القطقطانة
قرى الطف ومنها الغاضريات وشفية والعقر
نينوى
وادي العذيب
خفان
قصر بني مقاتل
البيضة
جبل ذي حسم
بطن العقبة
القاع
زبالة
الشقوق
الرهيمة
القادسية
القرعاء
واقصة
شراف
البصرة
الثعلبيه
الخزيمية
زرود
الأجفر
ماء من مياه العرب
وادي بطن الرمة
الحاجز
المدينة
وادي العقيق
ذات عرق
الصفاح
التنعيم
مكة

خريطة تقريبية للأماكن الجغرافية التي يعنى فيها الكتاب

١٠٠ كم
خط عرض

دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع